C2
32926

المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية
(ماتسبن)

Leila S. Kadi,
The Israeli Socialist Organization (Matzpen),
Palestine Monographs No. 83,
Palestine Liberation Organization,
Research Center,
Colombani St. off Sadat St.
Beirut, Lebanon.

المنظمة الاشتراكية الإسرائيلية

(ماتسبن)

ليلى سليم القاضي

قدم له

غسان كنفاني

منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث
بيروت

تموز (يوليو) ١٩٧١

جميع الحقوق محفوظة

لمركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

محتويات الكتاب

		الصفحة
مقدمة		٧
تمهيد		٢٥
الفصل الاول	: تأسيس المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية	٢٩
الفصل الثاني	: نظرة المنظمة الى الصهيونية واللاسامية واستعمار فلسطين	٤٩
الفصل الثالث	: نظرة المنظمة الى المجتمع الاسرائيلي	٦٧
الفصل الرابع	: نظرة المنظمة الى «اليسار» في اسرائيل	٨٩
الفصل الخامس	: نظرة المنظمة الى المقاومة الفلسطينية والحل الثوري للنزاع في المنطقة	١٢٧
ملاحق		١٥١
مصادر البحث		١٩٩

مقدمة

ربما كانت ولادة « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » ، المعروفة باسم ماتسبن (البوصلة ـ وهو اسم مجلتها) من اهم المظاهر ذات المعنى التاريخي التي تحدث في اسرائيل منذ انشائها ، ولعلها تشكل، من الناحية الرمزية، الحدث المعاكس لظاهرة تحول بعض التنظيمات الاشتراكية الصغيرة في اوروبا الشرقية في مطلع هذا القرن الى تنظيمات صهيونية ، هذا التحول الذي اعتبر اشارة رمزية الى بدء فترة من المد الصهيوني توجت فيما بعد بانشاء اسرائيل ، ولعل ما يجعل هذه « الرمزية » اكثر اكتمالا هو ان بعض العناصر الرائدة في الـ « ماتسبن» كانت جزءا مما يسمى باليسار الصهيوني حتى وقت قريب .

والحقيقة ان المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية لم تعرف في بعض الاوساط العربية الا بعد ١٩٦٧ ، اذ ان وجودها انذاك ، وسط المد الاسرائيلي العدواني ، شكل مظهرا شجاعا في وقت كان فيه اليسار الصهيوني (مثل المابام) يغرق في وحل العنصرية والامبريالية والرجعية حتى اذنيه ، فيما اخذ الشيوعيون « راكاح » يمعنون في التأكيد على « صحة » موقفهم الاول : قبول الكيان الاسرائيلي ، والنضال من اجل

اسقاط الطبقة الحاكمة الان داخله .

ولعل مقالات موشيه ماخوفر ، التي نشر جزء منها في « اللوموند » ، كانت هي اول تعريف لبعض قطاعات الراي العام العربي على ظاهرة « ماتسبن » ، ولا شك ان استاذ المنطق هذا قد اسمع الاذن العربية لهجة جريئة كان الكثيرون يعتقدون ان الواقع الاسرائيلي لن يفلح على الاطلاق بانتاج ما يماثلها .

وبعد ذلك صار الطلاب العرب في اوروبا يدهشون عندما يرون شبانا اسرائيليين يتصدون لمناقشة مندوبي الدعاية الرسميين لاسرائيل ،في محاضرات عامة في العواصم الاوروبية، ويواجهونهم بمنطق ثوري مدعوم بالارقام وبالحقائق ،وينجحون في سحق المنطق الصهيوني ، علنا ، ولاول مرة في اوروبا منذ فترة طويلة .

والواقع ان نشاط شبان « الماتسبن » هو ، في الدرجة الاولى ، الذي دفع الحركة الصهيونية في الفترة التي اعقبت حرب حزيران ، الى الدعوة لمؤتمر للشباب الصهيوني ، هدفه الاول هو تطوير المفاهيم الصهيونية لتصبح ملائمة لروح شباب هذا العصر !

ان القوة والشجاعة اللتين دعمتا المنطق الثوري والعلمي، لشبان يهود اسرائيليين وغير اسرائيليين ،القسم الأكبر منهم من او مؤيد لـ « الماتسبن » ، هما اللتان ساهمتا جيدا في تحريك اوساط الحركات اليسارية الطلابية في اوروبا ، بواسطة الاستفادة من الجو الذي تركه عدوان ٥ حزيران ١٩٦٧ في العالم .

والصحيح أن ردة الفعل الصهيونية لم تقتصر على محاولة

تجديد دماء منظمة الشباب في الحركة الصهيونية (والاستفادة كليا من التراث الذي بناه « المابام » في اوساط « اليسار » العالمي في العشرين سنة الماضية ، وكذلك جماعة افنيري) ولكنها تعدت ذلك الى تنظيم عمليات اعتداء على افراد « الماتسبن » ، الى حد يعرف فيه الطلاب العرب في فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة والمانيا الغربية ان حساسية الصهاينة ازاء اليسار الشاب الذي يمثله اعضاء الماتسبن ، كانت اكثر عنفا وسرعة من حساسيتهم ازاء نشاط الطلاب العرب ، أو الاوروبيين ، على ان هذا القمع ــ الذي عكس كمية ونوعية الخشية الصهيونية من ظواهر من هذا النوع، تسبب شرخا له نتائجه ــ لم يؤد الى تخويف هذه العناصر التي لا بد من الشهادة بشجاعتها واستقامتها .

وقد لجأت السلطات الاسرائيلية الى عدة اشكال اخرى من القمع ، بينها ــ بالطبيعة ــ دس عناصر من « الشن بت » المخابرات ، بين صفوف افراد الماتسبن خصوصا في لندن،الا ان هذا الاسلوب ، بدوره ، قد فشل في اطفاء هذه الظاهرة .

ان عددا قليلا ، ولكن شديد النشاط ، من اعضاء الماتسبن،بمساعدة مراكز الاعلام التي يهيمن عليها التروتسكيون في فرنسا وانكلترا قد نجحت في ان تجعل سمعة الماتسبن كبيرة خارج اسرائيل ، ولا ريب ان لمثل هذا التكبير في الاعلام حسناته ، ولكن له سيئة كبرى وهي تنمية اعتقاد لدى الكثيرين بتوقع انجاز مهمات كبيرة لا يستطيع الحجم الحقيقي لهذا التنظيم ان ينجزها ، وبالتالي تسبيب خيبة امل غير مبررة على المدى القريب .

ان القيمة الاساسية لمنظمة الاشتراكيين الاسرائيليين ، كما تظهر بوضوح في الدراسة التي بين ايدينا ، (والتي هي فيما نعلم الاولى من نوعها بالعربية كما باللغات الاجنبية)

تكمن بالدرجة الاولى في صواب وجراة وعلمية تحليلها لتاريخ القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية ، وهو تحليل ربما كان من اكثر التحليلات حول هذا الموضوع نضوجا وعمقا وغني ، كما أن كمية الصواب في الاستنتاجات المنبثقة عن هذا التحليل هي كمية مدهشة ، والحقيقة ان كتابات «الماتسبن» اكثر تفوقا بما لا يقارن من نشاطها ، ومع ذلك فان كمية التعرج في هذه الكتابات كبيرة : ان الكثيرين يعتقدون ان منشورات وتحليلات الماتسبن قبل ١٩٦٧ هي افضل من تلك التي كتبت بعد الحرب ، وهذه ظاهرة واحدة فقط من ظواهر تطور الخط الفكري في « ماتسبن » ، وهو تطور لا تغطيه هذه الدراسة ، التي يبدو انها تناولت الواقع الايديولوجي للماتسبن في لحظة معينة .

ولعل هذا التطور الكبير في الخط الفكري « للماتسبن» كان يخفي داخله تيارات متباينة ، عبرت فيما بعد (أواخر ١٩٧٠) عن نفسها بالانشقاق الذي يبدو للوهلة الاولى وكأنه « تشرذم » ، ويظهر هذا التشرذم واضحا عندما نقرأ (في ملحق الدراسة) المقال الذي عنوانه : « الجراة على النضال » والذي كتب قبل الانشقاق ، ثم نقرأ البيان الذي اصدره فريق كاتب المقال المذكور ،الاتحاد الشيوعي الثوري، كبرنامج عمل ، فبين هذين المقالين فارق ضخم بين التشخيص الذي عرضه المقال الاول ، والبرنامج الذي طرحه البيان الثاني .

لقد اكدنا على ظاهرة التطور المتواصل في الخط الايديولوجي والسياسي « للماتسبن » ، كما حدث منذ ١٩٦٢ حتى أواخر ١٩٧٠ ، وسلسلة الانشقاقات والتجنحات التي حدثت فيه ، وذلك كي يصبح بوسعنا ادراك ان الدراسة التي بين ايدينا لا يمكن ان تعني موقفا نهائيا،وانها خطوة في مسيرة التطور التي تسلكها منظمة الاشتراكيين الاسرائيليين منذ تأسيسها .

وحتى الجناح الجديد « الاتحاد الشيوعي الثوري » ، الذي يوصف بانه قريب من « الماوية » فان برنامجه الذي بين ايدينا لا يقول لنا الا كم هو بعيد عنها ، ولا ريب انه من حقنا بالبداهة توقع تطور كبير في هذا البرنامج خلال المراحل المقبلة .

على انه ، بالنسبة لنا ، فان كل هذه النواحي الايجابية يجب الا تعني انه من الضروري التستر على النواحي السلبية: فاذا كان صحيحا ان « الماتسبن » ، كما يقول الكثيرون هو دليل على حدة التناقض الكامن في المجتمع الاسرائيلي ، واذا كان صحيحا ايضا ان نشاط « الماتسبن »السياسي سيؤدي الى مضاعفة حدة هذا التناقض ،وسيعمل من خلال التحريض والدعاية والتوعية على خلق شرائح معارضة متزايدة القيمة والحجم ، واذا كان صحيحا ثالثا انه ينبغي مساندة نشاط ماتسبن ، وتشجيعه ، ودعمه بمختلف الوسائل لانه يؤدي في نهاية التحليل الى واقع هو في مصلحة حركةالتحررالفلسطيني والعربي ، اذا كان ذلك كله صحيحا ، فانه من الصحيح ايضا ان النظرة النقدية لهذه الظاهرة هي ضرورية ، من الناحية العلمية والسياسية ، للتوصل الى تقدير حقيقي للموقف ، وللاسهام في الوصول الى الاستنتاجات الصحيحة .

ولهذا بالذات ، لا بد من وضع اطار من الملاحظات،تتعلق بالدراسة التي بين ايدينا ، وهي ملاحظات من نوعين ، النوع الاول منها يتعلق بمنهج هذه الدراسة ، والثاني بمضمون الافكار التي جرى عرضها .

● اولا : ان مقدمة المؤلفة تؤكد على ان دراستها هي « مجرد تلخيص وعرض » ، وهي كذلك في الواقع ، ولكن هذا بالذات هو ما يدعو الى تنبيه « الحس النقدي » ، اذا جاز التعبير ، عند قراءة الدراسة ، هذه الدراسة التي جاءت مصادرها ــ ربما لاسباب واقعية ــ في مجموعها ، من « الماتسبن » ذاتها .

وبالاضافة لذلك فان هذه الدراسة لا تتعرض ـ كما اشرنا ـ الى خط التطور الايديولوجي الذي طرأ على المنظمة منذ تأسيسها ، وكذلك فهي لا تتعرض باهتمام كبير لحقيقة حجم المنظمة المذكورة على صعيد الواقع السياسي في اسرائيل، او لواقع البنية الطبقية للمنظمة، او لواقع تركيبها التنظيمي .

وربما يؤدي هذا كله الى قليل من الخلط في الامور عند القارىء ، اذ ان هناك فارقا كبيرا بين عرض لاراء تقدمية تعبر عن نفسها بصورة من الصور داخل اسرائيل ، وبين الحديث عن منظمة سياسية بصفتها جزءا محوريا من عملية الصراع والتناقض داخل اسرائيل .

● ثانيا : من الضروري ان ينتبه القارىء الى ما يلي : ان منظمة « الماتسبن » منظمة صغيرة ، تشكل ظاهرة اكثر مما تشكل قوة سياسية او تيارا ثوريا داخل اسرائيل ، وهي مقتصرة على عدد من المثقفين الراديكاليين الذين يعودون في اصلهم الطبقي الى البورجوازية الصغيرة ، والواقع ان اهمية « الماتسبن » ، على وجه التحديد ، تعود الى كونها « اشارة اولية » ، ودليلا قويا على فشل « الحل الصهيوني » ، ومن الخطأ النظر اليها على انها قوة سياسية ، او انها تعبير مبلور عن تيار سياسي موجود في اسرائيل حاليا .

ان كثيرا من التقدميين اليهود في العالم قد جاهروا بآراء ماركسية وبتحليلات جريئة للمجتمع الصهيوني في فلسطين المحتلة ، والواقع ان رجال « الماتسبن » ينتسبون الى هؤلاء اكثر مما ينتسبون الى البنية السياسية في اسرائيل.

وهذه الملاحظة مهمة للغاية ، لان دراسة الماتسبن ، كي تكون مفيدة ، يجب ان تجري على الدوام من خلال وضع هذه الظاهرة في سياق ما ، ولا يكفي النظر التجريدي الى الاراء النظرية التي يرفعونها .

● ثالثا : ان سبب « شهرة » الماتسبن لا تعود الى

فعاليتهم الداخلية (مثل الحزب الشيوعي الاسرائيلي، راكاح، مثلا ــ أو حتى مجموعة افنيري) ، ولكنها تعود بالدرجة الاولى الى الجهد الاعلامي الذي بذلته « الاممية الرابعة » في باريس للترويج لهم ، وبالدرجة الثانية الى ما روجته بعض تنظيمات المقاومة عن «صلات نضالية» مع الماتسبن،وبالدرجة الثالثة الى المجلة التي اصدرها عدد منهم في لندن .

● رابعا : ان الاطار التنظيمي والايديولوجي للماتسبن اطار فضفاض ، فمن المعروف ان كثيرا من كتابها ينتمون الى التروتسكية ، وبعضهم لا يفعلون ذلك ، ومن الصعب التصور كيفية امكان العمل من خلال واقع كهذا الواقع ،ولعل الانشقاق الاخير هو دليل اولي على ذلك . ان مقال « الجراة على النضال » ــ في الملحق ــ هو اكثر اجزاء الدراسة صدقا من الناحية الموضوعية ، وهو يعكس على وجه التحديد المأزق الايديولوجي والتنظيمي للمنظمة .

● خامسا : من الناحية السياسية ، توجد مقاييس اساسية يجب اعتمادها عند دراسة ماتسبن ، واهم واحدمن هذه المقاييس هو « شكل النضال » ، وهذه مسالة جوهرية حين يكون الموضوع موضوع منظمة ماركسية ، وليس موضوع هيئة دراسية .

وفي هذا النطاق ، يجب تسجيل الملاحظة الاساسية التالية :

هنالك هوة من الفراغ ، تكاد تكون هائلة الضخامة ومستحيلة العبور ، بين الهدف الاستراتيجي الذي ترسمه المنظمة ، في جناحها الاصيل وجناحها المنشق ، وبين خطة العمل التي يجري تجاهلها بصورة مدهشة طوال عملية رسم الاهداف الستراتيجية البعيدة المدى . ويخيل الي ان هذه النقطة بالذات هي مفصل المأزق ، اذ ان الماركسية ، وهي النظرية التي لا يكف اعضاء الماتسبن عن الجهر بتبنيها ، هي

مهمة على وجه التحديد لكونها دليل عمل ، لكونها نظرية عمل وليس نظرية فحسب .

وعلى العكس ، فانه في الوقت الذي يقر فيه « الاتحاد الشيوعي الثوري» بان انشقاقه عن الماتسبن يعود الى انعدام البرنامج السياسي وانعدام تخطيط استراتيجية سياسية وانعدام وجود اطار تنظيمي لاستيعاب ذلك ، فان البرنامج السياسي الذي يطرحه كبديل لا يحتوي على « خطة عمل » ولا على تخطيط استراتيجي ، وبمعنى آخر فان المأزق الذي ادى الى الانشقاق يعود من جديد فيفرض نفسه على المنشقين.

ويعود ذلك الى جملة اسباب جوهرية ، ليس هنا مجال تعدادها ، الا انه لا بد من الاشارة الى ان جميعها ناجمة بالدرجة الاولى عن تلك الثغرة الكبرى المفتوحة بين الهدف الستراتيجي وبين شكل النضال الجدير بتحقيق مثل هذا الهدف ، وهي الثغرة التي لا يبدو في كتابات ماتسبن مايشير الى الاكتراث بحلها .

وبالاضافة لذلك ، فثمة معضلات اخرى ، جوهرية ، لا يبدو ان المنظمة تنوي حسمها على صعيد العمل :

ا ــ ان كتابات المنظمة تتجه نحو الاقرار المتواصل بالعسف القومي والطبقي الذي يتعرض له العرب داخل اسرائيل ، ومع ذلك فان هذا الاقرار لا يؤدي بالنتيجة الا الى الاتجاه نحو اعتماد شكل « النضال المطلبي » في كيان تعترف المنظمة بأنه كيان كولونيالي .

وهذا يشكل تناقضا من شأنه شل فعالية ونتائج الموقف النظري .

ب ــ الشيء ذاته يكاد يكون منطبقا على الواقع الطبقي ، في تحليلات الماتسبن ؛ فبالرغم من الاقرار بالطبيعة الكولونيالية لاسرائيل فان المنظمة تستطيع أن تشهد حالة الصراع الطبقي

داخل المجتمع الاسرائيلي ، ومع ذلك فهي لم تستطع ان تضع حلا لهذا التناقض المركب :

● استفادة الطبقة العاملة الاسرائيلية من الواقع الكولونيالي الاسرائيلي .

● وجود تناقض ، في الوقت ذاته ، بين الطبقة المستغلة (بالكسر) والطبقات المستغلة ، داخل اسرائيل .

● وجود تناقض ، في عين الوقت ، بين الواقع الكولونيالي لاسرائيل ، ككل ، وبين حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية . ان هذا التناقض المركب ، والجذري ، يحتاج جدليا الى شكل اكثر رقيا من جميع اشكال النضال التي تقترحها المنظمة او توصي بها ، والانشقاق الاخير هو ، في احد جوانبه ، تفجر نتج عن عدم قدرة المنظمة عن حل هذه المسألة .

ج ــ ان المنظمة ، التي تؤكد باستمرار على الجذور الطبقية للصهيونية ، وعلى كونها حركة رجعية كولونيالية ، وعلى ارتباطها العضوي بالامبريالية على جميع الاصعدة ، وعلى الطبقية التوسعية والعنصرية لهذه الحركة ، تعود فتتوج ذلك كله بالقول بان « قضية الشعب الاسرائيلي هي مسألة قومية ايضا » وان هناك شيء اسمه«الكيان القومي العبراني» وهذا موقف تعسفي يلغي كل الاجوبة المنطقية التي يمكن للمنظمة ان تصل اليها ، عبر تحليلها الاساسي ، للاسئلة التالية : من هو اليهودي ؟ من هو الصهيوني ؟ من هو الاسرائيلي ؟ ومن هو الفلسطيني ؟

ان اصل هذا الموقف ، كما يبدو لنا ، يعود الى نظرية رودنسون بوجود « قومية في طور التكوين » في اسرائيل ، وهي نظرية تحاول ان تعطي للاستعمار الاسكاني منطق «الحق بالاكتساب » و « التجذر بالاستيطان » ولا ريب ان مثل هذه النظرية تستهدف القفز فوق وقائع الامور بدافع الخشية من

الاقرار بعظم مستوى الصدام بين هذا الشكل من الاستعمار الممتزج بالامبريالية ، وبين حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية .

ان مثل هذه الافتراضات خطيرة ، لانها ادت بالمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية الى « اكتشاف » حالتين متوازيتين في « الواقع الشرق ــ اوسطي » : رجعية صهيونية ورجعية عربية ، ولا ريب ان هذا الاكتشاف هو تبسيط ميكانيكي لواقع الصراع ، وهو يقفز عن حقيقة الصفة الكولونيالية للرجعية الصهيونية ، وكون هذه الرجعية الكولونيالية هي الاساس المادي والايديولوجي للوجود الاستيطاني الذي حققته من قلب الهجمة الامبريالية وميكانيكيتها ضد حركة التحرر العربية ، وضد الوجود المادي لشعب فلسطين العربي على ارضه .

ان هذا التشويش والتعارض في موقف «الماتسبن» هو الذي ادى ، مع نقاط اخرى ، الى الشلل ازاء حل موضوعة شكل ومستوى النضال القادر على تلبية المهام التي لا بد من تأديتها في الطريق لتحقيق الستار الستراتيجي .

د ــ ان المنظمة لم تخف ، في عدة مرات ، ايمانها بان اسقاط الصهيونية لا يمكن ان يتم الا بالعنف ، ولكن يبدو ان هذا الكلام لا يجد القناة الواقعية في برنامج «الماتسبن» : فالى جانب هذا الايمان يوجد ايمان اخر هو ان « استخدام العنف لفرض اي حل ، حتى لو كان الحل الصحيح ، على الشعب الاسرائيلي ، بعد اسقاط الصهيونية ، هو غير مبرر بالتأكيد» لان حق تقرير المصير « يعني ، من ضمن ما يعينه ، حق الانفصال وليس الاندماج فقط » .

ان هذين الايمانين متعارضان ، والواقع ان واحدهما ينفي الاخر ، اذ ان الافتراض الكامن وراءهما ، كما يبدو ، هو أن سقوط الصهيونية ممكن دون تفجر التناقضات الى اعلى

مدى داخل الكيان الكولونيالي ، واندماج شرائحه المتقدمة بحركة التحرر الوطني العربية اندماجا عميقا .

ان القفز في مواقف الماتسبن،بين الشعارات الاممية ، وبين الاطر القومية يأخذ في كثير من الاحيان طابع الانفصام الكلي ، واحيانا طابع الاغراق في كل منهما على حده بصورة تفتقد الى التفكير الجدلي : أن هذين الايمانين المتعارضين يتناقضان معتحليل الماتسبن ذاتها عنجذور الصهيونية ،هذه الصهيونية التي تقوم على « تعميم ظاهرة اضطهاد الاقليات على كل زمان ومكان ، وارادة المحافظة على القومية اليهودية وانقاذها من محاولات الدمج والتمازج » والتي «نجحت في استعمار فلسطين وجعل المهاجرين من اليهود اكثرية سكانية تتحكم بالسلطة السياسية » والتي « تحولت الى جزء لا يتجزأ من النظام الاستعماري » والتي هي في الاساس خطة « لحل المسألة اليهودية عن طريق اقامة دولة قومية لليهود » تلك الدولة القومية التي كان برنامجها « احلال قوم محل العرب ، وليس مجرد استغلالهم » ..

.. وبعد ذلك كله يظل بالامكان في استنتاجات ماتسبن، ليس فقط الغاء الصفة الصهيونية بالعنف دون تمزيق هذه الدولة القومية ، ولكن ايضا بقاء الكيان السياسي هذا قائما ومتمتعا بكل حقوقه الاقليمية والكيانية ، ومستخدما حق تقرير المصير حتى في جانبه الانفصالي .

لعله من المفيد في هذه المناسبة ، ان نذكر انه في فترة متقاربة من اواسط القرن الماضي كان ماركس ماركسيا حقيقيا في موقفين يبدوان لاول وهلة متناقضين : فقد رفض ماركس في عام ١٨٤٨ فكرة اعطاء الشعب التشيكي ، انذاك ، حق تقرير المصير باعتباره يندرج تحت ما اطلق عليه اسم « الامم الرجعية » ،وفي نفس الوقت تقريبا اعتبر الوحدة الالمانية ، التي كانت انذاك تبنى بالاداة البسماركية ، بانها مطلب وطني الى حد وصفها بأنها « وحدتنا نحن » ، وفي كلا الموقفين ،

اللذين يبدوان لاول وهلة متعارضين ، لم يكن ماركس الا ماركسيا .

ان ما يهمنا ، من التعارض الذي تقع فيه «الماتسبن» بين دعوتها لهدم الصهيونية بالعنف ، ثم الايمان بامكانية بقاء الكيان السياسي الذي انشأته وحتى المضي الى حد الدفاع عنه في حال استخدام العنف « لدمجه » ، ان ما يهمنا هنا هو ان هذا التعارض يشل امكانية اقرار شكل نضالي يتناسب مع امكانية تحقيق هدف استراتيجي .

هذه كانت امثلة ، من الممكن المضي فيها بالتفاصيل ، حول مسألة اشكال النضال ، التي هي مسألة جوهرية ولا يمكن تجاهلها .

● سادسا : نقول ان مسألة اشكال النضال هي مسألة جوهرية ومحورية في هذا النطاق ، لاسباب معينة ومحددة تتعلق بالواقع الموضوعي الراهن ، والذي من خلاله ينبغي قياس اتجاهات وحجوم وبرامج ومنطلقات المنظمات السياسية .

وفي هذا المجال يهمنا الاشارة الى نقطتين اساسيتين من بين النقاط الكثيرة التي يمكن ادراجها تحت هذا البند :

أ ـ ان حركة المقاومة الفلسطينية ، التي كانت محصلة التطور الطويل للصراع الرهيب الذي فرض نفسه على هذه الحقبة من الزمن ، قد جاءت لتضع مستوى جديدا في النضال هو مستوى الكفاح المسلح ، على اعتبار ان التناقضات الراهنة بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية ، وبين معسكر العدو الهائل الضخامة (اسرائيل ، الصهيونية ، الامبريالية والرجعية العربية) لا يمكن حسمها الا بالعنف الثوري ، لانها تشكل حلقة اساسية وصلبة ومبلورة كليا لحالة الصدام بين الامبريالية من جهة وبين حركات التحرر الوطني في « العالم الثالث » من جهة ثانية .

ولهذا الواقع نتائج على الصعيد العملي ، اذ ان القياسات تضحى بالدرجة الاولى متعلقة بمدى قرب او بعد اية حركة من الحركات التقدمية عن استراتيجية الكفاح المسلح هذه .

طبعا من غير الممكن تبسيط هذه المسألة بصورة ميكانيكية فهي مسألة شديدة التعقيد ، ولكن ما يهمنا هنا على وجه التحديد هو جواب السؤال التالي: اين تقع حركة «الماتسبن» من خريطة الكفاح المسلح الفلسطيني في مرحلته الراهنة ؟

ان هذا السؤال مهم ، ونحن لا نقصد ان جوابه يجب ان يكون شعاريا ، من نوع لا أو نعم ، ولكن لا شك ان جوابه يتعلق بشكل مباشر بمخططات الماتسبن ، وبرنامجها السياسي ، وخطواتها التكتيكية ، وتحليلاتها ليس فقط للقوى التي يمكن دخولها الى خارطة الكفاح المسلح ، ولكن ايضا اسلوب وحيثيات هذا الدخول .

انه من المعروف ان مستقبل الكفاح المسلح مطالب بان يقدم للتجمع اليهودي في اسرائيل بديلا ، وهذا البديل ليس من السهل اعطاؤه صفة الاقناع لان عليه ان يتجاوز في قوته قوة الامتيازات التي تتمتع بها ، بصور متباينة ، مختلف الطبقات في اسرائيل .

ومثل هذا البديل لا يمكنه ان يصبح فعالا ، ويصبح قادرا على تفتيت التماسك الكولونيالي داخل المجتمع الاسرائيلي ، الا اذا كان قادرا ليس فقط على طرح صورة مقنعة ، ومحتملة وممكنة لمستقبل تنتفي فيه اشكال الاضطهاد الوطني والطبقي والعرقي والديني ، ولكن ايضا اذا كان قادرا في نفس الوقت على تصعيد التناقض داخل اسرائيل الى مستوى الصدام ، ليس نظريا فحسب ، ولكن عمليا ايضا .

ان مثل هذه الصورة لا يمكن ان تحدث الا من خلال انحياز عناصر وتجمعات من داخل اسرائيل ، اكثر فاكثر ، نحو الكفاح المسلح ، او بكلمة ادق نحو تكتيكات قادرة على

الايصال الى ذلك الشكل من اشكال النضال .

وفي سبيل تحقيق ذلك فان النضال السياسي يجب ان يأخذ طريقا خاصا، ولا يبدو انه بالامكان ان يكون هذا الطريق داخل اطار العائلة السياسية الاسرائيلية ، ومحتوى من قبل قنواتها ومؤسساتها ، بل عليه الاتجاه في طريق مختلف كليا وجذريا .

وهكذا فان القياس الذي ينبغي اعتماده بالنسبة لبرنامج اي حزب من الاحزاب الاسرائيلية لا يمكن فصله عن واقع التوجه الذي انطلقت فيه الحركة الوطنية العربية ، اي الكفاح المسلح .

ان هذا المقياس ، بالطبع ، لا يمكن اعتماده لقياس برامج الاحزاب التي لا تدعو الى تصفية الكيان الاسرائيلي ، مثل حزب راكاح ، اذ انها لا تطرح افقا استراتيجيا مثل أفق ماتسبن . ولكن امام شعارات مثل شعارات ماتسبن فانه من الصعب اعتماد مقياس اخر .

ب ــ ان الحركة الصهيونية ،من جهة اخرى ، ليست موقفا ايديولوجيا فحسب ، بل هي دعوة ، لها ميكانيكيتها الخاصة ، ان العمود الفقري لهذه الميكانيكية هو الهجرة ، هجرة اليهود الى اسرائيل من جميع انحاء الارض .

ورغم ان ماتسبن تتحدث بصواب وبعمق عن مكانة الهجرة في البنية الصهيونية ، وعن خصائص « مجتمع المهاجرين » ، الا انه لا يبدو في البرامج التي بين ايدينا ، الخاصة بالمنظمة ، اي مخططات تتعلق بهذه النقطة المحورية في الصهيونية .

بكلمة اخرى : ان مناهضة الصهيونية ومقاتلتها ليست مسألة تحليل نظري فحسب،بل هي بالنسبة لمنظمة اسرائيلية ينبغي ان تكون خطة عمل تستهدف مواجهتها في ميادينها .

ويبدو من الصعب ، على صعيد عملي وموضوعي ، الا تكون احد النقاط الاساسية في الصراع مع الصهيونية (التي تحث على الهجرة ، وتنشىء مجتمع مهاجرين مستوطنين) هي النقطة التي تدعو الى الامتناع عن الهجرة ، والى الحث على الهجرة المضادة .

وهذه نقطة اساسية تحتاج الى بحث ، ذلك انه اذا كانت الهجرة الى فلسطين ، في قوانين رواد الصهيونية ومنظريها ، الشكل الاساسي للتعبير عن الولاء للايديولوجية الصهيونية ، فكيف يمكن ان يعبر الولاء للايديولوجية الثورية المضادة للصهيونية عن نفسه الا بالهجرة المضادة ؟

ان هذا الكلام لا يقصد القول بان جميع المناهضين للصهيونية في اسرائيل يجب ان يعبروا عن ذلك بالهجرة الى بلادهم الاصلية ليشاركوا في النضال حيث يمكن اجتثاث جزء من جذور هذه الحركة الكولونيالية ومسبباتها ، ولكنه حتما يقصد الى القول بان هذه الهجرة المضادة يجب ان تصل الى مستوى التعبير عن الالتزام بالايديولوجية الثورية ، ويجب ان تكون جوهر العمل المرحلي ، ليس بسبب «الاعداد» التي يمكن حملها على ذلك السلوك ، ولكن بسبب المناخ السياسي والاجتماعي الذي يمكن لحملة من هذا النوع ان تنشره داخل اسرائيل ، وفي التجمعات اليهودية التي تعتبرها اسرائيل احتياطيها في الخارج .

ان خطا من هذا النوع ، من خلال تطوره التدريجي ، يشكل مواجهة مباشرة لاحدى اهم النقاط الامامية في الايديولوجية الصهيونية ، وكذلك لمفصل من مفاصل ذلك الالتقاء الصميمي بين الامبريالية والصهيونية ، من حيث

كونهما مطرقة وسدان عملية الغزو بالهجرة (*) .

ان هذا الكلام لا يقصد بالطبع القول بان حركة المقاومة الفلسطينية خصوصا ، والحركة الثورية العربية عموما ، هي على مستوى من الصواب المطلق فيما يتعلق بفهمها الظاهرة الامبريالية الصهيونية ، وفيما يتعلق بالبرامج والشعارات والتكتيكات التي تعتمدها لحل التناقض القائم ، فلا ريب ان امام حركة المقاومة ، وهي واقفة الان على ابواب التحول الى ثورة ، الكثير من المهمات التي عليها ان تنجزها ،والكثير من المراجعات والمحاكمات التي على اساسها يجب ان تبنى قصورا للمستقبل ، وهو التصور الجديد ، من خلال تصعيد النضال المسلح في سبيل تحقيقه ، جدير بان يضاعف التناقضات في صفوف العدو ، ويدفع بالطبقات صاحبة المصلحة الحقيقية بالثورة بقادتها والمضي بها نحو اهدافها .

على ان حركة المقاومة الفلسطينية فيما تمثله قد شقت طريقا في الكفاح المسلح اهم ما فيه انه اظهر الاداة الوحيدة القادرة على حل هذا الصراع الصدامي مع الغزوة الامبريالية ، واظهر انه جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني العربية (التي هي بالطبع حلقة من حلقات الحركة الثورية في منطقة الشرق الاوسط ، ويبدو – في هذه المناسبة – ان اصرار الماتسبن على استخدام كلمة «جمهورية

(*) : في هذا النطاق يوجد مثل محدد : ان الكاتب « الاسرائيلي » التقدمي ناتان فاينشتوك الذي هجر اليسار الصهيوني الى الماركسية اختار فيما بعد ان يترك اسرائيل عائدا الى موطنه الاصلي في بلجيكا ، للعمل من خلال تنظيم نضالي بلجيكي ، وقد اتخذ هذا الاجراء – كما قال في كتابه « الصهيونية ضد اسرائيل » – لانه لم يعد يستطيع التوفيق على الاطلاق بين موقفه الاممي وبين بقائه في اسرائيل .

اشتراكية في الشرق الاوسط » يهدف الى التقليل من الهوية العربية للثورة الفلسطينية ، ومثل هذه التسوية اللفظية تجعل من الاكثر يسرا للماتسبن انيتوصل الى نتائج عامة).

نقول ، رغم ذلك ، فان امام المقاومة الفلسطينية التي تطمح الى الوصول الى حرب تحرير شعبية طويلة المدى ، مسافات شاسعة لقطعها ، ولا ريب انه في هذه المسافات سيتغير الكثير من الموضوعات التي تطرحها الماتسبن وكأنها خالدة ، ولا ريب ايضا ان الجماهير اليهودية في كل مكان ستعزز ، بالرغم من كل عمليات التضليل والتثقيف الرجعي والامتيازات والحقن بعقد العظمة ، طلائع مناضلة تقاتل بالسلاح في معركة الجماهير العربية ، من اجل خلق المجتمع الديمقراطي الذي تنتفي فيه كل اشكال الاضطهاد .

غسان كنفاني

تمهيد

في الفترة التي لحقت بحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ومع صعود حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة طرأت زيادة ملحوظة في اهتمام اوساط عربية (وفلسطينية بشكل خاص) عديدة بالمجتمع الاسرائيلي وتركيبه الداخلي وقواه الطبقية والسياسية واتجاهاته الفكرية والايديولوجية . وكما هو متوقع فقد كان لزيادة هذا الاهتمام موقع هام في اوساط العمل الفلسطيني وخاصة في اوساط الطرف التقدمي الثوري منه . ومن الاسماء التي برزت في المناقشات الدائرة حول دولة اسرائيل ومجتمعها اسم « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » (ماتسبن) وذلك بسبب الافكار الثورية التي بدا انها تطرحها حيال القضية الفلسطينية عامة وحيال أسباب حرب حزيران ونتائجها محليا وعالميا . وليس بخاف على المراقب لتطور الاحداث ان جدلا برز في اوساط العمل الفلسطيني حول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية وحول طبيعة الموقف الثوري الذي ينبغي تحديده منها ومن أية قوى مشابهة تظهر في اسرائيل . كذلك ليس بخاف على أحد ان ادوات تعبير فكرية وسياسية مهمة مثل مجلات **الهدف** و**الحرية** و **دراسات عربية** كانت المنابر التي جرى عليها النقاش والجدل حول الموضوع ، بالاضافة الى ان هذه المنابر كانت قد لعبت دورا مهما ومفيدا في تعريف القارىء في العالم العربي على المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية وبعض مواقفها .

بالرغم من هذه الجهود المفيدة بقيت المعلومات المتوافرة

عن المنظمة ضئيلة ومحدودة لا تتعدى نشر بعض المواقف المعلنة لها حول الواقع الحاضر للصراع العربي الاسرائيلي ومع غياب كامل لاية معلومات حول تاريخ المنظمة وخلفيتها السياسية وتطورها الفكري والتنظيمي والنضالي . لذلك حاولت في هذا الكتاب سد هذه الثغرة عن طريق تجميع اكبر كمية ممكنة من المعلومات عن تاريخ المنظمة ونموها وتطور مواقفها السياسية والفكرية والايديولوجية ،وعرضها على القارىء العربي عامة وعلى الاوساط الثورية والمهتمة بقضايا الفكر الاشتراكي بالتحديد . بعبارة اخرى كتابي مجرد تلخيص وعرض لاهم وجهات النظر التي طرحتها المنظمة والتحليلات التي قدمتها حول شتى القضايا المعنية مثل : المؤسسات الرئيسية للمجتمع الاسرائيلي ؛ تاريخ الحركة الصهيونية الاستعماري ؛ النزاع العربي الاسرائيلي ومستقبله الخ ...

لقد جمعت هذه المعلومات من مصدرين رئيسيين هما: اولا ، كل ما استطعت ان احصل عليه من منشورات المنظمة وبياناتها السياسية الصادرة باللغات العربية والانكليزية والعبرية ، ويجد القارىء ثبتا بهذه المراجع في نهاية الكتاب. ثانيا ، مقابلة مطولة اجريتها في احدى العواصم الاوروبية مع احد الاعضاء القياديين والمؤسسين في المنظمة حصلت فيها على معلومات مهمة حول نشوء المنظمة وتطورها التنظيمي بالاضافة الى ايضاحات وافية عن عدد من النقاط التي اثارت جدلا حول وجهات نظر المنظمة في الاوساط العربية والفلسطينية التقدمية بسبب عدم الوضوح الذي يبدو أنه أحاط بها أحيانا . واذكر هنا على سبيل المثال مسألة الدولة الديمقراطية الاشتراكية التي يفترض ان يعمل من اجلها كل اشتراكي ثوري في المنطقة ، وقضية مبدأ حق تقرير المصير كما طرحتها المنظمة بالنسبة للفلسطينيين والاسرائيليين .

أرجو ان اكون قد نجحت الى حد ما في تعريف القارىء

العربي على المنظمة وآرائها ومواقفها بصورة اكثر شمـولا وتكاملا مما كان متوافرا في السابق . كذلك أرجو أن يكون في المادة المعروضة ما يجيب على بعض التساؤلات التي بقيـت معلقة في المناقشات التي جرت حول المنظمة في الاوساط العربية والفلسطينية المعنية .

ليلى سليم القاضي

بيروت ، اذار ١٩٧١

الفصل الأول

تاسيس المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية

تشكلت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في خريف ١٩٦٢ من قبل جماعات كانت تنتمي الى ثلاث حركات سياسية صغيرة في اسرائيل :

١ ــ جماعة انشقت عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي

٢ ــ جماعة انشقت عن حركة العمل السامي («Semitic Action» Movement)

٣ ــ جماعة من التروتسكيين .

على الصعيد الفردي جاءت المبادرات الرئيسية من جانب اربعة اشخاص كانوا اعضاء في الحزب الشيوعي وهم عكيفا اور (١) (Akiva Orr) ، موشيه ماخوفر (٢) (Moshe Machover) عوديد بيلافسكي (٣) (Auded Pilavski) ، يرمياهو كابلاند(٤)(Yermiyaho Capland). في ما يلي بعض

---

(١) من مواليد المانيا ، هاجر الى فلسطين وعمره ثلاث سنوات ، من سكان القدس .

(٢) من مواليد فلسطين عام ١٩٣٦ ، كان محاضرا فى الجامعة العبرية ، من سكان القدس .

(٣) من مواليد فلسطين المحتلة ، كان طالبا فى الجامعة العبرية ، من سكان تل أبيب .

(٤) من مواليد فلسطين ، كان طالبا فى الجامعة العبرية وقد ترك المنظمة بعد فترة قصيرة من انشائها .

المعلومات عن كل من هذه المجموعات المنشقة (ابتداء بالمجموعة التي خرجت من الحزب الشيوعي الاسرائيلي) وعن وجهات نظرها في تأليف المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية . كان الدافع الرئيسي وراء تشكيل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (وفقا لما يقوله المؤسسون من اعضاء الحزب الشيوعي سابقا) الحاجة الى مجموعة ثورية تكون قادرة على ان تضطلع بالمهمات التي برهن الحزب الشيوعي الاسرائيلي انه غير قادر على حملها ، أو بعبارة اخرى العمل السياسي والنضال على أساس برنامج ثوري . لا بد من الاشارة هنا الى ان تشكيل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية يرتبط اصلا بالبعث الذي شهدته الحركات اليسارية على الصعيد العالمي في أوائل الستينات وقبيل النزاع العلني الذي حصل بين الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين الشعبية . ومن المعروف ان حركات اليسار هذه جاءت لاسباب عديدة منها الخيبة التي اصيب بها عدد كبير من المناضلين الاشتراكيين بسبب سياسات الاحزاب الشيوعية الكلاسيكية التي ظهر انها فقدت طابعها الثوري والكفاحي . ومع أن اسم المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية قد ارتبط بالاذهان في الفترة الاخيرة بمواقفها من القضية الفلسطينية عامة ومعاداتها للمؤسسة الصهيونية الا أن تاسيسها في البداية لم يكن مرتبطا بصورة مباشرة بالقضية الفلسطينية نفسها او بالصراع العربي الاسرائيلي بقدر ما كان جزءا من موجة اليسار الجديد ومفاهيمه وتنظيماته التي انبثقت في كثير من انحاء المعسكر الرأسمالي والعالم الثالث . وبتحديد أكبر ان الحدثين الرئيسيين اللذين دفعا في الاتجاه اليساري في الاوساط الشيوعية عامة في اسرائيل كانا الثورة الكوبية و « اللاثورة » العراقية ، عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ . في الواقع لم يقتصر تاثير هذين الحدثين الهامين على منطقة الشرق الاوسط بل امتدت اثارهما الى الحركات اليسارية والشيوعية على الصعيد العالمي . لقد اوضح كل من الثورة الكوبية و « اللاثورة »

العراقية طبيعة الدور الذي يلعبه الحزب الشيوعي التقليدي في كل من هذين البلدين .

في السنوات التي سبقت الثورة الكوبية مثلا كان يسود نوع من الايمان المطلق بأن الحزب الشيوعي ليس هو الحزب الثوري فحسب بل لا يمكن قيام أية ثورة اشتراكية بدون مشاركه الحزب الشيوعي ، كما انه لا يمكن ان تحدث أية ثورة ضد مشيئة الحزب الشيوعي . كان هذا نوعا من الايمان الصوفي لدى الكثيرين من عناصر الاحزاب الشيوعية ومناصريها بما في ذلك الحزب الشيوعي الاسرائيلي وغيره من احزاب منطقة الشرق الاوسط . لم يكن بامكانهم ان يتصوروا امكانية قيام حزب ثوري بصورة منفصلة عن الحزب الشيوعي او بصورة معارضة له . لذلك كان لنجاح الثورة الكوبية تاثير كبير على الحركات اليسارية الجديدة عامة وعلى مؤسسي المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية اذ تبين لاول مرة انه باستطاعة قوة من خارج الحزب الشيوعي وباستقلال عنه القيام بثورة لم يكن الحزب يرغب فيها أو يعتقد بامكانية تحقيقها . لقد دعي كاسترو مغامرا ووصف بأوصاف اخرى مشابهة من قبل الحزب الشيوعي الكوبي . مع ذلك تمكن كاسترو وجماعته من قيادة الثورة الكوبية التي كانت ذات طبيعة اشتراكية ، ولم يلعب الحزب الشيوعي الكوبي اي دور هام في انتصار الثورة كما هو معروف .

كان في كل ذلك دروس هامة لمؤسسي المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، اذ رأوا انه قد يكون من الضروري اتباع طريق آخر غير طريق الاحزاب الشيوعية لانجاز الثورة الاشتراكية.

من ناحية ثانية رأى مؤسسو المنظمة انه عند قيام ثورة عبد الكريم قاسم في العراق عام ١٩٥٨ اتيحت الفرصة أمام الحزب الشيوعي العراقي كي يستلم السلطة وخاصة في عام ١٩٥٩ . في الواقع ترى المنظمة ان الفرصة التي اتيحت

للحزب الشيوعي في العراق لاستلام السلطة كانت اكبر بكثير من الفرصة التي توافرت للحزب البلشفي في روسيا عام ١٩١٧ . كانت الظروف في العراق ملائمة جدا حيث كان الحزب الشيوعي التنظيم السياسي الوحيد الموجود بفعالية في العراق في تلك الفترة ، كما كان يتمتع بتأييد واسع بين الجماهير . لكن الحزب فوت الفرصة على نفسه ولم يقم بأية محاولة جدية لاستلام السلطة . كان الجدل في الحزب يدور حول ما اذا كان سيطالب ببعض المناصب الوزارية أو أن يؤيد الحكومة بدون الاشتراك بها .

تعتقد المنظمة الاشتراكية ان كل هذه الاشياء كانت واضحة للثوريين في العالم وخاصة لابناء الشرق الاوسط منهم . بعبارة اخرى تبين بوضوح اكبر من أي وقت مضى ان الاحزاب الشيوعية لم تعد احزابا ثورية حقيقية بل اصبحت تعمل وكانها ليست اكثر من مكاتب علاقات عامة موظفة لحساب الاتحاد السوفياتي .

فيما يلي ذكر للحدث المباشر الذي انشق على اثره مؤسسو المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي : فيعام ١٩٦١ عقد فيموسكو اجتماع قمة للاحزاب الشيوعية العالمية . وعند عودة سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي من الاجتماع اعلن معارضة الحزب للكفاح المسلح حتى لو كان هدفه تحقيق الثورة الاشتراكية ، كما اعلن ان الحزب يتبع سياسة مسالمة . في الواقع لم يكن هذا الخط جديدا تماما على الحزب لانه كان قد تم اعلانه بوضوح عام ١٩٥٦ في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . اما الاسباب التي أخرت ردود فعل مؤسسي المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في تلك الفترة (وفقا لما يقولونه) فكانت بعض الاحداث المحلية من جهة ووقوع العدوان الثلاثي على مصر من جهة اخرى ، علما بان موقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي من العدوان الثلاثي كان سليما بشكل عام اذ ادان العدوان واعلن

موقفا واضحا ضده .

لا بد من الاشارة هنا الى ان موقف مؤسسي المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية من الحزب الشيوعي لم يكن نابعا من التحليل التبسيطي القائل بان كل شيء كان على ما يرام في القيادة السوفياتية حتى وفاة ستالين ، وان ما يجري في موسكو الان يرتد الى تحريفية المجموعة الحاكمة هناك باعتبارها تميل نحو الاصلاحية باستمرار . تعتبر المنظمة الاشتراكية ان بذور السياسة الاصلاحية الحالية للقيادة السوفياتية والسياسة اللاثورية للاحزاب الشيوعية تعود الى العهد الستاليني نفسه . أي ان السياسة الخارجية السوفياتية القائمة على المحافظة على الوضع القائم في العالم بدلا من العمل على تغييره لم تكن ملازمة بالضرورة للخروتشوفية بل كانت شيئا موروثا عن الستالينية ، مع فارق واحد هو أن العهد الستاليني كان يغلف هذه السياسة بالتعابير الثورية . يضاف الى ذلك ان نقد مؤسسي المنظمة في تلك الفترة لم يكن موجها الى الاتحاد السوفياتي نفسه بل الى الاحزاب الشيوعية ، مثل الحزب الشيوعي العراقي والحزب الشيوعي الاسرائيلي وبقية الاحزاب التي سمحت لنفسها بأن تكون مجرد تابع للسياسة الخارجية السوفياتية .

نتيجة للقناعات التي تبلورت لدى عدد من اعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلي وعلى اساس الاعتبارات التي ورد ذكرها قام هؤلاء بالاتصالات الضرورية مع فئات وشخصيات أخرى لتأسيس منظمة يسارية ثورية جديدة . عن هذا الطريق تم الاتصال بالجماعة التي انشقت عن حركة « العمل السامي » فيما بعد ، وبالمجموعة التروتسكية التي ورد ذكرها .

كانت جماعة من حركة « العمل السامي » قد توصلت الى الاستنتاج بان شعار الحركة القديم « يا ساميو الشرق

الاوسط اتحدوا » غير قادر على اعطاء الاساس الايديولوجي والسياسي لحل مشكلات الجماهير الشعبية التي تعيش في منطقة الشرق الاوسط مع العلم بأن مسألة النزاع الصهيوني الفلسطيني ، في نظر هذه الجماعة ، هي احدى هذه المشكلات الاكثر بروزا وخطورة . لذلك توصلت المجموعة المنشقة الى قرار يقول بان شعار « ايها الثوار الاشتراكيون في الشرق الاوسط اتحدوا» وحده يمكن ان يكون اساسا للعمل السياسي والنضالي لتحقيق حل لمشكلات الجماهير في الشرق الاوسط. كما توصلت هذه الجماعة الى نتيجة اخرى تقول انه ليس بالامكان ايجاد حل قومي لمشكلة قومية ، وان الايديولوجية القومية وسياساتها لا يمكن ان تزيل التعصب القومي والتمييز والاضطهاد ، ان كل ما تستطيع تحقيقه هو قلب الادوار بين المضطهد (بفتح الهاء) والمضطهد (بكسر الهاء) ، بين الذي يمارس (بكسر الراء) التمييز والذي يمارس (بفتح الراء) التمييز ضده . على هذا الاساس تحولت هذه الجماعة الى الاممية أي الى الاشتراكية والثورة ، وفقا لما يقولونه عن انفسهم .

أما التروتسكيون فقد كانوا يهاجمون السياسات الستالينية القائمة على فكرة بناء الاشتراكية في بلد واحد وينتقدون المبدأ الستاليني القائل بأن ابرز واجب يقع على عاتق الثوري ليس القيام بالثورة بل الدفاع عن السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي . كما انهم بذلوا جهودا كبيرة في فضح التزوير الستاليني لتاريخ الحزب البلشفي والثورة الروسية ، وتصفيته لكافة الكادرات الثورية في الحزب البلشفي تصفية تامة ، كذلك وجهوا النقد لوجهة النظر التي عرضها اسحق دويتشر حول ستالين حيث اعتبره « ضرورة تاريخية » اذ اعتبر التروتسكيون ذلك نوعا من التبرير التاريخي للامر الواقع ، وهم يقولون ان مثل هذا الرأي يمكن ان يرضي بعض المؤرخين ولكنه لا يمكن ان يرضي الانسان

الثوري الذي يعمل عن وعي في سبيل تغيير « اوضاع قائمة موضوعيا » باعتبار ان التاريخ ليس ميدان « الظروف الموضوعية» فحسب بل هو ايضا ميدان اناس فعليين يعيشون ويكافحون باستمرار لتغيير الظروف التي يجدون انفسهم فيها .

بطبيعة الحال عقدت اجتماعات عديدة بين هذه الجماعات الثلاث لمناقشة القضايا المطروحة .وفي حوالي شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ بدأ وجود هذه الحلقات والاجتماعات يعرف وانتشرت الاخبار عنها بواسطة الصحافة . عندئذ بدأ التفكير الجدي من قبل البعض بضرورة الانفصال عن الحزب الشيوعي وتشكيل مجموعة ثورية جديدة لان الحاجة الى ذلك اصبحت واضحة لهم . ومن العوامل التي سارعت في عملية الخروج من الحزب الشيوعي انتشار الاخبار عن وجود هذه الحلقات مما لا يسمح به الحزب بسبب جموده وافتقاره الى الديمقراطية الداخلية . بتحديد اكبر يقول مؤسسو المنظمة الاشتراكية انه لم يكن يفترض في الاعضاء التابعين لفروع مختلفة من الحزب الشيوعي أن يجتمعوا ويناقشوا المسائل الايديولوجية .

وكان أول ما فكر به مؤسسو المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية هو اصدار نشرة منتظمة اطلقوا عليها اسم **ماتسبن** (البوصلة) . ظهر العدد الاول منها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٢ . ومعروف ان المنظمة بدأت صغيرة جدا وهي لا تزال صغيرة نسبيا حتى يومنا هذا .

المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية من الناحية التنظيمية :

يتمركز العمل التنظيمي حول هيئتين اساسيتين في المنظمة : هيئة تحرير المجلة ، والمركز السياسي ، علما بأن الهيئتين تندمجان في كثير من الاحيان . ومن المبادىء التنظيمية الهامة في المنظمة العمل على تبديل اعضاء الهيئتين

بكثرة كي تتاح الفرصة لاكبر عدد من الاعضاء لاكتساب الخبرة الضرورية للعمل المطلوب . لذلك يتم تبديل ما يقارب من ثلث اعضاء المركز السياسي كل بضعة اشهر . كما ان اجتماعات المركز مفتوحة لكافة الاعضاء في المنظمة . اي باستطاعة اى عضو ان يحضر كمراقب وان يناقش . غير ان التصويت لا يحق الا لاعضاء المركز السياسي . ويتفاوت عدد اعضاء المركز من فترة لاخرى غير ان معدل عدد اعضائه هو خمسة اشخاص.

في المدن التي يوجد فيها للمنظمة فروع يعقد الاعضاء اجتماعات نظامية مرة في الاسبوع لمتابعة الاعمال اليومية . كذلك تعقد اجتماعات مكرسة للدراسات السياسية تكون اما اسبوعية او نصف شهرية لدراسة القضايا النظرية . يضاف الى ذلك الاجتماعات الموسعة التي تعقدها المنظمة في امكنة شبه عامة في بعض الاحيان ويحضرها جمهور من غير اعضاء المنظمة نفسها بهدف التثقيف والاعلام .

ان مقدار الاشتراك المالي الذي يدفعه الاعضاء غير محدد لانه يتعين على اساس مقدرة كل عضو على الدفع وفق الدخله. ومن الناحية العملية يحدد كل عضو في المنظمة المقدار الذي سيقدمه الى التنظيم كبدل اشتراك . بطبيعة الحال يقع الاعضاء تحت ضغط معنوي كي لا يتهربوا من تسديد اشتراكاتهم او تحديدها باقل مما يسمح لهم دخلهم بدفعه .

يمر كل عضو مرشح للانتماء الى المنظمة بفترة تجربة مدتها ستة اشهر . خلال فترة التجربة على المرشحين القيام بكافة واجبات العضوية باستثناء التصويت . ويبدو ان مستوى النشاط السياسي في المنظمة يعتبر مرتفعا بالمقارنة مع الجماعات اليسارية الاخرى المشابهة في خارج فلسطين المحتلة ، كما انه من المؤكد ان الانتماء الى المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في ظل الظروف السائدة في اسرائيل لا يمكن ان يكون ترفا . انه اختيار صعب وشاق . لذلك لا يدخل الى

المنظمة الا من كان مكرسا نفسه حقا للعمل بداخلها . ولذلك لا تواجه المنظمة ، على ما يبدو ، اية متاعب كبيرة لجهة تقصير الاعضاء في القيام بواجباتهم او في حضور الاجتماعات او في تسديد اشتراكاتهم . مع ذلك تنص اللوائح الداخلية للمنظمة من حيث المبدأ على مجموعة اجراءات تأديبية تطبق بحق الاعضاء المتقاعسين .

تعكس المنظمة في تكوين عضويتها التكوين العام لسكان اسرائيل . بعبارة أخرى ان نسبة الاعضاء العرب في المنظمة تساوي على وجه التقريب نفس نسبة عدد السكان العرب في اسرائيل . ويتولد هذا الوضع عن عاملين متعارضين : أولا ، تجد المنظمة تجاوبا اكبر مع دعايتها وعملها السياسي بين السكان العرب في القرى والمدن العربية حيث يشعر اعضاء المنظمة من اليهود مثل « السمك في الماء » على حد تعبير احد اعضاء المنظمة القياديين . ومن ناحية اخرى يجد اعضاء المنظمة انفسهم في عزلة شبه تامة بين السكان اليهود . لذلك ليس من المستغرب ان تكون نسبة الاعضاء العرب في المنظمة مرتفعة . ثانيا ، تمارس السلطات الاسرائيلية قمعا شديدا ضد كل نشاط سياسي عربي . القمع ضد السكان العرب اشد بكثير مما يتعرض له السكان اليهود مهما كانت الاسباب . وهذا يعني ان الصعوبات التي تعترض العربي الذي يريد الانتماء الى المنظمة (او القيام باي نشاط سياسي وطني) تفوق بكثير ما يواجهه اليهود . التوازن بين هذين العاملين هو الذي يحدد نسبة الاعضاء العرب في المنظمة على ما هي عليه .

بعد بضعة اشهر من تأسيس المنظمة انضم اليها عدد اضافي من الاعضاء من مدينة حيفا . كان معظم هؤلاء يدورون في فلك الحزب الشيوعي ولم يكن لديهم اي علم سابق بوجود المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية . ويعتقد مؤسسو المنظمة ان انضمام جماعة حيفا اليهم كان حدثا هاما في تاريخ المنظمة

وتطورها لان الاعضاء الاوائل هم من سكان تل ابيب والقدس ولم تكن لديهم اية اتصالات في حيفا . مما يعني ان جماعة مشابهة انبثقت هناك بصورة عفوية ومستقلة ومن ثم قامت بالانضمام الى المنظمة مما ضاعف عدد اعضائها . خطوة أخرى يعتقد مؤسسو المنظمة انها كانت هامة في تطور تنظيمهم هي انضمام عدد من العرب الى المنظمة ، خاصة ان السكان العرب قليلون جدا في مراكز المنظمة الاولية ، القدس وتل ابيب . في الواقع كانت أغلبية الاعضاء الجدد من العرب وفقا لما يرويه المسؤولون في المنظمة .

في اوائل عام ١٩٦٣ تثبت البنيان التنظيمي للمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية واستمرت في العمل على هذا الاساس وبدون اي تبديل هام في حجمها حتى عام ١٩٦٥ حين واجهت اولى قضاياها التنظيمية الهامة .

في تلك السنة كان الحزب الشيوعي في اسرائيل قد انشق على نفسه مع العلم بان الانشقاق لم يترك أي اثر على المنظمة من الناحية التنظيمية باعتبار ان الانشقاق لم يأت بجديد اذ استمر قسم من الحزب بتبني الخط القديم بينما انجرف القسم الاخر نحو اليمين ونحو التصالح مع الصهيونية ؛ قسم « ماكي » بقيادة ميكونيس وسنيه) لم تكن هناك أشياء مشتركة بين المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية من ناحية وبين التطورات التي طرات على الحزب الشيوعي من ناحية ثانية، وبقيت علاقة المنظمة على حالها مع اكبر الشقين من الحزب، أي « راكاح » . لم يفرض هذا الانشقاق اية تعديلات على المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية كما انه لم يقدم لها اية مكاسب لان الانشقاق جاء الى ناحية اليمين وليس الى ناحية اليسار .

في تلك الفترة ايضا جرت الانتخابات العامة في اسرائيل ورشح أوري افنيري نفسه للبرلمان . اعلن افنيري برنامجا

مقتضبا يمكن اعتباره ، بالقياس الى الظروف السائدة يومها في اسرائيل ، ذا منحى ايجابي على حد تقدير المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية . على سبيل المثال كان جزء من برنامجه يدعو للاعتراف بحقوق « اللاجئين الفلسطينيين » ومع ان اعضاء المنظمة لم تكن لديهم اية اوهام حول سياسات افنيري على المدى البعيد (كما يؤكدون) كان عليهم ان يواجهوا مسألة عملية هي تحديد موقف من تأييده او عدم تأييده ومساعدته في الحملة الانتخابية . ويبدو ان مناقشة جرت ضمن صفوف المنظمة حول الموقف الذي ينبغي اخذه من افنيري وبطبيعة الحال برزت بعض الاختلافات في الرأي حول الموضوع المطروح . في الواقع يبدو ان افنيري طلب من اعضاء المنظمة مساعدته اذ لم تكن لديه كصحافي اية خبرة سابقة في العمل السياسي الفعلي . وعرض افنيري المنصب الثاني في قائمة مرشحيه على المنظمة الاشتراكية غير ان المنظمة رفضت العرض لان اعضاءها كانوا يشعرون ان افنيري ليس حليفا من النوع الذي يركن اليه في المدى الطويل . اما بالنسبة لتأييده في الحملة الانتخابية فقد قررت المنظمة بالاكثرية (وليس بالاجماع) مساعدته . وبما ان عددا من اعضاء المنظمة عارض هذا القرار بشدة فقد ترك التنظيم حرية الخيار لاعضائه في المشاركة في الحملة الانتخابية او عدمها . وجدير بالذكر ايضا ان المنظمة قامت في الوقت ذاته بمساعدة الحزب الشيوعي (راكاح) في الحملة الانتخابية نفسها وخاصة في انتخابات البلديات . كانت الفكرة الاساسية خلف قرار المنظمة بمساعدة افنيري الامل في ان تجذب قائمته الجديدة من المرشحين عددا لا بأس به من الشباب غير المسيس سابقا والباحث عن مخارج جديدة خارج نظام الاحزاب المعمول به في اسرائيل . كانت مثل هذه المناسبة ستتيح الفرصة للمنظمة كي تتصل بهؤلاء الشباب وبمقابلتهم وربما كسب البعض منهم الى صفوفها . غير أن النتائج كانت مخيبة للامال من وجهة نظر المنظمة . لم يحصل افنيري الا على حوالي ١٤٠٠٠ صوت

بينما كان من المتوقع ان يحصل على اكثر من ذلك بكثير . مع ذلك لا تعتبر اكثرية اعضاء المنظمة انها كانت مخطئة كليا في تعاونها مع افنيري اثناء الانتخابات لانها في الواقع جذبت اليها عددا جديدا من الاعضاء والمؤيدين (اليهود والعرب) بالرغم عن ان عددهم كان اقل من المتوقع .

استمرت المنظمة في العمل داخل اطار الحركة التي اراد افنيري ان يشكلها باعتبار انه في حال تشكيلها سوف تكون تيارا عريضا وليس حزبا ، مما سيترك مجالا لعدد من الاتجاهات والفئات كي تعمل داخل التيار . اي عندئذ يكون بامكان المنظمة انتتعاون مع الحركة بدون انتحل نفسها علما بان اعضاء المنظمة كانوا يعرفون انه لا يمكن الركون الى مثل هذه الحركة على المدى البعيد ،واعتبرت انه في احسن الاحوال بامكانها ان تفيد كنوع من الجبهة . لكن اتضح بعد الانتخابات مباشرة ان الجبهة لن تشكل وان افنيري كان في الواقع يبغي تأليف حزب يلتف حول شخصه . وبما ان اعضاء المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية لم يكونوا على استعداد للتحول الى مجرد اتباع لافنيري اصبح لزاما عليهم ان يخرجوا من مجموعته . وقد فعلوا ذلك في اول مؤتمر رسمي عقده افنيري لحركته التي سماها « هاعولام هازيه : قوة جديدة » (٥) .

انعقد المؤتمر في عام ١٩٦٦ ، ومع انه كان المؤتمر التاسيسي فقد وقع فيه انشقاق قادته المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية بخروجها من المؤتمر .

كانت التجربة مع افنيري مهمة بالنسبة للمنظمة من الناحية التنظيمية اذ تمكنت من خلالها كسب عدد من الاعضاء الجدد وانشاء اتصالات جديدة مهمة بالاضافة الى دخولها

(٥) يصدر اوري افنيري مجلة اسمها هاعولام هازيه وقد اضاف الى اسم الحزب عبارة « قوة جديدة » لتمييز اسم المجلة عن اسم الحزب .

في نشاط سياسي علني وعام يتعدى نطاق حلقاتها الداخلية . أي كان من نتائج الانشقاق تحويل المنظمة من حلقة صغيرة تصدر نشرة الى تنظيم يتصارع في الحلبة السياسية مع قوى اخرى . وجدير بالذكر هنا انه الى جانب اعضاء المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية خرج من مؤتمر افنيري جميع العرب الذين حضروا المؤتمر وذلك بصورة مستقلة عن نشاط المنظمة نفسها . لقد وقع الانقسام على اساس قضايا حيوية وجوهرية مثل تكريس حدود اسرائيل كما كانت عام ١٩٦٦ في البرنامج السياسي الذي أراد افنيري اعلانه . كانت مسألة الحدود مبدأية عند افنيري اذ كان يعتقد ان اية اتفاقية مستقبلة بين العرب واسرائيل يجب ان تصون حدود اسرائيل على ما كانت عليه . بطبيعة الحال كان جميع العرب الموجودين في المؤتمر منحازين لوجهة نظر المنظمة في معارضتهم لتحويل خطوط وقف اطلاق النار لعام ١٩٤٩ الى حدود ثابتة والى مبادىء اساسية في اي تفاهم عربي ــ اسرائيلي في المنطقة . بمناسبة الانشقاق حظيت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية لاول مرة بدعاية واسعة في وسائل الاعلام الاسرائيلية التي غطت مؤتمر افنيري واعتبرت الانشقاق حدثا مهما .

ننتقل الان الى وضع المنظمة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ التي ولدت ظروفا جديدة بالنسبة لكافة القوى السياسية في الشرق الاوسط . ترى المنظمة ان الوضع الجديد بعد الحرب يتطلب اساليب جديدة في العمل وذلك في ظل ظروف هي اقسى بكثير مما كانت عليه الاوضاع في السابق . كان ذلك نتيجة لعملية الاستقطاب الحادة التي خضع لها الجمهور في اسرائيل مع تصاعد ازمة عام ١٩٦٧ وامعان الاكثرية الاسرائيلية الساحقة بالاتجاه اليميني والشوفينية . غير ان عملية الاستقطاب هذه دفعت ببعض الفئات الصغيرة التي كانت مترددة حتى ذلك الحين بالاتجاه نحو اليسار كرد فعل مضاد لاندفاع الاكثرية نحو المزيد من اليمينية . ومع أن عدد هؤلاء

لم يكن كبيرا غير ان الموضوع كان مهما بالنسبة للمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية باعتبارها منظمة صغيرة اصلا . اوضحت عملية الاستقطاب المذكورة الحدود والفوارق السياسية بدقة داخل اسرائيل بحيث اصبح الخيار بين المعسكر اليميني واليساري حاسما . وجد الثوريون والمناوئون للمؤسسة الصهيونية في اسرائيل ان المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية هي بديلهم الثوري الوحيد الموجود في البلاد (لحزب راكاح وضع خاص بسبب غموض مواقفه وتأرجحها) . بالاضافة الى ذلك يعتقد قادة المنظمة ايضا ان الشباب الذين يريدون اختيار طريقهم في ميدان السياسة التقدمية والمشاركة فيها لن يجدوا ما يغريهم بعد الان في الخط الذي يطرحه الحزب الشيوعي – راكاح . كما ارتفع عمل المنظمة من الناحية التنظيمية الى مستوى ارفع بعد حرب حزيران .

يذكر قادة المنظمة حادثة اخرى على انها ذات اهمية في تطور منظمتهم السياسي لانها اجبرتهم مرة اخرى على الخروج الى العلن وعلى نطاق اوسع بكثير مما سبق . بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة اجتاحت اسرائيل موجة « سياحية » هدفها الذهاب الى الضفة الغربية وزيارة الاراضي العربية المحتلة . شاركت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في هذه الموجة ولكن ليس بقصد السياحة وانما بقصد السياسة ، اي بقصد انشاء علاقات واتصالات مع مناضلين عرب من اصحاب الميول اليسارية . نجحت المنظمة في تحقيق اتصالات عديدة في تلك الفترة وكان اعضاء من المنظمة يذهبون بصورة يومية الى الضفة الغربية لهذا الغرض . كما ان بعض العرب من الضفة الغربية ، وخاصة من القدس ، كانوا يذهبون بانفسهم الى المنظمة لتبادل الاراء ومناقشة القضايا الهامة المطروحة يومئذ . ومن خلال جهود المنظمة تمت لاول مرة لقاءات بين الثوريين واليساريين من الطرف العربي والطرف

الاسرائيلي على ارض فلسطين نفسها وليس في الخارج . كان احد الاشخاص الذين قابلهم اعضاء المنظمة المناضل احمد خليفة وعقدوا معه عدة لقاءات واجتماعات . اقام خليفة في منزل احد الاعضاء العرب في المنظمة الاشتراكية اسمه خليل طعمه وهو طالب في الجامعة من بلدة الرامة . تبين فيما بعد ان البوليس الاسرائيلي كان يراقب احمد خليفة الى ان اعتقله في القدس بعد تركه منزل خليل طعمه . ثم اعتقلت سلطات الامن خليل طعمه نفسه بتهمة ايواء احمد خليفة . وبسبب محاكمة خليل طعمه اضطرت المنظمة الاشتراكية الى القيام بعمل سياسي على مستوى ارفع من السابق حيث تم تنظيم مهرجانات تضامن مع قضية طعمه ليس في اسرائيل وحدها بل في الخارج ايضا . وقد تشجعت المنظمة كثيرا بسبب حجم التأييد والتضامن الذي حصلت عليه في اوساط اليسار في بلدان عديدة وخاصة في اوروبا واميركا . وتعتقد المنظمة ان السلطات الاسرائيلية قد قدمت لها خدمة كبيرة بدفعها الى مستوى ارفع من الجدية والنضج والخبرة في العمل السياسي . تمكنت المنظمة من تنظيم تظاهرات ومهرجانات واجتماعات مفاجئة في الجامعة وغيرها من الاماكن بالرغم عن صغر حجمها وعزلتها اذ كان هدفها ، كما يقول قادتها ، القيام بواجبها في اسماع صوتها ضد ما كان يجري في منطقتنا . نتيجة لهذه الاحداث والنشاطات والدعاية الاعلامية التي حصلت عليها المنظمة وخاصة من خلال قضية خليل طعمه تولدت رغبة عامة في التعرف عليها لدى فئات كانت تعطف عليها من بعيد وبصورة غامضة ولدى فئات اخرى مناوئة لها . بعبارة اخرى اصبحت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية تمثل الى حد بعيد نقيض المؤسسة الصهيونية في اسرائيل . حتى الصحافة كانت تشدد على ان المعارضة الراديكالية للسلطة في اسرائيل تتجسد في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية مما زاد الاهتمام بها كما هو متوقع . بذلك حصلت المنظمة على اعتراف عام بانها تمثل اليسار الثوري في اسرائيل .

اخيرا لا بد من الاشارة الى ان عددا لا بأس به من الشباب الذين جاءوا الى اسرائيل اثناء حرب عام ١٩٦٧ وبعدها قد انضموا الى صفوف المنظمة او اصبحوا من مؤيديها (خاصة من فرنسا واميركا اللاتينية) . حدث ذلك لان بعض المهاجرين الشباب الى اسرائيل في تلك الفترة كانوا اصحاب ميول يسارية في بلدهم الاصلي مع كونهم صهيونيين . ولكن بعد مكوثهم في اسرائيل اصبحت الطبيعة الحقيقية للصهيونية واضحة لهم مما خلق لهم اشكالا كبيرا . اي انهم اخذوا يشعرون بوجود تناقض مبدأي بين قناعاتهم اليسارية وبين الصهيونية التي تمثلوها واخذوا عنها صورة خاطئة في البلدان التي أتوا منها . من الطبيعي ان يبحث هؤلاء الشباب عن اجوبة على تساؤلاتهم السياسية . وقد اكتشف عدد كبير منهم ان المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية يمكن ان تقدم الاجوبة الثورية التي يمكن ان يفهموها ويتعاطفوا معها ويتبعوها . لذلك التف الكثيرون من هؤلاء الشباب حول المنظمة مما زاد من قوتها وفقا لتقديرات قادتها .

كانت اخر التطورات التي طرات على المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية من الناحية التنظيمية انفصال فئتين صغيرتين عنها . ولنفهم ما حدث لا بد من تقديم فكرة سريعة عن الخلفية التي ادت الى خروج هاتين الفئتين ، كما تشرحها اوساط المنظمة نفسها . حتى فترة قصيرة كانت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية المجموعة الثورية الوحيدة في اسرائيل لكونها على يسار الحزب الشيوعي ومعادية للصهيونية . لذلك ضمت المنظمة داخل صفوفها اعضاء كانوا ينتمون الى اتجاهات سياسية مختلفة ضمن اطار « اليسار الثوري » عامة . في بلدان اخرى تتشكل تنظيمات سياسية متعددة لتعبر عن مختلف هذه الاتجاهات والاراء غير ان الوضع يختلف في اسرائيل حيث تجمعت كل هذه الاتجاهات في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية . طبعا ، لا يمكن لهذه الصيغة ان تستمر الا

لفترة معينة اذ لا بد من التقدم على طريق تحديد خط التنظيم بوضوح اكبر مما سيضطر الاعضاء الذين يحملون اراء مغايرة لراي الاكثرية الى ترك المنظمة . وهذا ما حدث بالفعل في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في مؤتمر المنظمة الذي انعقد في باريس .

المجموعة الاولى من الاعضاء الذين انشقوا عن المنظمة اصحاب اتجاه « لامبارتي » (٦) . موضوعاتهم الاساسية التي ركزوا عليها هي ضرورة النظر الى اسرائيل كأي دولة راسمالية اعتيادية مما يعني وضع الصراع السياسي ضد الصهيونية على الرف لصالح التشديد على الصراع الاقتصادي والطبقي داخل المجتمع الاسرائيلي . بعبارة اخرى ترى هذه المجموعة ان الصراع ضد الصهيونية ثانوي لاعتقادها ان خدمة الثورة في اسرائيل تأتي عن طريق العمل باسلوب لا يختلف عن اسلوب العمل في أية دولة راسمالية اخرى ، اي على اساس النضال الاقتصادي للطبقة العاملة . وينطبق موقفهم هذا على مفهومهم للصهيونية على انها مجرد حركة بورجوازية رجعية لا اكثر .

اما الفئة الثانية التي انشقت عن المنظمة فهي ذات ميول « ماوية » ، وترى أنه ليس هناك ما يمكن أن تقوم به القوى الثورية داخل المجتمع الاسرائيلي في الوقت الحاضر أو في المستقبل . يترأس هذه المجموعة مهاجر جديد الى اسرائيل (جاء منذ حوالي خمس سنوات) اسمه ايلان البرت (Elan Albert) (٧) .

---

(٦) نسبة الى بيار لامبرت الذي انشق مع مجموعته عن الاممية التروتسكية الرابعة في الخمسينات .

(٧) والده يمني وامه تركية ومثقف ثقافة فرنسية . كان مضوا في مجموعة سياسية ماوية في فرنسا . ترشح في اسرائيل لدخول احد الكيبوتزيم ولكن عضويته رفضت بسبب ارائه السياسية الراديكالية وتأثيره على الصغار . انضم الى المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في عام ١٩٦٨ .

يبدو ان الاكثرية الساحقة من اعضاء المنظمة بما في ذلك الاعضاء القدامى قد بقوا داخل اطارها التنظيمي . ومع ان ايا من الفئتين المنفصلتين لا تشكل مسألة هامة للمنظمة من الناحية العددية الا ان للحدث اهمية سياسية تتلخص في تبلور وجهات نظر ثلاث يمكن طرحها حول قضية الشرق الاوسط وامكانات العمل بالنسبة للقوى الثورية داخل اسرائيل. كما ان هذه الاتجاهات تتعدى اطار المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية باعتبارها جزءاً من تيارات موجودة في صفوف اليسار في كل مكان من العالم . وكما ذكرنا تنزع وجهة النظر الاولى الى التخفيف من اهمية الصهيونية والى اعتبار اسرائيل مثل اية دولة غربية راسمالية اخرى . اما الاتجاه الثاني فانه ينفي كل امكانية لقيام اي نشاط ثوري داخل المجتمع الاسرائيلي (او هو يرى أن هذه الامكانات ضئيلة جدا) . وتمثل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية الاتجاه الثالث الذي يعتبر ان الصهيونية ليست مجرد حركة قومية بورجوازية مثل غيرها لان لها طبيعتها الخاصة وصفاتها المميزة ، وينتج عن ذلك ان الصراع ضد الصهيونية هو مسألة عظيمة الاهمية بالنسبة لكل عمل ثوري داخل اسرائيل . كذلك تعتقد المنظمة أنه توجد اشياء كثيرة في المجتمع الاسرائيلي يمكن للقوى الثورية ان تستفيد منها في المدى البعيد مثل الاستفادة من التناقض الطبقي ومن تناقضات اجتماعية اخرى في المدى القريب .

شكلت الفئة المنشقة بقيادة ايلان البرت تنظيما باسم « الاتحاد الشيوعي الثوري » وبدأت باصدار نشرة بعنوان **نضال** . وتم تخصيص العدد الاول من النشرة الى توجيه النقد الى المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية وشرح الاسباب التي دعت المجموعة الى الانفصال عن المنظمة الاصلية بالاضافة الى برنامج التنظيم الجديد . ويجد القارىء في نهاية الكتاب ملحقا يضم نص بيان الانشقاق الذي اصدره الاتحاد الشيوعي

الثوري (أي العدد الاول من نشرة **نضال**) ورد احد اعضاء المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية على البيان بالاضافة الي مقال صدر في مجلة **ماتسبن** بقلم موشيه ماخوفر حول الديمقراطية المركزية لانه يحوي ردا غير مباشر على النقد الموجه الى المنظمة بصدد وضعها التنظيمي الحزبي المفكك وذلك من قبل بعض الجهات بما فيهم جماعة الاتحاد الشيوعي الثوري . أما بالنسبة للجماعة اللامبارتية التي انشقت عن المنظمة فلم اتمكن من الحصول على اية معلومات عنها باستثناء الرد الذي نشرته **ماتسبن** على بيان هذه المجموعة ، ويجد القارىء نصه منشورا في ملحق الكتاب .

الفصل الثاني

نظرة المنظمة الى الصهيونية واللاسامية

واستعمار فلسطين

شدد المؤرخون الصهيونيون على فكرة تجانس اليهود التام والمستمر عبر التاريخ بدون أي تغير او تبدل حقيقي في تكوينهم كما الحوا على وحدة « الشعب اليهودي » وتفرده « بطبيعة خاصة » ثابتة تميزه عن بقية الشعوب وشددوا على مسألة عزلة « الشعب اليهودي » ومقاومته العنيدة لكل محاولات الدمج والاختلاط ببقية المجتمعات مما جعله يحافظ على « خصائصه الجوهرية » وعقليته المتميزة عن بقية العقليات الخ .. وكان هدفهم في كل ذلك استخلاص وجود « الامة اليهودية » الثابتة منذ بداية التاريخ والقول بان الصهيونية جاءت لتحييها من جديد . وقد بين صادق جلال العظم في كتابه « دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية » دلالات هذا الخط في التفكير الصهيوني بقوله ان المنطق الصهيوني حول « الطبيعة اليهودية » يقسم العالم الى «ماهية يهودية ثابتة» من ناحية ، والى كل ما هو غير يهودي من ناحية ثانية. اي تشطر الايديولوجية الصهيونية العالم الى ما هو يهودي بطبيعته والى ما هو غير يهودي في جوهره ، وتضفي احسن الصفات والخصال على القسم الاول وتصف كل ما هو غير يهودي باوصاف شريرة معيارها في ذلك مدى الاذى الذي يلحقه العالم الغريب بالوجود اليهودي لا اكثر . على هذا

الاساس نظرت الصهيونية الى حركة العداء للسامية في اوروبا على انها خصلة متأصلة في طبيعة كل ما هو غير يهودي أي اعتبرتها صفة جوهرية لا تحول ولا تزول مهما كانت الاحوال الاجتماعية او الظروف التاريخية والاقتصادية المحيطة بها . من هنا ايضا استنتجت الصهيونية ان الحل الوحيد للمسألة اليهودية هو تجميع اليهود في فلسطين ضمن دولة يهودية صرف ، ورفضت كل الحلول الاخرى بحجة ان اللاسامية صفة متأصلة في طبيعة غير اليهود ، واصرت ان هذا واقع لا يمكن تغييره ابدا (٨) .

ترفض المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية هذا المنطق المثالي جملة وتفصيلا وتعتبر حركة العداء للسامية في اوروبا ظاهرة اجتماعية واقتصادية برزت في مرحلة تاريخية معينة ولاسباب يمكن للباحث تحديدها ، كما تعتبر ان الصهيونية انبثقت من قوتين اجتماعيتين اساسيتين : فقراء اليهود في روسيا القيصرية المهددين ابدا في ارواحهم ومصادر عيشهم ؛ والطبقة الوسطى اليهودية في اوروبا الغربية المندمجة جزئيا في محيطها والمنبوذة اجتماعيا .

في اوروبا الشرقية تركز النشاط اليهودي على اقرار الحقوق المدنية العادية لليهود والاعتراف بها كما حدث في الغرب مع الثورة الفرنسية الكبرى . اما في اوروبا الغربية فقد عملت القطاعات الفاعلة من اليهود باتجاه تحقيق الاندماج داخل المجتمع الاوروبي الغربي . وتشبه المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية نضال اليهود في الغرب في تلك الفترة بنضال الاميركيين السود في مرحلة المطالبة بالحقوق المدنية والاندماج بالمجتمع الاميركي كليا . الا ان كافة هذه الجهود انتهت الى الفشل (كان النظام القيصري يضع اليهود عن سابق

(٨) صادق جلال العظم، **دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية**، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٥ .

تصميم في دور كبش المحرقة) . وجدت الصهيونية السياسية أرضا خصبة للعمل في الخيبة التي ولدها فشل اليهود في تحقيق أي من مطالبهم الاساسية ان كان ذلك في الغرب أو في اوروبا الشرقية . ولدت الصهيونية وهما جديدا يتخذ من خيبة الامل السابقة منطلقا له ويعمد الى تعميم الهزائم اليهودية السابقة على كل مكان وزمان ،ويعلن ان اضطهاد الاقليات نزعة من النزعات الكامنة في « النفس البشرية » ، وان كل محاولات القضاء عليها ، بواسطة التشريع أو التعليم او الاندماج ، ليست الا محاولات خرقاء مصيرها الفشل المحتوم . أي لا معنى ، وفقا لهذا المنطق الطوباوي ، للنضال ضد نزعة كامنة في الطبيعة البشرية نفسها والموقف الوحيد الذي يفرض نفسه عندئذ هو القبول بالامر الواقع ومحاولة التكيف مع هذا الشر الحتمي والازلي .

يلخص مؤسس الحركة الصهيونية ، هرتزل ، رأيه بنزعة العداء للسامية على النحو التالي :

« في باريس .. توصلت الى اتخاذ موقف اكثر انفتاحا من اللاسامية . فبدأت اتفهمها تاريخيا واغفر لها . ولقد ادركت ، قبل كل شيء ، عقم ولا جدوى المحاولات الرامية الى مجابهة اللاسامية . » (٩)

نجد تعبيرا اخر عن هذا المنطق التشاؤمي في النص التالي :

« ولدت الصهيونية في عصر مفعم بالايمان والتقدم والتآخي الانسانيين عصر يعتنق نظرية روسو القائلة بان الطبيعة البشرية خيرة في الاساس : دع البشر يعيشون حياة الكرام فيتحول المجتمع البشري الى مجتمع من

(٩) **مذكرات ثيودور هرتزل** ، لندن ، ١٩٥٨ ، ص ٦ .

الملائكة ... لكن ينبغي على الاقلية ان تدرك ان الطبيعة البشرية شريرة أساسا . وان الخصائص الكامنة في التركيب النفساني والعضوي للبشر تقضي بان تتحكم الغالبية القوية بمصير الاقلية حسب تقلبات مزاجها . موجات التحرر والانفتاح والتسامح الآنية ، ما هي الا ظاهرات عرضية ليس الا ... فلا التعليم أو التقدم او التحررية او الانسانية قادرة على انقاذ الاقلية عندما تحين الساعة الرهيبة . »(١٠)

بمقابل هذه النزعة عند الصهيونية التي تعمم الاضطهاد وترفعه الى مصاف قانون من « قوانين الطبيعة » ، توجد نزعة متممة في الحركة الصهيونية تعتبر الاندماج نكبة . اي تبين المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في تحليلها لجذور الفكر الصهيوني ان الصهيونية تضيف الى عملية تعميم اضطهاد الاقليات على كل زمان ومكان ارادة المحافظة على « القومية اليهودية » وانقاذها من محاولات الدمج والتمازج . الصهيونية تعتبر اللاسامية ظاهرة شريرة والاندماج عملية مصيرها الفشل المحتوم من جهة ، كما تعتبر اللاساميةنعمة والاندماج شر لا حاجة للقبول به من جهة ثانية .

وتستمر المنظمة في تحليلها للايديولوجية الصهيونية التبريرية فتبين ان الفرضية القائلة بان اضطهاد الاقليات نزعة كامنة في « الطبيعة البشرية » التي لا تحول ولا تزول تعني ان الاكثرية المعادية عاجزة بالضرورة عن تجاوز النزعة الشريرة المتأصلة فيها ، ولا يمكنها ان تساعد الاقلية على تفادي نتائج هذه النزعة . لذلك لا يبقى للاقلية الا مخرج واحد هو ان تحرر نفسها بنفسها . هذه هي الفكرة التي روجها ليو بنسكر في كتابه « التحرر الذاتي » (١٨٩٢) . وأما النتيجة الطبيعية لهذا المنطق فهي القول بان انشاء دولة

(١٠) اشعيا بار ـ يوسف ، **يديعوت احرونوت** ، ١٢ كانون الثاني ١٩٦٨ .

قومية تتحول فيها الاقلية المضطهدة الى اكثرية تسيطر على مقدرات الحكم هي التعبير الفعال الوحيد عن التحرر الذاتي، وهي السبيل الوحيد الى سيطرة الاقلية المضطهدة على نفسها وتحكمها بمصيرها . هنا تشبه كتابات المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية الصهيونية بحركة « العودة الى افريقيا » التي اطلقها عامل الطباعة ـ الجامايكي ماركوس غارفي (Marcus Garvey) ـ في الولايات المتحدة في العشرينات من هذا القرن ، والتي كانت اخطر منافس لحركة دوبوا (Du-Bois) المعروفة باسم «الرابطة الوطنية لتقدم الملونين». يبدو ان الصهيونية هي النسخة اليهودية عن « القوة السوداء » ، باعتبارها دعوة الى « السلطة اليهودية » . ولكن اذا كان الشبه بين الحركتين يرتكز الى الاصول الاجتماعية والدوافع الشعورية والتبريرات الايديولوجية المشتركة بينهما ، فهو لا يتعدى ذلك الى المعاني السياسية لكل من الحركتين ، اذ ان الصهيونية ، في سعيها لاستعمار فلسطين ونجاحها في ذلك وفي جعل المهاجرين من اليهود اكثرية سكانية تتحكم بالسلطة السياسية ، تحولت الى جزء لا يتجزأ من النظام الاستعماري . في حين نجد ان « القوة السوداء » ، العاجزة عن تكوين دولة خاصة بها ، قد تحولت الى قوة مضادة كليا للاستعمار . لقد نجحت الصهيونية في انشاء عالمها الخاص الذي لا يتعدى كونه صورة مصغرة عن العالم الذي نبذ اليهود . لذلك لن تتمكن الصهيونية من القضاء على اضطهاد الاقليات في اسرائيل . ان كل ما في الامر انها حولت بعض اليهود من أقلية مضطهدة في الخارج الى اكثرية مضطهدة . أما « القوة السوداء » العاجزة عن تحقيق هدف مماثل للهدف الصهيوني ، فهي مدفوعة لان ترفض المجتمع الغربي الرأسمالي بأسره وان تدينه كمجتمع قائم على الاضطهاد . لقد كرس ثيودور هرتزل صفحات من مذكراته لوصف الدولة اليهودية باعتبارها دولة

ليبرالية هي نسخة عن امبراطورية سلالة « الهابسبورغ » او عن مجتمع فيينا في اواخر التسعينات من القرن الماضي . بينما ليس باستطاعة دعاة « القوة السوداء » ان يحذوا حذو هرتزل ، بل هم مضطرون الى رفض المجتمع الاميركي بكليته ، والى ادانة اية محاولة لانشاء مجتمع اسود هو نسخة زنجية عن المجتمع الاميركي القائم على الاضطهاد . هذه هي حدود المقارنة بين الصهيونية والقوة السوداء كما تراها المنظمة الاشتراكية .

على صعيد اخر تبين المنظمة ان الرد الذي تعرضه الصهيونية على اليهود ضد اللاسامية يتلخص في الدعوة الى الهجرة الى فلسطين . لذلك وجدت الصهيونية نفسها في موقع من ينتقد ويدين كل نضال يهودي تحرري وكل سعي لاستصدار تشريعات تعترف بحقوقهم المدنية وما شابه . اي وجدت الصهيونية نفسها في صف واحد مع اللاساميين الذين يهيبون ايضا بالجاليات اليهودية للعودة الى فلسطين . ليس غريبا ان نجد ان الذين بادروا بالنضال اليهودي ضد النازية في الثلاثينات من هذا القرن لم تكن لهم اية صلة بالمنظمات الصهيونية . ومع احتدام هذا النضال ، اتسعت الهوة التي تفصل الصهيونية عن سائر المعادين للنازية والفاشية .اما الاعتبارات الكامنة وراء هذا الموقف الصهيوني فتجدها المنظمة معروضة في رسالة بعث بها بن غوريون الى « اللجنة التنفيذية » الصهيونية في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٨ حيث قال :

« لم تعد المسألة اليهودية الان مثلما كانت عليه من قبل . ان ما يعاني منه اليهود في المانيا ليس النهاية بل مجرد البداية . ستحذو سائر الدول المعادية للسامية حذو هتلر . ملايين اليهود يتعرضون للابادة ومشكلة اللاجئين تتخذ حجوما دولية . هذا في حين تحاول بريطانيا فصل مشكلة اللاجئين عن المشكلة الفلسطينية . ان الحجم الذي اكتسبته

مشكلة اللاجئين يتطلب حلا اقليميا فوريا . واذا كانت فلسطين غير قادرة على استيعابهم فثمة اوطان اخرى قادرة على ذلك . الصهيونية في خطر . كل الحلول الاقليمية الاخرى مصيرها الفشل المحتوم وهي تتطلب مبالغ طائلة من المال. واذا ما قيض لليهود ان يختاروا بين اللاجئين ، أي انقاذ اليهود من معسكرات الاعتقال ، وبين اقامة متحف وطني في فلسطين ، فان الشفقة سوف تطغي على نفوسهم وتتجه كل طاقات الشعب نحو انقاذ اليهود من مختلف البلدان . ولن يؤدي ذلك الا الى تلاشي نفوذ الصهيونية ليس فقط في اوساط الرأي العام العالمي في بريطانيا والولايات المتحدة، بل يؤدي ايضا الى تلاشي نفوذها في اوساط الرأي العام اليهودي نفسه . فاذا ما سمحنا لمشكلة اللاجئين أن تنفصل عن المشكلة الفلسطينية ، نكون قد عرضنا وجود الصهيونية نفسه للزوال . » (١١)

بعبارة اخرى يرى بن غوريون ان انقاذ ارواح اليهود من قبضة هتلر يشكل خطرا على الصهيونية ، ما لم يرافق عملية الانقاذ ترحيلهم الى فلسطين . وعندما اضطرت الصهيونية الى الاختيار بين الشعب اليهودي وبين « الدولة اليهودية » لم تتردد في اختيار الاخيرة .

خلاصة القول هو أن الصهيونية ترضى باللاسامية على انها الموقف الطبيعي والعادي للعالم غير اليهودي تجاه اليهود ، ولا تعتبرها ظاهرة مشوهة ومنحرفة . من هنا اصبحت الصهيونية مجرد ردة فعل ضد اللاسامية بدلا من ان تكون مواجهة لها ولاسسها الاجتماعية والاقتصادية ونضالا ضدها . بالاضافة الى ذلك بما أن الصهيونية تنطلق من الفرضية القائلة بان اضطهاد الاقليات جزء لا يتجزأ

(١١) The Israeli Socialist Organization, **The Other Israel,** July 1968, p. 9.

من عناصر السلوك البشري الجماعي فانها لا ترى ضيرا في اضطهاد الاقليات الموجودة ضمن حدود دولتها . وتصل المنظمة الى الاستنتاج التالي حول الحركة الصهيونية : الصهيونية ، من الناحية الاخلاقية والنفسية والاجتماعية ، ما هي الا شكل من اشكال استلاب اقلية من الاقليات المضطهدة (بفتح الهاء) . (١٢)

اما بالنسبة الى عملية استعمار فلسطين فتعود المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في تحليلاتها الى عام ١٨٧٠ ، عندما اقدم البارون ادمون دي روثتشايلد الفرنسي الى شراء قطعة ارض قرب يافا وانشأ عليها مدرسة تدعى «مكفيه يسرائيل» (تجمع اسرائيل) . وعقب ذلك ، تم تشييد حوالي ٢٠ قرية سكنها ما يقارب من ٥٠٠٠ يهودي جاء معظمهم من روسيا . وحتى عام ١٩٠٠ ، كان البارون قد استثمر حوالي مليوني جنيه استرليني في فلسطين . ولم يجد البارون اية صعوبة في التوفيق بين مشاعره اليهودية وبين دعمه للمصالح الفرنسية الرامية الى استعمار فلسطين مثلما استعمرت الجزائر . اراد ان يسخر طاقات الهجرة الكامنة عند يهود اوروبا الشرقية لخدمة مصالح الاستعمار الفرنسي ، ولم تخطر بباله فكرة انشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين ، اذ انه لم يكن صهيونيا ، بل استغل نفوذه لدى الخزينة العثمانية من أجل ايجاد منطقة نفوذ جديدة للمصالح الفرنسية ــ مستخدما اليهود كمستوطنين .

اما الصهيونية السياسية التي انبثقت رسميا عام ١٨٩٧ عن مؤتمر بال (Basle) بسويسرا ، فقد تميزت عن استعمار آل روثتشايلد باعلانها عن عزمها على حل القضية اليهودية عن طريق اقامة دولة قومية لليهود .

(١٢) المرجع السابق ، ص ٨ ــ ١٠ .

ومنذ البدء ، حاولت الحركة الصهيونية بلوغ اهدافها عن طريق الاتفاق مع هذا الطرف الاستعماري أو ذاك كما هو معروف . لذلك كان الخط الموجه للدبلوماسيةالصهيونية على الدوام هو التحالف مع الدولة الكبرى التي تمارس نفوذا ما على فلسطين . فقد تودد ثيودور هرتزل بادىء ذي بدء الى كل من السلطان التركي والقيصر الالماني . ونزعت الحركة الصهيونية الى التعاون الصريح مع الامبريالية البريطانية بعد الحرب العالمية الاولى . ثم وجهت انظارها ، بعد الحرب العالمية الثانية ، شطر الولايات المتحدة ، وترددت الى فرنسا بين الحين والاخر .

عندما تدفقت الهجرة الصهيونية المنظمة الى فلسطين في اوائل القرن التاسع عشر اضطر المستوطنون الصهيونيون مثلهم مثل اي تجمع استعماري اخر ، الى رسم سياسة محددة تجاه السكان المحليين . ولا شك ان السمة الخاصة بالصهيونية التي تميزها عن سائر عمليات الاستعمار في العصور الحديثة تكمن في الطريقة التي حلت بها هذه المسألة . معروف ان المستوطنين الاوروبيين في المستعمرات الاخرى قد سعوا الى استثمار ثروات تلك البلاد (بما في ذلك استثمارهم لقوة العمل « للسكان المحليين ») فحولوا السكان الاصليين الى طبقة بروليتارية في مجتمع «رأسمالي» جديد . اما الصهيونية ، فلم تكن طامعة بموارد فلسطين وحسب (وهي موارد ليست عظيمة الشأن اصلا) بل كانت طامعة بالبلد نفسه سعيا منها لانشاء دولة قومية جديدة . لذلك كان لا بد من ان يكون لهذه « الامة الجديدة » طبقاتها الخاصة بها ، بما في ذلك طبقتها العاملة . أي كان البرنامج الاستعماري الصهيوني يتطلب احلال قوم محل العرب ، وليس مجرد استغلال هؤلاء العرب .

تبين المنظمة الاشتراكية في تحليلها ان استعمار آل روثتشايلد اصطدم بعرب فلسطين حول موضوع اساسي

هو ملكية الارض . أخذ البارون يشتري الارض من «الافندية» الاقطاعيين ، مستعينا في بعض الاحيان برشوة السلطة العثمانية ، كما عمد الى طرد الفلاحين من ارضهم ثم استخدمهم كعمال زراعيين في مزارعه الحديثة على غرار النمط الاستعماري التقليدي . بمقابل ذلك رفع المستعمرون الصهيونيون شعار « اليد العاملة اليهودية » في سعيهم الى تكوين طبقة عاملة يهودية . لذلك دعوا الى تحويل العاملين في مهن الطبقة الوسطى الى العمل اليدوي ، والحوا على ارباب العمل اليهود بالا يوظفوا الا اليد العاملة اليهودية فحسب . هكذا لم يصطدم الصهيونيون بالفلاحين العرب الذين صودرت اراضيهم وحسب ، بل اصطدموا ايضا بالمستوطنين لحساب آل روتشايلد الذين كانت تقتضي مصالحهم أن يوظفوا اليد العاملة العربية الرخيصة . وكانت هذه من أهم القضايا التي اثارت النزاعات الداخلية بين جالية المستوطنين اليهود خلال العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن . كان الدعاة الرئيسيون لتشغيل اليد العاملة اليهودية العناصر « اليسارية » في الحركة الصهيونية . في المقابل ، اتجهت العناصر البورجوازية في توظيف اليد العاملة العربية الرخيصة . ولو تغلبت البورجوازية ، لتطورت فلسطين على غرار الاستعمار في الجزائر او جنوب افريقيا او روديسيا . لكن الغلبة كانت « لليسار » الصهيوني واتخذت بالنتيجة عملية استعمار فلسطين النهج التاريخي المعروف .

اصطدم التجمع الصهيوني النامي بكافة طبقات المجتمع العربي الفلسطيني . غير أن الصهيونية كانت تحمل معها من اوروبا راس المال ، والخبرة التقنية ، والمهارات الحديثة مما عزز موقعها في الصراع ، وحل راس المال اليهودي (المعزز غالبا بالاموال الصهيونية) تدريجيا محل العناصر الاقطاعية العربية بمجرد شراء اراضيها ، وعن طريق القوانين الصهيونية التي حرمت على اتباعها اعادة بيع

الاراضي للعرب. وبسبب تفوق الاقتصاد الرأسمالي الاسرائيلي تقنيا وماليا تعرقل نشوء طبقة رأسمالية عربية قوية نسبيا في فلسطين . وبعد ان اصطدمت الحركة الصهيونية بالفلاحين العرب وطردتهم من اراضيهم منعتهم من ان يتحولوا الى بروليتاريا تعمل في القطاع اليهودي من الاقتصاد . ونظرا لان الصهيونية اعاقت نمو قطاع رأسمالي عربي فلسطيني وجد الفلاحون (والانتلجنسيا العربية كذلك) صعوبة بالغة في الحصول على الوظائف خارج ادارة الانتداب البريطاني ومؤسساته العامة .

بعبارة اخرى ترى المنظمة ان الاستعمار الصهيوني الاستيطاني شوه كل البنية الاقتصادية والاجتماعية لفلسطين العربية تشويها كاملا ومنعها من أخذ مجراها الطبيعي في التطور . ويستمر هذا التشويه حتى هذه الساعة بالنسبة للسكان العرب داخل الحدود الاسرائيلية . وكان لهذا التشويه الاقتصادي ـ الاجتماعي انعكاساته على الصعيد السياسي ، اذ ان حرمان البرجوازية والبروليتاريا والفلاحين في فلسطين من السير في طريق التطور الطبيعي ، عرقل بروز قيادات واحزاب سياسية فلسطينية مهمة مما ابقى القيادة السياسية لعرب فلسطين بيد طبقة ملاك الارض المتخلفة دوما عن البرجوازية الناشئة . ورغم ان طبقة ملاك الارض حفرت قبرها بيديها عندما باعت اراضيها للصهيونية ، الا انها جنت ارباحا طائلة من عمليات البيع هذه كما تمكنت من الاحتفاظ بمواقعها القيادية عن طريق التواطؤ الضمني مع الصهيونية والاستعمار الانكليزي . وكي لا توصم هذه القيادات الطبقية بالخيانة المفضوحة ، اتخذت على الصعيد العلني ، مواقف متطرفة في عدائها للصهيونية .

ترى المنظمة ان صعود الفاشية في اوروبا شكل المرحلة الحاسمة في تطور القضية الفلسطينية . تبرز هذه الحقيقة

من خلال ثلاثة عوامل اساسية تشدد عليها ادبيات المنظمة وهي :

١ ــ ازدياد الهجرة اليهودية من اوروبا ازديادا كبيرا في تلك الفترة كما يتبين من الجدول التالي عن السكان اليهود في فلسطين :

السنة	عدد اليهود في فلسطين
١٩٢٢	٨٣٠٧٩٠
١٩٣١	١٧٤٠٦٠٦
١٩٤٤	٥٥٣٠٦٠٠
١٩٤٥	٥٧٩٠٢٢٧
١٩٤٦	٦٠٨٠٢٢٥

واضح ان القفزة بين الاعوام ١٩٢٢ و ١٩٣١ قد عقبت صعود الفاشية في بولونيا . اما القفزة الاهم التي وقعت بين الاعوام ١٩٣١ و ١٩٤٤ فقد عقبت صعود الهتلرية في المانيا . . أي ان صعود النازية الاوروبية كان العامل الاكثر فاعلية في تحديد تاريخ فلسطين اللاحق .

٢ ــ تختلف هذه الموجة الجديدة من الهجرة اليهودية نوعيا عن الموجات التي سبقتها وتبعتها من حيث بنيتها الطبقية لانها حملت عناصر رأسمالية عديدة من الطبقة الوسطى الى فلسطين ، في حين كانت الموجات السابقة مكونة اساسا من العناصر البورجوازية الصغيرة . وفي الجدول التالي بيان باعداد المهاجرين اليهود المسجلين رسميا على انهم رأسماليون (أي انهم قد اثبتوا حيازتهم لالف جنيه او اكثر بالعملة المتداولة):

السنة	عدد الرأسماليين	السنة	عدد الرأسماليين
١٩٣٢	٧٢٧	١٩٣٧	١٠٢٧٥
١٩٣٣	٣٠٢٥٠	١٩٣٨	١٠٧٥٣
١٩٣٤	٥٠١٢٤	١٩٣٩	٢٠٦٠٦
١٩٣٥	٦٠٣٠٩	١٩٤٠	٨٠٢
١٩٣٦	٢٠٧٩٠	١٩٤١	٣١٤

وقد بلغت هجرة الراسماليين الى فلسطين ذروتها بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ ، أي بعد تسلم هتلر الحكم ، وقبل فترة وجيزة من الاضراب العربي العام هناك .

٣ ــ وجد قادة عرب فلسطين الدينيون والقوميون في الفاشية حليفا طبيعيا لهم ضد الاستعمار البريطاني . فساروا على هدى الحكمة القائلة : « عدو عدوي صديقي » مع ما يتضمن هذا الموقف من اخطاء استراتيجية وتكتيكية جسيمة تبينت فيما بعد .

في تلك الاثناء كان النضال المعادي للاستعمار قد بلغ ذروته في البلدان العربية . ففي سوريا مثلا ، أعلن الاضراب العام سنة ١٩٣٦ ضد الاستعمار الفرنسي مما دفع سوريا خطوات الى الامام في طريق الحصول على الاستقلال السياسي. وقد ترك ذلك أثرا هاما على فلسطين نفسها التي حذت حذو سوريا في اعلان الاضراب العام ، الا ان ظروفها كانت مختلفة عن ظروف سوريا بسبب القاعدة الاقتصادية الصهيونية التي رفضت الاضراب طبعا . بالاضافة الى ذلك ، فقد استغل الصهيونيون اضراب العمال العرب في الادارات والمصالح الحكومية (كسكك الحديد والمرافىء) وشلل التجارة العربية ، لكي يؤمنوا لانفسهم سيطرة اكيدة على هذين القطاعين الهامين والواسعين من الاقتصاد . وكما أسلفنا ، فقد صادف الاضراب في فترة تدفق رؤوس الاموال اليهودية الضخمة من اوروبا مما عزز السيطرة الصهيونية على اقتصاد البلاد ككل .

معروف ان الاستعمار البريطاني الذي حكم فلسطين من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٤٨ قد استخدم سياسة « فرق تسد » المألوفة ، مستغلا الى ابعد حد الامكانات الكامنة في الايديولوجيات القومية المتنازعة ، لاثارة الجماهير قوميا ودينيا ، مثل استخدام الشرطة اليهودية ضد السكان العرب،

والعكس بالعكس . أما بالنسبة للقادة فقد استخدم معهم الدبلوماسية ، و « الكتب البيضاء » ، والمؤتمرات مقدما الوعود المتناقضة لكلا الطرفين ، لاعبا دور « الوسيط » بينهما .

تعتبر المنظمة في تحليلاتها ان الحرب العالمية الثانية ولدت عوامل اقتصادية وسياسية جديدة كان لها اكبر الاثر في ادخال تحول جذري على الوضع الفلسطيني . ومعنى ذلك هو انه قبل الحرب ، كان الاقتصاد الفلسطيني (وقطاعه الصناعي خاصة) تحت سيطرة الاقتصاد البريطاني في المتروبول ، كما أعاق استيراد السلع الاستهلاكية من بريطانيا نمو أية صناعة محلية خفيفة . بمقابل ذلك شهد الاقتصاد الفلسطيني خلال فترة الحرب ازدهارا لا مثيل له مع تحول البلد الى القاعدة الرئيسية للحامية البريطانية في الشرق الاوسط وتأمين كافةاحتياجاتها محليا بسببانقطاع خطوط التموين معبريطانيا خلال الحرب. اضطر الاستعمار البريطاني الى الاعتماد الى حد كبير في تلك الفترة على الاقتصاد المحلي، مما شجع نموه السريع . فاختفت البطالة من القطاعالعربي مع استخدام آلاف العمال في بناء المعسكرات والطرق والمطارات ، غير ان الصناعة العربية لم تكن في وضع يسمحلها بالافادة الكاملة من هذا الوضع الاستثنائي بينما كان القطاع اليهودي جاهزا بتنظيمه الحديث واليد العاملة الماهرة التي يملكها ، لان يجبياكبر الفوائد والارباح والمكتسبات من فترة الازدهار خلال الحرب .

عند انتهاء الحرب تباطأت عملية النمو الصناعي على نحو مفاجيء ، وعادت المستوردات من بريطانيا تهدد الصناعة المحلية من جديد . غير ان الازدهار الذي عرفه القطاع اليهودي من الاقتصاد خلال الحرب جعل منه قوة لا يستهان بها شكلت القاعدة المادية لمطالب الاستقلال السياسي الذي نادى بها السكان اليهود بعد الحرب . لم ترفع الجالية

اليهودية مثل هذه المطالب قبل الحرب العالمية الثانية ـ على عكس عرب فلسطين ـ لانه كان محتما انذاك بان تكون فلسطين المستقلة عربية بالضرورة . كانت السيطرة اليهودية الجديدة على الاقتصاد هي العامل الرئيسي الذي ادى الى تغيير السياسة الصهيونية حول موضوع استقلال فلسطين عن الحكم الاستعماري المباشر .

أدى هذا الوضع الجديد ، كما تراه المنظمة ، الى الصدام الذي وقع بين الجماعة المستعمرة (بكسر الميم) ،أي المستوطنين اليهود في فلسطين ،وبين الامبراطورية البريطانية التي نموا في كنفها وتحت حمايتها الى ان اصبحوا بحاجة الى مجال حيوي اوسع لانفسهم . بعبارة اخرى تشبه المنظمة صدام الصهيونية بالاستعمار الانكليزي بالنزاع بين ايان سميث في روديسيا والاستعمار البريطاني هناك ، أو بحرب « البوير » حيث لم يكن البوير محررين لافريقيا الجنوبية من الامبريالية بل كانوا يسعون للتخلص من السيطرة الاستعمارية المباشرة عليهم وتوظيف عملية الاضطهاد الاستعماري لمصلحتهم الخاصة . بكلام اخر ارادت الصهيونية ان يكون اليهود المهاجرين المستعمرين الحقيقيين لفلسطين بدون وصاية مباشرة من بريطانيا . تبين المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ان الدور الاستعماري التقليدي للصهيونية ما زال مستمرا حتى هذه الساعة من خلال دولة اسرائيل وبطبيعة تركيبها والدور الذي تقوم به في المنطقة العربية .

ترى المنظمة ان الحركة الصهيونية خلقت دولة اسرائيل في فلسطين كجزيرة منعزلة في المنطقة العربية لا تتمتع الا باستقلال شكلي ، وتعتمد اقتصاديا وسياسيا على الدول الاستعمارية ولا سيما على الولايات المتحدة الاميركية . تشدد المنظمة على « أن الحلف بين الصهيونية السياسية والاستعمار الاميركي لم يكن وليد المصادفات . فالصهيونية السياسية ، بحكم تاريخها الاستيطاني ، وبحكم سياسة التفريق والتمييز

التي انتهجتها ولا تزال تنتهجها تجاه عرب فلسطين ، هي ذات مصلحة حيوية في المحافظة على النفوذ الاستعماري في الشرق الاوسط ، وهي جزء لا يتجزأ من نظام السلطة الاستعمارية . «(١٣) كانت اسرائيل دوما اداة في ايدي الدول الاستعمارية ضد الامة العربية ، وضد القوى التقدمية في العالم العربي . وبرز التعبير الواضح عن هذا الدور الذي تقوم به اسرائيل في حرب السويس عام ١٩٥٦ حيث اثبتت حكومة اسرائيل ان الصهيونية حليفة طبيعية للاستعمار ضد العرب ، بالاضافة الى محاولتها انشاء اوضاع واقعية جديدة في الشرق الاوسط تكون لصالح الصهيونية وعلى حساب العرب . (١٤)

تشدد المنظمة على ان الهدف الرئيسي للسياسة الخارجية الاسرائيلية هو تعزيز « الوضع القائم » في منطقة الشرق الاوسط واطالة اجله . وتعتمد اسرائيل في تنفيذ هذه السياسة الى عوامل ثلاثة :

١ ــ كونها اضمن وارسخ حليف للاستعمار في المنطقة ، وهذا يعني حماية امبريالية قوية لها .

٢ ــ التحالف مع الرأي العام الغربي الذي يؤيد الصهيونية لاسباب عديدة لا مجال للخوض فيها هنا ، كما يشكل خمسة ملايين اليهودي الاميركي فئة ضاغطة لا يستهان بنفوذها على السياسة الرسمية الاميركية وعلى الرأي العام اليهودي على حد سواء . وحتى ذلك القطاع من الرأي العام الغربي الذي يعارض الاستعمار ، بشكل عام ، يتردد كثيرا بكل ما يتعلق بانتقاد اسرائيل . وغالبا ما يخلط الاشتراكيون في الغرب بين العداء للصهيونية والعداء للسامية . وتستفيد

(١٣) المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، **ثلاثة بيانات** ، تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، ص ١٧ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

الدعاية الصهيونية من كونها تسعى الى تدعيم واقع قائم فتبدو داعية سلام وتفاهم ، بينما تهدف السياسة العربية الى تبديل الوضع القائم فلا تستطيع بالتالي الدعوة للسلام بصورة مجردة ، بل عليها الاضطلاع بمهمة عسيرة هي شرح المظالم التي ينطوي عليها « الوضع القائم » الذي تدافع عنه اسرائيل وتدعمه الامبريالية في المنطقة .

٣ ـ اعتماد اسرائيل على القوة العسكرية المتفوقة .

وليس لدى المنظمة اية اوهام حول حقيقة واقع دولة اسرائيل في المنطقة لانها ترى بوضوح ان اسرائيل ليست الا قلعة محاصرة ذات تكوين اقتصادي هش يعتمد الى حد غير معقول على المساعدات الاقتصادية الخارجية كضمان لبقائها (منذ عام ١٩٥٠ يتدفق الى البلد سنويا ما يقارب من ٤٠٠ مليون دولار لسد العجز في ميزان المدفوعات) . بالاضافة الى ذلك ان موارد اسرائيل الطبيعية شحيحة واسواقها محدودة جدا اذ انها لا تستطيع مزاحمة الاقتصاديات المتقدمة للدول الاوروبية من جهة ، والاسواق العربية مسدودة في وجهها من جهة ثانية . وكان للمساعدات الخارجية الفضل الاكبر في تمكين اسرائيل من المحافظة على مستوى المعيشة المرتفع نسبيا بين سكانها .

الفصل الثالث

نظرة المنظمة الى المجتمع الاسرائيلي

تنطلق المنظمة في تحليلها للمجتمع الاسرائيلي وتكوينه من المبدا العام القائل بان المجتمعات الطبقية تنطوي دوما على مصالح اجتماعية متضاربة – اي المصالح الطبقية – تؤدي الى الصراع الطبقي في داخلها . وتضيف انه من الملاحظ ايضا ان المجتمع الاسرائيلي كان وما زال منغمسا (خلال الخمسين سنة الاخيرة) في صراع خارجي حاد : اي الصراع بين الصهيونية وبين العالم العربي عامة والشعب الفلسطيني على وجه التخصيص . اما السؤال الذي تثيره المنظمة بهذا الصدد فهو : اي من هذين الصراعين (الداخلي والخارجي) يعتبر رئيسيا واي منهما يعتبر ثانويا بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي حاليا واثناء تكوينه ؟ ومن الواضح ان هذا التساؤل ليس من النوع التجريدي او الاكاديمي البحت ، بل من النوع العملي الذي ينبغي على كل من له صلة جدية بالمجتمع الاسرائيلي والسياسة الاسرائيلية ان يتطرق اليه ويجيب عليه بصورة من الصور . ويصدق هذا القول بصورة خاصة على الثوريين داخل اسرائيل لان الجواب الذي يعطونه على هذا التساؤل سيحدد الى درجة كبيرة استراتيجية عملهم الثوري . على سبيل المثال اذا قلنا في جوابنا على السؤال ان النزاعات الطبقية الداخلية تشكل التناقض الرئيسي في حياة المجتمع الاسرائيلي سيؤدي ذلك الى تركيز الجهد السياسي الثوري على محاولة كسب الطبقة العاملة الاسرائيلية لجانب الثورة الاشتراكية ودفع الكفاح ضد التمييز والشوفينية والطبيعة

الاستعمارية للمؤسسة الصهيونية الى مكانة ثانوية في العمل الثوري . بعبارة اخرى يعتقد اصحاب هذا الرأي ان الصراع الخارجي الذي انغمس فيه المجتمع الاسرائيلي ناتج عن الصراع الداخلي الذي ينطوي عليه بحكم تركيبه الرأسمالي والطبقي، وان ديناميكية الصراع الداخلي لهذا المجتمع كافية بحد ذاتها لانتاج الثورة في اسرائيل بدون ضرورة الاعتماد على تقدم الثورة الاجتماعية في العالم العربي المحيط .

ترى المنظمة ان التحليل الذي يعتبر الصراع الطبقي الداخلي والمصالح الملتفة حوله في مجتمع ما هو الذي يحدد الصراعات والمصالح الخارجية لذلك المجتمع ينطبق على المجتمعات الرأسمالية الكلاسيكية ولكنه لا ينطبق ابدا على عدد من الحالات الاستثنائية تشمل بكل تأكيد دولة اسرائيل ومجتمعها . تضرب المنظمة مثلا بقولها انه لا يجوز ان نعتبر في بلد مُستعمَر ان ديناميكية مجتمعه الداخلية ناتجة عن طبيعة الصراعات الاجتماعية التي ينطوي عليها فقط بدون اعطاء الوزن الاكبر لطبيعة الصراع الخارجي ضد الدولة المستعمِرة. اي يجب اعتبار التناقض الخارجي الاستعماري هو الاهم والمسيطر في مرحلة معينة . كذلك ترى المنظمة ان التناقض الرئيسي والاساسي في حياة المجتمع الاسرائيلي كان وما زال هو التناقض الخارجي مع قوى التحرر العربية والفلسطينية وليس التناقضات الداخلية التي بقيت خاضعة لمصلحة الصراع الخارجي ومتطلباته . وتعرض المنظمة وجهة نظرها على اساس ان اسرائيل ليست بلدا راسماليا بالمعنى الكلاسيكي كما انها ليست مُستعمَرة بالتاكيد . وتشدد المنظمة بهذا الصدد على الطبيعة الخاصة جدا وشبه الفريدة لخصائص المجتمع الاسرائيلي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ،كما تستنتج ان كل محاولة لفهم المجتمع الاسرائيلي عن طريق التعميمات الماركسية الكلاسيكية والتشبيهات الراسمالية المالوفة تظل غير قادرة على تقديم اية نتائج صحيحة ومنطبقة

على واقع دولة اسرائيل وحقيقتها . لذلك تقول المنظمة ان افضل وسيلة لفهم طبيعة المجتمع الاسرائيلي هي تقديم صور واقعية وامينة عنه في ماضيه وحاضره .

هنا تثبت المنظمة عدة حقائق اساسية حول طبيعة المجتمع الاسرائيلي اولها كونه مجتمع مهاجرين : اي ان الاكثرية الساحقة من سكان اسرائيل هم اما مهاجرون او ابناء وبنات مهاجرين . وتقدم المنظمة الاحصاءات التالية لتثبت هذه الحقيقة . في عام ١٩٦٨ بلغ عدد السكان اليهود من الراشدين (اي الذين قطعوا سن ١٥) في اسرائيل ١٬٦٨٩٬٢٨٦ نسمة . وكانت نسبة الذين ولدوا منهم في اسرائيل لا يتعدون ٢٤ بالمائة اما نسبة المولودين من اهل ولدوا في اسرائيل فلم تكن تتعدى ٤ بالمئة . (١٥) ومن المعروف ان مجتمعات المهاجرين تتصف بخصائص معينة وصفات مميزة مثل كون الطبقات الاجتماعية فيها في طور التكوين وبفير معالم محددة مما يعني ضعف الوعي الطبقي وهزاله بصورة عامة في المجتمع ، كما تؤدي الهجرة الى عقلية معينة يمكن تلخيصها بالقول « عفا الله عما مضى » او « لنقلب صفحة جديدة » والاساس المادي لهذه الذهنية « المتسامحة » ظاهريا هو قيام المهاجرين بتبديل عملهم ودورهم الاجتماعي وطبقتهم بحكم انتقالهم من وضع الى وضع اخر . وتنطبق هذه الحقائق بصورة خاصة على اسرائيل ومجتمعها . لذلك نجد ان معظم العمال الاسرائيليين ينحدرون من اصول بورجوازية صغيرة ويحملون ذهنية المهاجر الجديد الذي يتطلع الى تفيير المكان الذي يشغله حاليا في المجتمع .

(١٥) M. Machover and A. Orr, **On the Nature of Israeli Society**, 12 August 1970 (unpublished paper), p. 2.

اثناء طباعة هذا الكتاب صدر هذا المقال في مجلة New Left Review عدد ٦٥ ، كانون الثاني ـ شباط ١٩٧١ ، ونشر في مجلتي **الحرية والهدف**.

وعندما يرى ان الذين جاءوا مع موجات الهجرة السابقة يشغلون المناصب الهامة ويتمتعون بالامتيازات الاجتماعية تقوى آماله في تسلق السلم الاجتماعي ويتعزز اعتقاده انه اذا عمل بجد ونشاط لفترة كافية لا بد ان ينجح في اختراق حدود مكانته الاجتماعية الحالية ، اي تنظر عقلية المهاجر الى وضع الفرد الاجتماعي الحالي على أنه مرحلة عابرة . هذه هي الذهنية السائدة في صفوف العمال في اسرائيل خاصة انه من المرجح ان والد العامل المهني لم يكن عاملا اصلا ، كما يعيش هذا العامل على أمل ان يصبح في يوم ما مستقلا او على أقل تعديل ان يتمكن اولاده من تحقيق الاستقلال الذي فشل هو في الحصول عليه . باختصار ان الوعي الطبقي ، اذا لم نقل الاعتزاز الطبقي ، كما نجده في البروليتاريا الفرنسية او البريطانية مثلا ، غير موجود في اسرائيل . لذلك تبدو هذه الاعتبارات التي نناقشها غريبة عن العامل الاسرائيلي وبعيدة عنه . مثلا عندما يطرح السؤال على العامل الاسرائيلي حول اصله فانه يجيب من خلال ارتباطاته الاثنية (ethnic) وليس غيرها ، كما يصف الاخرين من خلال الاسس نفسها بقوله انهم شرقيون او بولنديون الخ .. في الواقع ان معظم الناس في اسرائيل ما زالوا يصنفون انفسهم اجتماعيا من خلال البلدان التي جاءوا منها في الاصل او من خلال انتمائهم الاثني . ومن الواضح ان هذا النوع من الوعي الاجتماعي يشكل عائقا كبيرا في طريق الطبقة العاملة وبعدها عن القيام بأي دور طبقي فعال في المجتمع ، هذا اذا لم نذكر الدور الاكبر المطروح عليها من حيث المبدأ ، اي الدور الثوري الذي يطمح الى أن يكون للطبقة العاملة دورها المستقل والشامل والكلي في تبديل المجتمع تبديلا جذريا وثوريا . بعبارة اخرى ما من طبقة عاملة ستتمكن من ان تقوم بدور ثوري في مجتمعها اذا كانت اكثرية افرادها لا تطمح الا الى تحسين احوالها الفردية والشخصية ضمن اطار الوضع الاجتماعي القائم حتى لو اقتضى ذلك الخروج من صفوفها .

ويزداد هذا الوضع سوءا عندما لا تنظر البروليتاريا الى نفسها كطبقة اجتماعية ثابتة ذات مصالح حيوية وقيم جذرية خاصة بها ومتناقضة مع النظام الاجتماعي القائم . وتؤكد المنظمة ان هذا هو الواقع السائد في اسرائيل وطبقتها العاملة ، اذ ان الاستعداد للتغيير الشامل للمجتمع والاندفاع باتجاهه لا يبرزان بسهولة في المجتمعات المؤلفة من المهاجرين باعتبار ان هؤلاء قد بدلوا مكانهم الاجتماعي وموقعهم السياسي حديثا ويعيشون في ظروف اجتماعية متحركة جدا .

هنا يجب الاشارة الى ان هدف المنظمة الاشتراكية هو تقديم تشخيص واقعي ودقيق لاوضاع الطبقة العاملة الاسرائيلية وليس الدعوة الى موقف اليأس من ثورية الطبقة العاملة وغسل اليدين منها كليا . لذلك تشدد المنظمة ان الحقائق المذكورة لا تعني ابدا ان الطبقة العاملة الاسرائيلية غير قادرة على التحول الى قوة ثورية في المستقبل ، بل تعني ان العمل السياسي في صفوف هذه الطبقة لا يمكن ان ينطلق من نفس الاسس والتوقعات التي ينطلق منها في البلدان الرأسمالية الكلاسيكية ،(١٦) كما يعني ان تحول ثورية الطبقة العاملة الى حيز الفعل والواقع مرهون بالتطور الثوري لقوى التحرر العربية وتقدمها في ضرب المصالح الامبريالية في المنطقة العربية مما سيعرض المؤسسة الصهيونية الحاكمة الى ازمات داخلية وخارجية طاحنة ستترك اثرها الثوري على المجتمع الاسرائيلي عامة وطبقته العاملة بالتخصيص . بعبارة اخرى ترى المنظمة ان ثورية الطبقة العاملة في اسرائيل مرهونة في الدرجة الاولى بعملية انهيار المؤسسة الصهيونية وسقوطها (وهي عملية طويلة وتتم على مراحل) تحت ضربات قوى الثورة والتحرر العربية ضد الدعاية الاساسية للصهيونية والمبرر الرئيسي لوجودها : المصالح الامبريالية الضخمة في العالم العربي وكل

(١٦) المرجع السابق ص ١ – ٢ .

ما تعنيه من سياسات وانظمة وقمع الخ .

لـو كانت الخصائص التي تميز المجتمع الاسرائيلـي وطبقته العاملة تقتصر على كونه مؤلفا من المهاجرين أو ابناء المهاجرين لكان باستطاعتنا القول انه مع مرور الزمن وتصعيد التحريض الاشتراكي الدؤوب والطويل ستبدأ الطبقة العاملة الاسرائيلية بالقيام بدور مستقل وربما بدور ثوري في المجتمع. في هذه الحالة لن يختلف العمل التثقيفـي الذي تقـوم بـه الكادرات الثورية الواعية عن العمل الذي تقوم به كـادرات مشابهة في انحاء اخرى من العالم . غير ان المجتمع الاسرائيلي ليس مجتمع مهاجرين فحسب،انه مجتمع مستوطنين ايضـا . اي تكون هذا المجتمع ، بما في ذلك طبقته العاملة ، بواسطة عملية استعمارية لم تتوقف أبدا على امتداد الثمانين سنـة الماضية . كما أن الصراع بين مجتمع المستوطنين الصهيونيين والمجتمع الفلسطيني العربي لم يتوقف مما ترك اثاره البالغة في بنيان السياسة الاسرائيلية والاقتصاد الاسرائيلي وعلـم الاجتماع الاسرائيلي . وجدير بالذكر هنا ان الجيل الثاني في المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية لا ينقصه الوعي التام لهـذه الحقيقة بدليل خطاب مشهور القاه موشيه دايـان بمناسبة تأبين روي روتبرغ ، العامل في احد الكيبوتزات الذي قتل على يد الفدائيين الفلسطينيين عام ١٩٥٦ . قال دايـان : « نحن جيل من المستوطنين ، وبدون الخوذة الفولاذية والمدفع لا يمكننا ان نزرع شجرة أو ان نبني بيتا وينبغي الا نلين امام الحقد الذي يلهب صدور مئات الالوف من العرب حولنا . ينبغي الا نذير رؤوسنا كي لا ترتعش ايدينا . ان قدر جيلنا هو أن يكون مستعدا ومسلحا ، قويا وقاسيا ، كي لا يقـع السيف من قبضتنا وتنتهي حياتنا . » (١٧)

تبين المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية انه عندما قال كارل

(١٧) المرجع السابق ، عن صحيفة دافار ، ٢ ايار (مايو) ١٩٥٦.

ماركس « ان شعبا يضطهد شعبا اخر لا يمكن ان يكون حرا » لم يكن يطلق حكما اخلاقيا فقط ، بل كان يعني ايضا ان الطبقة المستغلة في مجتمع يقوم حكامه باضطهاد شعوب اخرى تصبح مشاركة في الاضطهاد ومتواطئة مع المضطهدين اذا لم تقاوم هذا الاضطهاد نفسه . حتى عندما لا تجني هذه الطبقة اية مكاسب مباشرة من الاضطهاد الواقع على شعوب اخرى قد يتكون عندها الوهم بان بينها وبين حكامها مصلحة مشتركة في ابقاء الاضطهاد واستمراره . مثل هذه الطبقة تسير في ركاب حكامها بدلا من ان تتحداهم . تبرز هذه الظاهرة بصورة خاصة وبعنف كبير في اسرائيل لان الاضطهاد لا يجري في مكان بعيد عن حدود البلاد (مستعمرات عبر البحار) بل في داخله . في الواقع تشدد المنظمة على ان الاضطهاد القومي لشعب اخر وتشريده هو الاساس الاولي لقيام المجتمع الاسرائيلي المضطهد واستمراره بحيث يصبح الاضطهاد جزءا لا يتجزأ من حياته . كذلك تبين الخبرات الكثيرة التي تراكمت من النشاط العملي لكافة المنظمات اليسارية الثورية التي عملت ضمن صفوف السكان اليهود في فلسطين منذ عام ١٩٢٠ الاهمية السياسية القصوى للمبدأ القائل بان شعبا يضطهد شعبا اخر لا يمكن ان يكون حرا . هذا يعني بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي انه طالما بقيت الصهيونية سائدة سياسيا وايديولوجيا باعتبارها الاطار السياسي المقبول لا يمكن ان تصبح الطبقة العاملة الاسرائيلية طبقة ثورية باعتبارها مشاركة في الاضطهاد المذكور ومستفيدة منه .

تقول المنظمة انه يوجد عامل اخر ينبغي اخذه بعين الاعتبار هو الانتماء الاثني للبروليتاريا الاسرائيلية . تتألف الشرائح العمالية الاكثر اضطهادا من مهاجرين جاءوا من افريقيا واسيا . قد يبدو لاول وهلة ان التطابق بين التقسيم الطبقي والتقسيم الاثني سيزيد من حدة النزاعات الطبقية الداخلية في اسرائيل ولا شك بوجود نزعة بطيئة بهذا الاتجاه .

غير ان المؤثر الاثني قد مارس فعله بالاتجاه المعاكس لعدة اسباب : اولا ، ان الكثيرين من المهاجرين من اسيا وافريقيا قد حسنوا اوضاعهم المعاشية بعد مجيئهم الى اسرائيل اذ اصبحوا بروليتاريين في مجتمع رأسمالي حديث . لذلك نجد ان تذمرهم ليس نابعا من وضعهم البروليتاري بل هو موجه ضد وضعهم كشرقيين ، اي ضد مشاعر الاحتقار والتمييز التي يعانون منها والصادرة من جانب اليهود المنتمين الى اصل اوروبي . هذا واقع موجود بالرغم عن كل جهود المؤسسة الصهيونية لتذويب الفئات الاثنية المختلفة ودمجها ببعضها . لذلك كثيرا ما يتم فهم الصراع الطبقي في اوساط هؤلاء العمال على انه مسألة اثنية ، اذ لا يقول هذا الانسان « انا مستغل لانني عامل » بل يقول « انا مضطهد لانني شرقي » . ثانيا ، في الوضع السائد حاليا في مجتمع المستوطنين الاسرائيليين يشبه العمال المنتمون الى اصول شرقية ما يسمى « بالفقراء البيض » (white trash) في الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية ، او ما كان يسمى « باصحاب الاقدام السوداء » (pieds noires) في الجزائر . ترفض هذه الجماعات التضامن مع السود في اميركا مثلا او مع العرب في الجزائر او مع سكان البلاد في المستعمرات عامة لانها خاضعة لذهنية المستوطنين التي تعتبر كل هؤلاء في مكانة نوعية ادنى من الانسان المستوطن والمستعمر . ان رد الفعل النفساني لهذه الفئات ، كما هو معروف ، هو التضامن مع اكثر الاحزاب والعناصر شوفينية وعنصرية في المؤسسة الحاكمة . لذلك نجد ان معظم مؤيدي حزب «حيروت» شبه الفاشستي في اسرائيل هم من المهاجرين اليهود الذين اتوا من اسيا وافريقيا . هذا لا يعني طبعا ان هذه الشرائح من البروليتاريا الاسرائيلية هي رجعية « بطبيعتها » الثابتة بل يعني ان نزعتها الرجعية الحاضرة هي نتيجة مباشرة لسيادة الصهيونية وحكمها في اسرائيل . كما انه لا يعني انه لا يمكن لهذه الشرائح ان تصبح ادوات اجتماعية فعالة في العملية الثورية داخل المجتمع

الاسرائيلي الا مع تدمير المؤسسة الصهيونية في اسرائيل علما بأنه من غير المرجح ان تقوم هذه الشرائح بدور طليعي في الحركة التي ستدمر المؤسسة الحاكمة .

وتضيف المنظمة في تحليلها لطبيعة المجتمع الاسرائيلي وقواه سمة اخرى تضاف الى كونه مجتمع مستوطنين تكون من خلال عملية استعمار لبلد مأهول هي تمتعه بمجموعة من الامتيازات الفريدة من نوعها . تستفيد اسرائيل من تدفق الثروات والموارد الخارجية الضخمة نوعا وكما وذلك بصورة لا مثيل لها بين دول العالم . كذلك تشغل اسرائيل مكانا ممتازا في الشرق الاوسط بمعنى انها ممولة من قبل الامبريالية بدون ان تكون خاضعة للاستغلال الاقتصادي الامبريالي . في الواقع كانت هذه حال اسرائيل منذ البداية ، اي ان الامبريالية استخدمت اسرائيل لخدمة غاياتها في الشرق الاوسط ودفعت ثمنا لذلك اخذ شكل الدعم الاقتصادي والعسكري الكبير لها. على سبيل المثال كتب الاقتصادي الاميركي اوسكار غاس (كان في السابق مستشارا اقتصاديا لدى الحكومة الاسرائيلية) في مراجعته لكتاب **تطور اسرائيل الاقتصادي**(١٨) ما يلي : « ان الناحية الفريدة في عملية التطور (الاقتصادي الاسرائيلي) كما يبرزها المؤلفان تكمن في تدفق رأس المال الى اسرائيل . يبين المؤلفان انه خلال ١٧ عاما (١٩٤٩ — ١٩٦٥) حصلت اسرائيل على اكثر من ستة بلايين دولار من استيراد البضائع والخدمات مما صدرته . وفي فترة ٢١ عاما (١٩٤٨ — ١٩٦٨) كان فائض الاستيراد يزيد عن ٧ بلايين ونصف البليون دولار وهذا يعني ان الزيادة بلغت مقدار ٢٤٦٥٠ دولارا للشخص الواحد او لكل شخص عاش في اسرائيل خلال فترة ٢١ عاما . كذلك

(١٨) **The Economic Development of Israel,** by N. Halevi and R. Klinov - Malul, published by the Bank of Israel and F. A. Praeger, 1968.

يبين المؤلفان ان نسبة ٣٠ بالمائة فقط من هذه الموارد الخارجية دخلت الى اسرائيل بشروط مقابلة تفرض خروج الارباح او الفوائد او الرأسمال من البلد نفسه . هذا وضع لا مثيل له في أي مكان اخر وهو يحد بمقدار كبير من اهمية تطور أسرائيل الاقتصادي كمثال يحتذى من قبل بلدان اخرى .»(١٩)

وتبين المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في تحليلاتها ان حساب كل هذه الموارد الخارجية الى اسرائيل لا يشمل الممتلكات التي انتزعتها المؤسسة الصهيونية من الفلسطينيين تحت غطاء اعلانها « ممتلكات مهجورة » . وتشمل هذه الممتلكات الارض (منها ما كان صالحا للزراعة ومنها ما لم يكن علما بان مجموع مساحة الاراضي التي اشترتها المؤسسات الصهيونية قانونيا في فلسطين بقي أقل من ١٠ بالمائة مما سيطرت عليه اسرائيل قبل حرب ١٩٦٧) والمنازل ومدن « مهجورة » بكاملها مثل يافا واللد والرملة الخ ... وقد تمت مصادرة الكثير من هذه الممتلكات بعد حرب ١٩٤٨ بفترة طويلة .

لا يصب هذا التدفق الكبير لراس المال في جيوب البورجوازية الصغيرة الاسرائيلية بل ينتهي الى ايدي الدولة (المؤسسة الصهيونية في اسرائيل) التي وقعت منذ العشرينات تحت السيطرة الكاملة للجهاز البيروقراطي للاحزاب العمالية الصهيونية . ويقرر هذا الواقع السبل التي يتم فيها استخدام الراسمال المتدفق والممتلكات التي انتزعت عن طريق الحرب والمصادرة . أما الهدف الكامن خلف اسلوب استخدامها فهو تعزيز عملية الاستعمار وتوسيعها وفقا لنظريات الاحزاب العمالية الصهيونية (ماباي ؛ مابام ؛

(١٩) M. Machover and A. Orr, **On the Class Nature of Israeli Society,** P. 5. Quoted from **Journal of Economic Literature,** December 1969, P. 1177.

احدوت هاعفودا ، الخ ...) وتقوية هيمنة بيروقراطيتها على المجتمع الاسرائيلي . وجدير بالذكر هنا أن الطبقة العاملة ليست وحدها الواقعة تنظيميا واقتصاديا تحت الهيمنة الكاملة للبيروقراطية العمالية الصهيونية لان البورجوازية الاسرائيلية ايضا تجد نفسها سياسيا واقتصاديا في موقع ثانوي نوعا ما بالنسبة لموقع هذه البيروقراطية . لقد حددت هذه البيروقراطية تاريخياطبيعة معظم المؤسسات والقيم والممارسات السائدة في المجتمع الاسرائيلي بدون أن تلاقي اية مقاومة داخلية تذكر ، ولم تكن تخضع في ذلك الا الى الضغوط الخارجية التي كانت تفرضها الامبريالية من ناحية والمقاومة العربية من ناحية اخرى .

كان مصير القسم الاكبر من الموارد المتدفقةعلى اسرائيل الاستثمار في مشاريع الهجرة والسكن والتوظيف الضرورية لاستيعاب المهاجرين الذين رفعوا تعداد السكان اليهود من ٦٠٠،٠٠٠ في عام ١٩٤٨ الى ٢،٤٠٠،٠٠٠ في ١٩٦٨ .

هنا تؤكد المنظمة على التاثير الكبير الحاسم الذي تركه تدفق الموارد الى اسرائيل على الديناميكية الداخلية للمجتمع الاسرائيلي وتطوره . على سبيل المثال تذكر المنظمة مشاركة الطبقة العاملة الاسرائيلية بصورة مباشرة وغير مباشرة في الاستفادة من هذا المد الخارجي بالموارد والرساميل باعتبار ان اسرائيل ليست بلدا تصبفيه المساعداتالخارجية في الجيوب الخاصة لبعض المحظوظين بل هي بلد تقوم فيه هذه المساعدات بدعم البنيان الاجتماعي القائم ككل . طبعا لا يحصل العامل الاسرائيلي على حصته من المساعدات نقدا وعدا ، يحصل عليها عن طريق السكن الحديث والرخيص نسبيا ، علما بانه لا يمكن بحال من الاحوال تزويده بهذا النوع من السكن بالاعتماد على الرأسمال المحلي وحده او الموارد المحلية وحدها . ويحصل عليها عن طريق المشاريع الصناعية التي توظف اليد العاملة وهي مشاريع لا يمكن البدء بها

أو الاستمرار في تشغيلها بدون المساعدات الخارجية المستمرة. كذلك يحصل على حصته عن طريق مستوى المعيشة المرتفع الى درجة لا تتناسب مع الانتاجية الحقيقية لاسرائيل نفسها. هذه ايضا حال الارباح التي تجنيها البورجوازية الاسرائيلية علما بان عملية ضبط نشاطها الاقتصادي وارباحها تتم من جانب البيروقراطية اياها وبوسائل متعددة مثل المساعدات الحكومية ، رخص الاستيراد ، الاعفاء من الضرائب ، الخ .. وهذا يعني ان موضوع الصراع بين الطبقة العاملة الاسرائيلية وبين ارباب عملها ــ من الراسماليين والجهاز البيروقراطي ــ لا يقتصر على فائض القيمة الذي ينتجه العامل بل يتعدى ذلك ليشمل القسم الذي سيحصل عليه كل من الطرفين المتصارعين من المساعدات الخارجية .

في عام ١٩٥٠ لخص رئيس تحرير الصحيفة اليومية **هاآرتس** الظروف السياسية التي سمحت لاسرائيل ان تحصل على المساعدات الخارجية بهذه الكميات الضخمة وبشروط لا مثيل لها . قال : « لقد اعطيت اسرائيل دورا لا يختلف كثيرا عن دور كلب الحراسة . ليس هناك اي خوف من ان تمارس اسرائيل سياسة عدوانية ضد الدول العربية اذا كان ذلك يناقض مصالح الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا . ولكن اذا فضل الغرب ان يغض النظر لسبب ما بالامكان الاعتماد على اسرائيل كي تقوم بتأديب الدول المجاورة تأديبا قاسيا اذا تعدت في سلوكها نحو الغرب الحدود المرسومة . » (٢٠) وليس من ضرورة لذكر ان الاحداث الحية برهنت اكثر من مرة صحة هذا التقدير لدور اسرائيل في الشرق الاوسط .

---

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٦ عن
G. Shoken, **Ha'aretz**, «The Prostitute of the Sea Ports and We. Meditations on the Eve of New Year», 30 September, 1951.

هنا تعود المنظمة الى تأكيد استنتاجها الاول القائل انه عندما نعالج دولة اسرائيل (التي قال عنها الاقتصادي اوسكار غاس بانه « لا شبيه لها ») لا يمكننا استخلاص سياستها الخارجية والعسكرية من ديناميكية النزاعات الاجتماعية الداخلية ، بل العكس هو الصحيح ، لان الاقتصاد الاسرائيلي بجملته يرتكز على الدور السياسي والعسكري الخاص الذي تقوم به الصهيونية والذي يلعبه مجتمع المستوطنين في منطقة الشرق الاوسط . أن ٧٠ بالمائة من الراسمال المتدفق الى اسرائيل ليس الهدف منه الكسب الاقتصادي العادي كما انه لا يخضع الى اعتبارات الربح المألوفة . ولا تتضح هذه الحقيقة الا اذا تنازلنا عن النظر الى اسرائيل بمعزل عن بقية المنطقة واخذنا بعين الجد الدور الستراتيجي الذي تقوم به في الشرق الاوسط .

وتبين المنظمة ان كون قسم من المساعدات الخارجية الوافدة الى اسرائيل يأخذ طابع التبرعات والهبات التي تجمعها المنظمة الصهيونية من اليهود في كل انحاء الغرب لا يغير من طبيعة المساعدة الامبريالية لاسرائيل . المهم هنا هو أن وزارة المالية الاميركية توافق على اعتبار الاموال المجموعة في الولايات المتحدة والمعدة للنقل الى بلد اخر على أنها من باب «الاحسان» فتجعلها خاضعة لكافة الاعفاءات الضرائبية الممكنة . بهذه الصورة تصبح التبرعات مرهونة « بالارادة الطيبة » لوزارة المالية الاميركية ولن تستمر « الارادة الطيبة » في سلوكها المفيد لاسرائيل ما لم تبق السياسة الاسرائيلية على حالها في الشرق الاوسط .

تحاول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ان ترى بعض اوجه الشبه بين الدور الذي تلعبه اسرائيل في منطقتنا وادوار تاريخية مشابهة قامت بها تجمعات اخرى . تشير تحليلات المنظمة بهذا الصدد الى ان سكان القوقاز قد قاموا بدور مشابه في ظل النظام القيصري . كان المجتمع القوقازي

يعاني من الصراعات الاجتماعية الداخلية ولكن بما انه كان يخدم نظام القيصر بوظيفة حارس امين على مصالحه ضد باقي المجتمع الروسي تمتع القوقازيون بامتيازات خاصة بهم وبمجتمعهم مما اعاق امكانية بروز تطورات ثورية في داخله منبثقة من ديناميكية صراعاته الداخلية . ولم تبرز مثل هذه الاتجاهات والنزعات الا عندما دخل النظام القيصري مرحلة الانهيار مما هدد امتيازات المجتمع القوقازي ايضا . أي خضعت ديناميكية العملية الثورية داخل المجتمع القوقازي لديناميكية العملية الثورية في بقية المجتمع الروسي ككل . وقد تحددت طبيعة العلاقة بين العمليتين الثوريتين المذكورتين بطبيعة العلاقة القائمة بين المجتمع القوقازي والمجتمع الروسي (علاقة الحارس المفروض على الطرف الثالث) . ان استمرار وظيفة الحارس وبقاءها بمنأى عن التهديد بنزع امتيازاتها المضمونة تمنع الصراعات الاجتماعية وحدها من ان تكون منطلقا كافيا للعملية الثورية في مثل هذه المجتمعات . كذلك الامر بالنسبة للصراعات الداخلية في المجتمع الاسرائيلي التي لا يمكن ان تنمو الى عملية ثورية الا عندما يصبح دور الحارس مهددا وتصبح الامتيازات المبنية عليه غير مضمونة بعد الان . وواضح ان تهديد دور الحارس الاسرائيلي وامتيازاته مرهونة بصورة رئيسية بتطور القوى العربية الثورية المحيطة، على حد اعتقاد المنظمة .

ترفض المنظمة ان تستنتج من هذا التحليل للمجتمع الاسرائيلي ان مجالات العمل معدومة امام الثوريين في اسرائيل وانه ما عليهم الا ان يجلسوا وينتظروا بروز الظروف الموضوعية الخارجية (عربيا وعالميا) التي لا سيطرة لهم عليها . الاستنتاج الصحيح كما تراه المنظمة يفرض على الثوريين ان ينطلقوا في نشاطهم من فهم واضح للخصائص شبه الفريدة للمجتمع الاسرائيلي بدلا من الاعتماد على التعميمات المعروفة حول الرأسمالية الكلاسيكية . عندئذ يصبح الواجب الرئيسي

الواقع على عاتق الثوريين الذين يوافقون على هذا التحليل توجيه عملهم ونشاطهم نحو تلك الشرائح والفئات الاجتماعية من السكان في اسرائيل الذين يتأثرون سلبيا وبصورة مباشرة من الالتزامات السياسية للصهيونية ويدفعون ثمنها غاليا . تضم هذه الشرائح قطاع الشباب الذي تقول له المؤسسة الحاكمة ان الحرب الدائمة هي قدر مفروض عليه من اجل المحافظة على الطبيعة الصهيونية لاسرائيل . كما تضم بصورة رئيسية العرب الواقعين تحت الحكم الاسرائيلي . ان العمل الثوري داخل صفوف هذه الفئات وتعزيز نزعاتها المعادية للصهيونية هو دعم للكفاح الثوري العام في منطقة الشرق الاوسط. وتؤكد المنظمة ان كل من يتابع بدقة الكفاح الثوري في العالم العربي سوف يتبين حقيقة العلاقةالديالكتيكية بين الصراع ضد الصهيونية داخل اسرائيل والكفاح من اجل الثورة الاجتماعية داخل العالم العربي . هذه الستراتيجية لا تعني وفقا لما تقوله المنظمة أن النشاط في صفوف الطبقة العاملة الاسرائيلية يجب ان يهمل بل يعني انه يجب اخضاع النشاط العمالي ايضا الى الستراتيجية العامة للكفاح ضد الصهيونية .

تنتهي المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية الى عدة نتائج من خلال تحليلها وفهمها للمجتمع الاسرائيلي : (١) ان اخضاع الاقتصاد برمته الى الاعتبارات السياسية ليس امرا جديدا في اسرائيل بل كان ذلك دوما سمة هامة من سمات الاستعمار الصهيوني منذ بدايته باعتباره لم يكن يهدف الى الغايات الاستعمارية الرأسمالية الكلاسيكية (ربح ،استغلال ،أسواق الخ ...) بل الى تأسيس دولة يهودية خالصة في فلسطين تحل محل سكانها العرب . على سبيل المثال كتب هرتزل في مذكراته ما يلي : « اما بالنسبة للاراضي التي تخص الاخرين في المناطق التي ستعطى لنا فعلينا ان ننزعها بالتدريج منايدي

مالكيها . وسنحاول ان ننقل بهدوء الفئات الاكثر فقرا بين السكان خارج حدودنا عن طريق تأمين العمل لهم في البلدان التي يمرون فيها ، أما في بلدنا فسنحرمهم من كل عمل . اما المالكين بين السكان فانهم سينضمون الينا . ويجب ان تتم عمليتا نقل ملكية الارض وازاحة الفقراء بعناية وهدوء ، ولا مانع ان ظن ملاكو الارض بأنهم يستغلوننا عندما يحصلون على اسعار تفوق قيمة اراضيهم ، ولكن لن يعاد بيع أي من هذه الاراضي الى مالكيها الاصليين . » (٢١)

(٢) مع ان العناصر البورجوازية في الاستعمار الصهيوني كانت دوما تفضل استخدام اليد العاملة العربية الرخيصة ، كانت البيروقراطية العمالية الصهيونية تقاتل دوما ضد هذا الاتجاه وتطالب بتشغيل اليد العاملة اليهودية فقط . نتج عن ذلك صراع قوي ضمن صفوف القوى الصهيونية في فلسطين استمر خلال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن . في الواقع كانت هذه المسألة اهم نزاع جرى داخل الصفوف الصهيونية في فلسطين . وربحت البيروقراطية العمالية الجولة الى حد بعيد بسبب الدعم الذي تلقته من الحركة الصهيونية لاسباب واعتبارات سياسية تتعلق بطبيعة الاستعمار الصهيوني وطبيعة اهدافه المذكورة مما رجح كفة الميزان لصالح البيروقراطية العمالية الصهيونية في فلسطين. وكانت هزيمة العناصر البورجوازية بداية لنمط معين في المشاركة في الحكم بحيث تلعب البيروقراطية العمالية دور الشريك الأكبر بينما تلعب البورجوازية دور الشريك الاصغر. وقد بقي هذا الترتيب في الشراكة داخل المؤسسة الحاكمة بدون أي تغيير حقيقي منذ اربعينات هذا القرن حتى يومنا

(٢١) المرجع السابق ، من
Herzl, **Selected Works**, Newnan ed., Tel-Aviv, Vol. 7, Book I, p. 86.

هذا . بعبارة اخرى اسرائيل دولة رأسمالية من نوع خاص جدا تحكمها شراكة طبقية فريدة من نوعها على ما ترى المنظمة. لذلك لم تكن الايديولوجية السائدة في اسرائيل في يوم من الايام ايديولوجية رأسمالية محض بل كانت مزيجا من العناصر البورجوازية مع بعض الافكار الرئيسية والموضوعات السائدة في صفوف الحركة العمالية الصهيونية . بطبيعة الحال ان مثل هذا الوضع لا يبقى ساكنا اذ يتبدل التوازن الذي تقوم عليه السلطة بالتدريج وهو يميل ببطء لصالح الشريك البورجوازي . ومن أعراض عملية التبدل والميل هذا الانقسام الذي وقع حديثا بين جولدا مائير وبن جوريون من ناحية وبين تلميذهما موشيه دايان من ناحية اخرى حول موضوع تشغيل الفلسطينيين العرب من المناطق العربية المحتلة في الاقتصاد الاسرائيلي . كانت مائير تعارض بشدة مثل هذه السياسة بينما كان دايان يؤيدها . وقد أيدت الصحيفة البورجوازية **هاآرتس** موقف دايان . ولكن مع ذلك تبقى البيروقراطية العمالية هي المسيطرة اذ انها تسيطر على جهاز الدولة الضخم وعلى الهستدروت ومن خلال ذلك تهيمن على المجتمع الاسرائيلي ومعظم الاقتصاد .

كما أن القوة الاقتصادية المتوافرة للبيروقراطية العمالية الصهيونية هي في الواقع اكبر بكثير مما توحي به الاحصاءات المنشورة ، اذ بالاضافة الى سيطرتها المباشرة على الدولة والهستدروت تمارس سيطرة غير مباشرة على القطاع الخاص. وهي سيطرة تذهب الى ابعد بكثير مما هو عليه الحال بالنسبة لتدخل الدولة في الاقتصاد في معظم البلدان الرأسمالية . ان الاقتصاد الاسرائيلي برمته ، بما في ذلك القطاع الخاص ، يعتمد كليا على المساعدات الخارجية التي يستلمها من خلال أقنية تسيطر عليها الدولة ، أي البيروقراطية العمالية الحاكمة . وهذا يعني القدرة على ممارسة سيطرة واسعة على الجماهير العريضة من سكان اسرائيل ليس على صعيد

القضايا السياسية والاقتصادية فحسب بل على صعيد قضايا معاشية يومية . ان اكثرية الاسرائيليين تعتمد بصورة مباشرة ويومية على الارادة « الطيبة » لهذه البيروقراطية لاجل الاستمرار في العمل والسكن والضمان الصحي ، الخ ... وقد حدث اكثر من مرة ان اضطر العمال الذين تمردوا على هذه البيروقراطية (كما حدث في اضراب البحارة الكبير في كانون الاول ، ديسمبر ، ١٩٥١) الى البقاء بدون عمل ، اما الذين رفضوا الاستسلام او التواطؤ فقد اضطروا الى الهجرة من اسرائيل كليا . بعبارة اخرى تبين كافة هذه الوقائع ان البنيان الطبقي الخاص للمجتمع الاسرائيلي والبنية الخاصة للطبقة الحاكمة ليست مجرد نتائج طبيعية للديناميكية الداخلية للمجتمع الاسرائيلي بل هي نابعة من ديناميكية المشروع الصهيوني الاستعماري ككل .

٣ — ان العمال في اسرائيل قادرون على النضال النقابي والاقتصادي وعلى الاستنتاج بأن الهستدروت يشكل عائقا في وجه تحقيق مصالحهم الطبقية . غير ان كل المحاولات المبذولة لرفع مستوى النضال العمالي الى الصعيد السياسي ضد النظام بحد ذاته كانت تواجه صعوبة بالغة هي الصهيونية وايديولوجيتها السائدة . لذلك توصلت المنظمة الى النتيجة القائلة انه طالما بقيت الصهيونية سائدة في اسرائيل وبقيت الظروف العالمية وظروف المنطقة تسمح للمجتمع الاسرائيلي ككل بالتمتع بامتيازات في الشرق الاوسط تدعمها الامبريالية الاميركية فان الطبقة العاملة الاسرائيلية تبقى مستفيدة من الصهيونية ومن المستبعد ان تتحول الى طبقة ثورية بالفعل ضمن هذه الظروف . اي ترى المنظمة في الصهيونية العائق السياسي الاساسي الذي يقوم بدور المعطل للنمو الثوري للطبقة العاملة الاسرائيلية . كما ترى انه مع سيادة ظروف اخرى تكون فيها الصهيونية على وشك الانهيار مثلا (بسبب اوضاع محلية وعالمية جديدة) ستتحول الطاقات الثورية الكامنة

في الطبقة العاملة الاسرائيلية الى حيز الوجود الفعلي . اي سيأتي تحول الطبقة العاملة الاسرائيلية نتيجة تطور يشتمل على عوامل خارجية وداخلية مجتمعة معا لا يجوز فصلها عن بعضها ميكانيكيا . لكن في الاساس تعتقد المنظمة ان العنصر الرئيسي سيكون تطور القوى العربية الثورية كما ذكرنا سابقا.

لذلك مع أن المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ترى بالضرورة الحيوية ان تكون لها جذور في الطبقة العاملة وان تتدخل في الصراع الطبقي داخل اسرائيل ، لكنها لا تتوقع في الظروف الحاضرة ان تنجح في رفع مستوى النضال العمالي من الصعيد الاقتصادي البحت الى الصعيد السياسي لان ذلك سوف يعني ضرب الصهيونية ، اي حدوث ثورة في اسرائيل ، أو بعبارة ادق اكتمال الوجه السياسي للثورة في اسرائيل الذي يعني سقوط الصهيونية . والطبقة العاملة في اسرائيل ليست مستعدة في الوقت الحاضر للاضطلاع بمثل هذه المهمة لاسباب عديدة تم شرحها فيما سلف . ولكن سيتغير هذا الوضع عندما تدب عوامل الضعف والانحلال في الصهيونية ومؤسساتها بسبب عدد من العوامل الخارجية والداخلية مثل تطور القوى الثورية في كافة انحاء الشرق الاوسط وضعف سيطرة الامبريالية الاميركية على العالم العربي . اي لاضعاف الصهيونية لا بد من ضرب المصالح الاميركية في الشرق الاوسط مما سيفقد اسرائيل وظيفتها كحارس امبريالي في المنطقة . بطبيعة الحال لن تأتي هذه التطورات لوحدها وبصورة آلية محض لانها مرهونة ايضا بالعمل الذي تقوم به القوى الثورية في منطقة الشرق الاوسط ككل بما فيها اسرائيل .

لا تستبعد المنظمة سقوط الصهيونية نتيجة لهزيمة عسكرية امام الدول العربية في المستقبل غير ان المنظمة تعتقد ان تحقيق مثل هذه الهزيمة سيكون تعبيراً عن الضعف الذي اصاب المؤسسة الصهيونية وليس السبب في اضعافها

وسقوطها . على سبيل المثال ان قدرة اسرائيل على المحافظة على مستوى تسليحها ليست الا تعبيرا واضحا عن مستوى الدعم الامبريالي لها . وكل هزيمة تصاب بها الامبريالية في الشرق الاوسط تعني اضعافا ، على المدى الابعد ، لمستوى تسليح الجيش الاسرائيلي مما سيجعل هزيمته اكثر ترجيحا. اما على الصعيد الداخلي فتعتقد المنظمة ان ما يسمى بتمرد الشباب في اسرائيل له أهميته الخاصة لان هؤلاء الشباب هم الذين يقاتلون في الجيش الاسرائيلي ويشكلون عموده الفقري ، باعتبار ان الجيش مؤلف من المواطنين وليس من المحترفين . وتشير المنظمة هنا الى مقال نشره دايان في صحيفة **التايمز** اللندنية بسبب دلالاته بهذا الصدد . يتضح من المقال ان دايان يتذمر لان الشباب في اسرائيل لم يعد كما كان في السابق ، أي كما عهده دايان دوما . لم تعد قطاعات من الشباب تتقبل الدعاية الصهيونية وتبريراتها ومغالطاتها كما كانت تفعل سابقا . يقول دايان يجب علينا ان نبين **للشباب في اسرائيل أن الحرب التي نخوضها هي حربهم** وعليهم المشاركة فيها لهذا السبب وليس لمجرد انه طلب منهم ذلك . تبين هموم دايان ان شيئا ما يحدث في اسرائيل وهو يتعلق بتطورات جديدة في صفوف قطاع معين من الشعب بالرغم عن كونه قطاعا صغيرا نسبيا لكنه اقلق دايان الذي لا يقلق بسرعة . وبطبيعة الحال سيكون لمثل هذه التطورات نتائجها الهامة حتى على الصعيد العسكري البحت . مرة اخرى أن اية هزيمة تصاب بها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في مواجهة القوة العربية لا يمكن ان تكون الا تعبيرا عن عملية أضعاف مستمرة للمؤسسة الصهيونية ناتجة عن اسباب ومؤثرات خارجية وداخلية ذكرناها . لذلك تتوقع المنظمة أن يأتي سقوط الصهيونية نتيجة لازمة مركبة على الصعيدين العسكري والاقتصادي . أي أن تجد اسرائيل طاقاتها العسكرية والاقتصادية غير قادرة على تحقيق ما كانت قادرة على تحقيقه في السابق (بسبب نمو القوى الثورية العربية

وانحسار المصالح الامبريالية في المنطقة مثلا) . وكما هو معروف هذا النوع من الازمات المركبة يشكل الوضع الكلاسيكي لاشعال الثورات وانتاجها . على سبيل المثال نذكر ان ثورة اكتوبر (بالرغم عن الفوارق) جاءت نتيجة لازمة عسكرية اقتصادية من النوع المركب والعنيف جدا .

الفصل الرابع

نظرة المنظمة الى « اليسار » في اسرائيل

تأسست جميع الاحزاب التي تدعي اليسار الموجودة اليوم في اسرائيل قبل قيام اسرائيل ١٩٤٨ ، ولم يتشكل أي حزب يساري جديد بعد عام ١٩٤٨ (عدا الاجنحة الانقسامية التي لم تكن تدوم طويلا قبل الانضمام الى حزب اخر) . لذا لا بد من اشارة سريعة الى الخلفية التاريخية لهذه الاحزاب علما بأن تاريخها (باستثناء الحزب الشيوعي) هو تاريخ ما يدعى باليسار الصهيوني . لكن قبل مس هذا الموضوع لا بد من الاشارة هنا الى ما تقوله المنظمة عن احدى السمات الرئيسية التي تميز الاحزاب الصهيونية كلها من حزب حيروت (الحرية) اليميني الى المابام اليساري (حزب العمال المتحد) هي انتماؤها الى الوكالة اليهودية ، العمود الفقري التنظيمي للصهيونية بغض النظر عن كافة الخصومات والنزاعات القائمة بينها على ارض السياسة الاسرائيلية . ومن اوجه النشاط الهامة التي تمارسها كل هذه الاحزاب جباية الاموال من الجاليات في شتى انحاء العالم (٢٢) . وتذهب هذه الاموال لدعم كافة النشاطات الصهيونية بما في ذلك تدعيم الاقتصاد الاسرائيلي (خصوصا القطاع الزراعي، الكيبوتزيم ، الخ ..) ينفق جزء اخر من هذه المساعدات

---

(٢٢) مع ان المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية لا تملك ارقاما دقيقة حول مقدار الاموال المجموعة الا انها تقدر ان هذه الاحزاب تجمع حوالي ٤٠ مليون جنيه استرليني سنويا او ١١٢ مليون دولار .

على تمويل الاحزاب الصهيونية جميعا بما فيها حيروت والمابام . وتتلقى الاحزاب مساعداتها المالية حسب حجمها ومقدرتها على المساومة . لذلك يستطيع أي حزب صهيوني ان يمول جريدة يومية كبيرة ، وان يدفع اجورا عالية للمسؤولين فيه وان يبقي على تنظيم سياسي بأكمله على الرغم من ان اعضاءه لا يكادوا يدفعون رسوم العضوية او يسددون اشتراكاتهم في صحيفة الحزب . أي باستطاعة الحزب السياسي ان يستمر في الوجود على هذا النحو لمدة طويلة بعد أن تكون القوى الاجتماعية التي جاءت به قد اندثرت وتلاشت .

نشأ اليسار الصهيوني في روسية القيصرية وبولندة بصورة خاصة في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . ولا بد من الاشارة هنا الى ان اليهود الروس قد ساهموا بنشاطهم في جميع الاحزاب المضادة للقيصرية (الحزب الاشتراكي الثوري، المنشفيك ، البولشفيك وغيرها) . واسماء مارتوف ودان ورادبك وزينوفييف وتروتسكي وروزا لوكسمبورج معروفة باعتبار هؤلاء ثوريين من اصل يهودي اشتركوا في ثورات عام ١٩٠٥ وشباط (فبراير) عام ١٩١٧ ، وتشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩١٧ ، علما بانهم كانوا جميعا ضد الصهيونية واعداء الداء لها .

كذلك معروف ان نسبة اليهود الثوريين في روسية كانت اكبر من نسبتهم الى مجموع سكان البلاد وذلك للاسباب التالية :

١ ــ كان اليهود يميلون الى التمركز في المدن والمراكز الحضارية .

٢ ــ وجود بروليتاريا يهودية كبيرة الحجم في بولنده وخصوصا في صناعة النسيج .

٣ ــ وجود انتلجنسيا يهودية كبيرة الحجم في روسية .

٤ ــ كون اليهود مضطهدين من قبل النظام القيصري لا كبروليتاريا فقط بل كأقلية قومية أيضا .

وقد ولد وضع اليهود هذا وتعرضهم للاضطهاد مصالح اجتماعية واقتصادية معينة أدت في النهاية الى نشوء عدد من الاحزاب السياسية كانت تسعى الى تبديل وضع اليهود كبروليتاريين وكمنتمين الى اقلية مضطهدة . كان أكبر هذه الاحزاب « البوند » (الاخاء) ، وهو في الاساس حزب اشتراكي ديمقراطي ينتمي الى الاممية الثانية ، اندفع بتأثير الظروف التي كانت تسود روسية القيصرية باتجاه ثوري جذري ، غير ان البوند لم يكن يهدف الى استلام السلطة ، بل الى تحسين أحوال البروليتاريا اليهودية فقط . شن لينين حربا ايديولوجية طويلة ضد البوند مصرا على ان البروليتاريا يجب ان تنظم نفسها على أساس اقليمي يجمع كل البروليتاريين القاطنين والعاملين في منطقة واحدة أو بلد واحد بغض النظر عن انتماءاتهم القومية . بمقابل ذلك كان البوند يدعي ان ظروف الاضطهاد التي تتعرض لها البروليتاريا اليهودية تضطرها للدفاع عن حقوقها الوطنية كأقلية قومية خاصة وان اجزاء كبيرة من البروليتاريا البولندية اشتركت في أعمال الشغب المعادية لليهود . لكن البوند لم يقبل ابدا المبدأ الصهيوني القائل انه ليس بامكان البروليتاريا اليهودية ان تصبح حرة الا في ظل دولة قومية يهودية مستقلة . أي كان البوند حزبا قوميا بدون ان يكون صهيونيا . وعندما شن هتلر حملة الابادة ضد يهود اوروبة الشرقية قضى على البوند ، ولا تزال بقاياه موجودة حتى يومنا هذا في الولايات المتحدة الاميركية واميركا اللاتينية وكنده بسبب الهجرة الجماعية للبروليتاريا اليهودية من اوروبة وروسية في العقود الاولى من هذا القرن .

ناهض بيربوروشوف (Ber Borochov) ، مفكر

اليسار الصهيوني الرئيسي ، آراء البوند كما ناهض آراء لينين المذكورة ، وصاغ نظرية « الهرم المقلوب »عن التركيب الاجتماعي للشعب اليهودي . يقول بوروشوف انكل شعب يتكون من فئات اجتماعية تأخذ شكل الهرم : قاعدة عريضة من الفلاحين ، ثم شريحة من البروليتاريا ، تليها شريحةمن العاملين في التقليات والخدمات وموظفي الدولة ، وتمثليها شريحة اجتماعية من الذين يوظفون انفسهم كالحرفيين والاطباء والمحامين والمفكرين والعلماء . ويجد بوروشوف ان هذا الهرم الاجتماعي مشوه تماما عند اليهود لاننا نجد في صفوفهم عددا كبيرا من المحامين والاطباء والمفكرين وغيرهم ممن ينتمون الى الطبقة الوسطى ، مع قلة — ان وجدت — من الفلاحين ، بالاضافة الى بروليتاريا صغيرة الحجم نسبيا . على هذا الاساس ادعى بوروشوف انه يجب تعديل البنيان الاجتماعي للشعب اليهودي قبل التحول الى الاشتراكية ، أي على اليهود تأسيس دولة قومية اولا كي يصبحوا فيها فلاحين وبروليتاريين ، وبعد ذلك سيكون باستطاعتهم التقدم خطوة اخرى باتجاه الثورة الاشتراكية.

طبق اليسار الصهيوني واحزابه هذه الفكرة في ممارساته اليومية عن طريق التهجير وارسال المتطوعين الى فلسطين ، بعد فترة من التدريب والتثقيف الحزبي ، وخاصة الى المستعمرات الزراعية . ومعروف ان امثال بن جوريون واشكول ولافون وغيرهم من القادة الصهيونيين البارزين هم من انتاج هذه الاحزاب .

أما في الوقت الحاضر فان الانقسام السياسي الاساسي في السياسة الاسرائيلية يقوم بين القوى الصهيونية واحزابها من جهة والقوى المعادية للصهيونية واحزابها من جهة اخرى (راكاح ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، تجمعات صغيرة لما يسمى باليسار الجديد) . أما التقسيم التقليدي الى احزاب يمينية ويسارية فلا اهمية له حاليا . كما ان

الانقسام داخل اليسار الصهيوني ليس الا « خلافا عائليا » لا اكثر . لقد كان في السابق فجوة بين الاشتراكيين التقدميين (ماباي) وبين من كانوا يعتبرون انفسهم ثوريين (مابام) ، غير ان الفجوة قد ضاقت كثيرا الى ان تلاشت بصورة شبه نهائية .

حزب الماباي

كان الماباي (حزب عمال فلسطين) خلال العقود الثلاثة الاخيرة محور السياسة الاسرائيلية . وهو ذو اصول اشتراكية ديمقراطية يبشر بالتحول التدريجي والسلمي نحو الاشتراكية . لكنه تخلى منذ عقد مضى عن هذا الهدف بسبب العلاقات الوثيقة والعضوية بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية . تشير المنظمة بهذا الصدد الى المواقف الشرسة جدا التي يأخذها حزب الماباي في معاداة الاتحاد السوفياتي وتأييده للموقف الفرنسي الاستعماري القائل بان الجزائر هي جزء من فرنسا وتأييده للامبريالية الاميركية في فيتنام . كذلك كان الماباي وراء الحملة الثلاثية ضد مصر عام ١٩٥٦ .

ومعروف ان انشقاقا وقع في الماباي عام ١٩٦٥ عندما شكل بن جوريون وبعض اتباعه من امثال دايان وبيريس اللائحة العمالية الاسرائيلية (رافي) التي امعنت في الانزلاق نحو اليمين . وفي عام ١٩٦٨ اندمجت الاحزاب التالية : ماباي ، رافي واحدوت هاعفودا (انفصل عن الماباي عام ١٩٥٤) بالرغم عن رفض بن جوريون هذا الاندماج غير ان موقفه لم يترك اي أثر على مجرى الاحداث . هنا تبين المنظمة ان عمليات الانشقاق والاندماج التي تتم في الحزب لا تعبر الا عن صراعات الفئات الضاغطة والتهافت على مراكز السلطة في داخله اي انها لا تعبر عن اية فوارق سياسية او ايديولوجية حقيقية . لذلك بامكان دايان واتباعه

الانضمام الى الحزب لانهم سيستلمون المناصب القيادية بسرعة بسبب شعبية دايان . وتعتبر هذه الفئة أن الايديولوجية « الاشتراكية » لمؤسسي الحزب ورواده قد عفا عليها الزمن ولم تعد تلائم الواقع الذي تواجهه اسرائيل وتعيشه . وتعزو المنظمة هيمنة المابای على حياة اسرائيل ومجتمعها الى سيطرته على مراكز القوة الاساسية في البلاد وهي الهستدروت والوكالة اليهودية والحكومة . وبما ان المابای كان الحزب الاقوى في الهستدروت والوكالة كان من الطبيعي ان يسيطر على حكم البلاد ايضا . أما رصيد الحزب الاساسي ، كما تراه المنظمة ، فهو كونه في مركز القوة ليس الا ، وتمتعه بكافة الامتيازات والفوائد التي يوفرها مثل هذا المركز . اما ناخبو الحزب فهم على الغالب ممن سيخسرون عملهم ووظائفهم وسكنهم وتأميناتهم الصحية ان هم صوتوا لغيره .

المابام

تقول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في تحليلها لحزب المابام أنه يشكل ، من حيث المبدا ، الوريث الرئيسي لليسار الصهيوني الذي كان بيربوروشوف مفكره الرئيسي . وهو ثاني اكبر حزب في ما يسمى باليسار الصهيوني . ومنذ تأسيسه في الاربعينات كان هذا الحزب ممزقا دوما بين متطلبات النزعة القومية الصهيونية من ناحية وبين شعاراته الاشتراكية والاممية من ناحية اخرى . وتنعكس هذه الوضعية في الشعار الذي ترفعه صحيفة المابام اليومية **عال همشمار** : «لاجل الصهيونية والاشتراكية والصداقة بين الامم » . وتنبه المنظمة الى ان ترتيب الكلمات في هذا الشعار له أهميته ، لان المابام عندما كان مضطرا للاختيار بين النزعة الصهيونية والنزعة الاشتراكية والاممية كان يختار دوما الصهيونية مبررا ذلك بخصوصية المسألة اليهودية .

ترى المنظمة ان الدور التقليدي الذي قام به المابام كان « ترويج » الفكرة الصهيونية في الاوساط اليسارية في عدد كبير من انحاء العالم . أما الان ، بعد ان فقد كل ما تبقى له من العناصر الاشتراكية في ايديولوجيته ، وبعد ان فقد طابعه المميز واستسلم كليا أمام السياسة الشوفينية لشريكه الاكبر في التحالف الحاكم فقد خسر الحزب كل مقدرة على الحوار الجدي مع الاوساط اليسارية الثورية في كل مكان .

هنا تضرب المنظمة بعض الامثلة من مواقف المابام وممارساته لايضاح وجهة نظرها : يرى بيرتز مرحاف (Peretz Merhav) ، رئيس القسم الاممي لحزب المابام ، «أن المطلب الداعي الى نزع الصهيونية عن اسرائيل ليس الا دعوة لقطع اسرائيل عن الشعب اليهودي وتحويلها الى دولة محلية معزولة بدون اية تطلعات أو ارتباطات عبر البحار » (٢٣) . على هذا الاساس ترى المنظمة ان حزب **المابام اقرب الى** اسرة روتشايلد ومؤسسة **ماركس وسبنسر** وامثالهما من المنتمين الى زبدة الرأسمالية في الغرب مما هو الى أي نوع من انواع الاشتراكية . لذلك ليس باستطاعة حزب المابام ، بالرغم عن شعاراته الاشتراكية ، ان يفهم مما تعنيه المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية بنزع الصهيونية عن اسرائيل الا العزلة وقطع العلاقات الخارجية . بينما ينبغي ان يكون ما تعنيه المنظمة مسألة بديهية واولية بالنسبة لكل اشتراكي يحترم لقبه ، مثل انهاء الطابع اليهودي الخالص للدولة كما يعبر عنه « قانون العودة » الذي يعطي لاي يهودي في نيويورك حقوقا مدنية وسياسية في اسرائيل

(٢٣) A. Orr and M. Machover, «Against the Zionist Left», **Israc,** March 1970. Quoted from **Al-Hamishmar,** 29 August 1969.

اكثر واهم بكثير مما يعطي للفلسطيني العربي الذي ولد في تلك الارض وعاش عليها واضطر اما للجوء الى الخارج أو الخضوع للسلطة الاسرائيلية . ان مجرد ارتباط اليهودي في نيويورك برابطة عاطفية نحو الارض المقدسة لا يعطيه حقوقا سياسية فيها في حين يحق لكل عربي فلسطيني ان يتمتع بكافة الحقوق المدنية والسياسية على ارض فلسطين .

من ناحية اخرى يقول مرحاف ان فكرة نزع الصهيونية عن اسرائيل « غير واقعية وغير عملية » لانها « تعني التنازل عن جوهر دولة اسرائيل » . (٢٤) لكن المنظمة ترى ان هذا الموقف هو انتهازية محضة خاصة عندما يصدر عن حزب يدعي الاشتراكية ، لان المابام لا يبحث في الحقيقة عن طريقة جدية لاقتلاع النزاع العربي الاسرائيلي من جذوره بل يبحث عن معادلة ترضي اكثرية الاسرائيليين . كما تبين المنظمة ان هذا الموقف الذي يدعي « الواقعية السياسية » لا يتصف بالانتهازية فقط بل يتصف بقصر النظر وانعدام « الواقعية السياسية » الحق وبمعناها الاعمق ، اذ ان كل حل للنزاع لا يكون اساسه نزع الصهيونية عن اسرائيل ، كبداية وكحد ادنى ، لن يكون الا حلا وهميا ومؤقتا لان المعضلة الاساسية سوف تبقى وتستمر .

يقول المابام ان هدف الصهيونية « هو جمع اكثرية الشعب اليهودي في فلسطين كلها وبدون اية تجزئة » . وواضح ان تحقيق هذا الهدف هو المعيار الذي تستخدمه المؤسسة الصهيونية في اسرائيل في مواجهة كل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي اتخاذ كافة خطواتها العملية في هذه المواجهة . وحتى يومنا هذا لم تكتمل دولة اسرائيل بعد من وجهة النظر الصهيونية

(٢٤) المرجع السابق .

لانهـا ما تزال في مرحلة انتقالية هدفهـا تحقيق الهدف الصهيوني الاكمل .

تشير المنظمة بهذا الصدد الى مزاعم مرحاف القائلـة ان الصهيونية لا تلام على « التوسع المستمر لحدود اسرائيل وعلى مأساة اللاجئين العرب وآلامهم » لان اللوم يقع على المقاومة العسكريةوالعنيفة التيابداها العربضد الصهيونية منذ ايام الحاج امين الحسيني حتى حرب ١٩٦٧ وذيولهـا بما في ذلك نشاط منظمة فتح (٢٥) . وتبين المنظمة ان هذه المزاعم لا تختلف بشيء عن النفاق الذي عرف به المستعمرون في كل مكان حيث كانوا يدعون دوما ان « الخطأ ليس خطأهم بل هو خطأ السكان الاصليينالذين يرفضون تقبل الاستعمار بهدوء ومحبة » . وتشدد المنظمة على ان هذا النوع مـن النفاق ينطبق على اليسار الصهيوني بصـورة نموذجية وخاصة عندما يحاول ان يوفق بين الممارسات الصهيونية وبين « الوجدان الاشتراكي » الذي يدعيه . لذلك يتجنب المابام اية مناقشة جدية لجذور النزاع العربي الاسرائيلـي واصوله .

بطبيعة الحال ترفض المنظمة الفكرة التي ينادي بهـا المابام والقائلة بان للصراع القومي الاسبقية علـى الكفـاح الثوري من اجل الاشتراكية اذ يرى المابام انه طالما ان الكفاح القومي مستمر ينبغي الا نباشر بالكفاحالثوري لان ذلك سوف يضعف من « الوحدة القومية الجماعية » . لقد كان هذا دوما موقف الشوفينيين الذين يدعون الاشتراكية ، أي انهم مع الكفاح في سبيل الاشتراكية ولكن ليس الان . هـذه هي نظرية المراحل التي يقول بها ماير يعاري (Meir Ya'ari) زعيم المابام . وكما ذكرت ترفـض المنظمـة الاشتراكيـة الاسرائيلية هذه الفكرة وترى ان الكفاح الاساسي واحد وهو

(٢٥) المرجع السابق .

الكفاح الثوري الاشتراكي لاجل مجتمع جديد في الشرق الاوسط يضم ما يسمى الان بدولة اسرائيل،أي ليس بالامكان حل المعضلات الرئيسية في المنطقة بما في ذلك المعضلة الاسرائيلية العربية الا ضمن اطار الثورة الاشتراكية والعمل من اجلها .

تتابع المنظمة انتقاد مواقف حزب المابام وفضحها فتشير الى موقف مرحاف من حل النزاع العربي الاسرائيلي الذي لخصه بقوله ان « المشكلة هي كيف نصل الى تفاهم واتفاق وسلام بين الكتلتين القوميتين المتنازعتين والمتجاورتين، اي بين الدول العربية والفلسطينيين من جهة (الذين يرفعون راية القومية العربية والبعث القومي والوحدة) ، وبين دولة اسرائيل التي ترفع ايضا راية القومية والبعث القومي ووحدة الشعب اليهودي وتجميع هذا الشعب في ارضه الوطنية التاريخية . ونحن نكرس جهودنا لاجل الرد على هذا التحدي المطروح بخلق جو ملائم لاقامة حوار ودي هادف وبناء بين هاتين الكتلتين القوميتين كما نجدهما في الوقت الحاضر » . (٢٦) ترى المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في هذه الاراء الصياغة الكلاسيكية للنزعة القومية الشوفينية في الحركة الاشتراكية ، أي الخضوع التام امام « الكتلة القومية كما هي موجودة الآن » . بعبارة اخرى لا يبحث مرحاف عن التفاهم والاتفاق والسلام بين العالم العربي واسرائيل الا على اساس اوضاعهما القائمة الان وحاليا . بينما ترفض المنظمة هذا الموقف من حيث المبدأ وتذكر ان التجارب التاريخية في سبعين السنة الماضية تبرهن ان ما يقول مرحاف انه يبحث عنه لا يمكن تحقيقه . حتى لو لم يكن هناك ثمة شيء اسمه النزاع العربي الاسرائيلي ستقف المنظمة ضد الانظمة القائمة حاليا في اسرائيل والدول العربية

(٢٦) المرجع السابق .

باعتبارها منظمة اشتراكية ثورية . أي ترى المنظمة انه لا حل لهذا النزاع طالما بقيت الانظمة المعنية « على حالها وتماما كما هي الان » . في الواقع ان الذين يدعون الى الوصول الى تسوية من خلال اتفاق الكتلتين القوميتين كما هما موجودتان حاليا لا يقدمون شيئا لصالح حل النزاع بل يجعلون من مصيرهم مصير التبعية المستمرة للدول الكبرى التي تسيطر على هاتين الكتلتين . كما أن التعبير عن الولاء الشوفيني « للكتل القومية » المعنية وكأنه مبدأ اشتراكي هو اتعس واكثر ما يخجل في كل التزييف الذي نجده في موقف مرحاف . أي كتلة قومية استحوذت على الولاء الكلي لامثال ماركس او لينين او روزا لوكسمبورج او تروتسكي او كارل ليبنيخت ؟

يقول مرحاف « نحن مستعدون في حال تحقيق السلام لاعادة معظم المناطق التي يحتلها الجيش الاسرائيلي في الوقت الحاضر » . وتلاحظ المنظمة هنا أن موقف المابام « الاشتراكي » يتلخص باعادة **معظم** المناطق المحتلة وليس كلها . اذ يبدو ان المابام يجد في اعادة المناطق المحتلة كلها ثمنا مرتفعا مقابل تحقيق السلام الذي يدعو اليه بدون تعب . غير ان السيد مرحاف الصهيوني سيعتبر اعادة المناطق المحتلة كلها اشارة الى ان الصهيونية لم تحرز اي تقدم نتيجة لحرب ١٩٦٧ باتجاه تحقيق اهدافها الاوسع ولا يمكن ان يعجبه هذا الوضع مهما تبجح بشعاراته الاشتراكية. تلخص المنظمة الموقف الحقيقي للمابام حول موضوع السلام بقولها ان السلام لا يعني معارضة الحرب بل يعني انه ينبغي على العرب ان يتقبلوا بسلام او بصورة سلمية الامر الواقع الذي خلقته وتخلقه الصهيونية على حسابهم .

يعتقد المابام ان العالم العربي سوف يقبل بالصهيونية في المدى البعيد . غير ان المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ترى

ان اسرائيل الصهيونية لن تستطيع تحقيق السلام والامان ابدا لان مصيرها هو مصير كل الانظمة الاستيطانية الاخرى التي تحاول ان تتواجد في وسط العالم الثالث : اي انظمة قائمة على التمييز ضد الشعوب الاصلية لتلك المناطق وعلى استغلالها او طردها وتشريدها ،انظمةمرتبطة ارتباطا عضويا بالتحالف الامبريالي العالمي .

واضح من تحليل المنظمة قولها ان ايا من مبادىء المابام الجميلة لا يحملعلىمحمل الجد .في الواقع ان تاريخ حزب المابام ليس الا تاريخ التنازل عن هذه المبادىء الواحد تلو الاخر . وهنا تضرب المنظمة امثلة اخرى : الكيبوتزات التابعة للمابام التي تأسست على اراض صودرت منالفلاحين العرب مع ان هؤلاء هم مواطنون اسرائيليون ، مشاركةالمابام بالحكومة الائتلافية التيقررت الشروع فيحملة السويس عام ١٩٥٦وتنفيذها ،مساعدةالمابامعام١٩٥٧ علىتنظيم المظاهرات ضد انسحاب اسرائيل من سيناء . كما تذكر المنظمة انالمابام كان جزءا من حكومة دايان وبيغين التي صوتت على ضم القدس العربية الى اسرائيل وتدعو الى المزيد من عمليات الضم .

وكان اخر تنازل فضح دور المابام داخل المعسكر الصهيوني هو ما نشرته صحيفة **هاآرتس** في ١٩٦٩/٩/١٢ حيث قالت ان كتلة « الاحزاب العمالية » الصهيونية بقيادة حزب العمال (ماباي سابقا) مع مشاركة حزب المابام قد تبنت برنامجا للانتخابات العامة التي ستجري في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ .ومن النقاط الواردة فيهذا البرنامج دعم الاستعمار الصهيوني في المناطق العربية المحتلة . تقول الصحيفة ان المابام عارض هذا البند في البرنامج واصر في اول الامر على ذكر اعتراضه في البرنامج نفسه . غير ان موشيه دايان اعلن انه لن يسمح بمثل هذا الاجراء . اخيرا تقول **هاآرتس** انه تم التوصل الى ما سمته الصحيفة « بالتسوية المشرفة » . وتتلخص التسوية بان يبقى البند

المتعلق بالاستعمار في البرنامج وبدون اية تحفظات ، ويكون البند ملزما لكافة الأطراف في التحالف بما في ذلك المابام . غير ان المابام ، مع انه بقي ملزما ببنود البرنامج ، قد اعطي اذنا (بموافقة دايان طبعا) بالدعاية الانتخابية ضد البند المعني . وتقول المنظمة ان تقسيم العمل واضح بين اطراف هذا التحالف حيث يستمر المابام في المشاركة في الائتلاف الحاكم الذي ينفذ الاستعمار في المناطق العربية المحتلة ولكن بما ان هذه السياسة تناقض المبادىء المعلنة للمابام سيسمح له بتفادي الاحراج لفظيا . أي يقوم المابام بدعم السياسة الاستعمارية على الصعيد الفعلي ، وذلك بموافقة دايان ،كما يستمر في اثارة الضجيج ضدها وخاصة عندما يخاطب اليسار في الخارج . على الصعيد اللفظي يؤيد المابام الاشتراكية والاتحاد السوفياتي وكوبا والشعب الفيتنامي. ومن حين الى اخر قد ينظم مظاهرة لتأييد هذه القضايا ولكن عندما تقترب هذه القضايا المبدئية من فلسطين يتحول الحزب باتجاه الشوفينية حتى على الصعيد اللفظي . بينما ترى المنظمة ان المحك الحقيقي للسياسات الاممية لحزب مثل المابام لا يكمن في سلوكه نحو الولايات المتحدة مثلا بل يكمن بالدرجة الاولى في مواقفه وممارساته وسياساته نحو الفلسطينيين العرب . من خلال هذا المعيار تنفضح اممية الحزب واشتراكيته نهائيا لانه يرفض الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير او حتى بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة . كما انه قاوم اقتراحا في هيئة الامم يدعو الى اجراء استفتاء بين اللاجئين الفلسطينيين لمعرفة ما اذا كانوا يفضلون التعويضات المالية على العودة الى فلسطين .

الحزب الشيوعي الاسرائيلي

القوة الرئيسية في اسرائيل الواقعة خارج المعسكر

الصهيوني هي الحزب الشيوعي الاسرائيلي . وتعتقد المنظمة ان تاريخ هذا الحزب (غير المكتوب بعد وغير المعروف لغالبية مراتبه الحالية) هو تاريخ انشقاقاته حول مسألة العلاقات العربية ـ اليهودية في فلسطين قبل العام ١٩٤٨ وبعده . لقد وقع الحزب فريسة التمزق بين الصهيونية والقومية العربية منذ ان طبع ستالين سياساته القومية على الحركة الشيوعية . قبل الدخول في عرض رأي المنظمة في الحزب الشيوعي الاسرائيلي لا بد من اشارة سريعة الى تاريخ الحزب.

ولد الحزب الشيوعي عن انشقاق حصل عام ١٩٢٢ في مؤتمر لحزب « العمال الصهيونيين» في دانزيج ببولندة ، كان موضوعه الاختيار بين الانضمام الى الاممية الشيوعية المشكلة حديثا وبين الانضمام الى المؤتمر الصهيوني . وجدير بالذكر ان الذين اختاروا الصهيونية مثل لافون اصبحوا في النهاية قادة حزب الماباي . اما الذين اختاروا الشيوعية فقد أسسوا الحزب الشيوعي الفلسطيني وقامت السلطات البريطانية بابعاد بعض زعمائه في العشرينات والثلاثينات الى الاتحاد السوفياتي حيث اباد ستالين معظمهم فيما بعد.

واجه الحزب الناشىء مصاعب عديدة اهمها كون مؤسسيه وكوادره من اليهود المهاجرين من روسيا ، يحملون ايديولوجية وتجربة سياسية مستمدتين من ذلك البلد . ومجرد هجرتهم الى فلسطين تعني انهم كانوا صهيونيين في وقت من الاوقات غير انهم اكتشفوا كونهم جزءا من مجتمع « قومي » لاقلية مستعمرة (بكسر الميم) في فلسطين ترفض سياساتهم المعادية للامبريالية لذلك اتجهوا بجهودهم نحو تجنيد اعضاء عرب في الحزب ونحو التاثير في المجتمع العربي. لكن قيادات الحزب وكادراته كانت بعيدة في معرفتها عن اللغة العربية وتاريخ المنطقة والفردية المتخلفة الطاغية والتقاليد العربية ونزعة الفلسطينيين للتعصب القومي بتاثير الضغط

الصهيوني والاستعماري مما جعلهم يقعون تحت هيمنة قيادات دينية وعائلية رجعية تماما . كل هذه العوامل اعاقت نشاط الحزب وجعلت من المتعذر نشر أي ايديولوجية اممية اشتراكية ثورية بين العرب وخاصة في فلسطين . في الواقع واجه الحزب الشيوعي جماعتين قوميتين متعاديتين تتصادمان من خلال حركات جماهيرية واسعة (اضرابات عامة ، عصيان ، حركات سرية مسلحة ، الخ ...) ، فلم يستطع ان يتجاهل الصراع واضطر الى صياغة سياسة معينة فأيد الثورة العربية عام ١٩٣٦ وأيد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وفي كلا المناسبتين انشق الحزب على نفسه (٢٧).

ان النقد الاساسي الذي توجهه المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية الى الحزب الشيوعي يتلخص بنزعته لقياس كافة القضايا بمعيار بسيط هو صلة القضية المعنية بالاتحاد السوفياتي . وتضرب المنظمة مثلا على ذلك بالمناقشات التي جرت في البرلمان الاسرائيلي عام ١٩٥٠ حول البيان الثلاثي (أي بيان الدول الكبرى بضمان الحدود كما كانت عليه يومئذ بين اسرائيل والدول العربية) الذي اصدرته الدول الكبرى وهو وثيقة مهمة جدا في التاريخ المعاصر للشرق الاوسط . وقف الحزب الشيوعي ضد البيان الثلاثي لانه يشكل مناورة سياسية ضد الاتحاد السوفياتي ليس الا . لا شك ان البيان كان جزءا من الستراتيجية الامبريالية الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي ولكن كان له ايضا مضامين اخرى مهمة ومتنوعة بالنسبة للمنطقة العربية نفسها مما لا تشير اليه ابدا معارضة الحزب الشيوعي للبيان . تقول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ان البيان الثلاثي لا يقتصر على كونه معاديا للاتحاد السوفياتي بل يهدف ايضا الى المحافظة على الوضع القائم في المنطقة عام ١٩٥٠ وتصفية

(٢٧) **The Other Israel**, op. cit., p. 24.

القضية الفلسطينية نهائيا . مع ان كل هذه الاشياء كانت متضمنة في البيان الثلاثي غير أن الحزب الشيوعي لم يعلق على اي منها . في الواقع لم يكن بمقدوره ان يفعل ذلك لانه كان يحاكم كل شيء على اساس مقياسه المعهود :مدى مساس المسألة بالاتحاد السوفياتي وسياسته الخارجية .

لا شك ان الحزب الشيوعي معاد للصهيونية والسبب الرئيسي لموقفه منها هو كون الصهيونية متحالفة مع الامبريالية وضد الاتحاد السوفياتي . طبعا يبقى هذا الموقف سليما ضمن حدود معينة ولكنه غير كاف من وجهة نظر المنظمة . من ناحية اخرى تبين المنظمة ان الحزب الشيوعي يفتقر الى اي تحليل للصهيونية كحركة استعمارية بحد ذاتها . اي ان الحزب لا يواجه الصهيونية الا من خلال سياستها الخارجية، اي من خلال علاقاتها بالقوى الدولية . اما بالنسبة للديناميكية الداخلية للصهيونية فليس لدى الحزب اي شيء يقوله . وبما ان الحزب يرفض النظر الى الديناميكية الداخلية للحركة الصهيونية والصدام الذي ولدته على ارض فلسطين مع العالم العربي يبقى الحل الذي يقدمه للنزاع محصورا ضمن حدود الاعتراف بالحقوق المشروعة لكلا الشعبين : الشعب العربي الفلسطيني والشعب الاسرائيلي. هذه هي معادلة الحزب لحل القضية الفلسطينية .

حصل الانشقاق الاخير في الحزب الشيوعي عام ١٩٦٥ ، وسببه مرة اخرى تحديد سياسة الحزب نحو القومية العربية واسرائيل . ان ذلك من واجب الاميين العرب . كما حافظ على سياسة النقد « غير البناء » للسياسات الاسرائيلية ، لكنه يصر ، تماما مثل جناح ماكي، على « تحويل الهستدروت من الداخل » (٢٨) . خلاصة القول هي ان المنظمة ترى ان الطبيعة الانتقائية لمثل هذه

(٢٨) للتفاصيل انظر المقطع المتعلق بالهستدروت .

السياسات هي التي تفسر ، الى حد كبير ، الانقسامات العديدة التي وقعت في الحزب الشيوعي الاسرائيلي . وتذكر المنظمة ان كلا من طرفي الحزب الشيوعي يتلهف على اعتراف موسكو به ، ويدين الصين الشعبية ، كما يترأس كلا منهما قادة منحدرون من العهد الستاليني ويتبعون سياسات ستالينية قديمة . بعبارة اخرى يشكل الحزب حالة نموذجية لتنظيم ستاليني ممزق بين قوميتين متصارعتين .

بالرغم عن كل ما ورد تتعاون المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية مع الحزب الشيوعي – راكاح – لانها تجد نفسها معه في موقع المعارض للصهيونية والمكافح ضدها . لكن هذا لا يعني ان امكانات تعاون المنظمة مع الحزب الشيوعي غير محدودة . في الواقع انها محدودة جدا ، على حد قول مصادر المنظمة ، بسبب خلافات حادة وواسعة بشأن القضايا المحلية والقضايا العالمية ، وحول قضايا ايديولوجية ومسائل تتعلق بالممارسات السياسية اليومية . على سبيل المثال يؤيد راكاح كل التأييد سياسة « التعايش السلمي » التي ينتهجها الاتحاد السوفياتي مع الاستعمار الاميركي . بينما ترفض المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية هذه السياسة باعتبارها سياسة غير ثورية . يؤيد راكاح كل نظام له علاقات صداقة مع الاتحاد السوفياتي بينما تقرر المنظمة موقفها من كل نظام بناء على طابعه الطبقي وما يقدمه في مجال الكفاح العالمي ضد الاستعمار ، وليس بناء على علاقته بحكومة الاتحاد السوفياتي . يعتقد راكاح انه بالامكان التوصل الى السلام على اساس الانظمة القائمة اليوم في المنطقة ، وانه بالامكان حل النزاع العربي – الاسرائيلي على اساس بقاء النظام الصهيوني في اسرائيل والانظمة البورجوازية الصغيرة والرجعية في العالم العربي ، بينما ترى المنظمة ان هذا وهم خطر يعرقل نضال شعوب

الشرق الاوسط كلها ضد الاستعمار .(٢٩) ويستند راكاح في موقفه من تسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي الى قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧، ولا غرابة في ذلك اذ ان الاتحاد السوفياتي يؤيد القرار . ونتيجة لهذا الموقف وجد الحزب الشيوعي (راكاح) نفسه في موقف طريف وغريب عندما أعلن روجرز مشروعه المشهور، وهو مشروع صادر عن الامبريالية الاميركية من ناحية ولا يختلف عن قرار مجلس الامن المعروف من ناحية اخرى . لذلك ادان الحزب المناورات الامبريالية الاميركية في المنطقة في معرض تعليقه على مشروع روجرز وايد بحماسة المشروع نفسه . وقد جاء ذلك في قرارات الدورة الثالثة عشرة للجنة المركزية للحزب حيث ورد التفسير التالي لمشروع روجرز : « ان حكومة الولايات المتحدة الاميركية قد بادرت الى وقف اطلاق النار ، بعد ان واجهت سياستها في الشرق الاوسط ، وفي جميع ارجاء العالم العربي ، فشلا ذريعا ، لكي تنقذ ما يمكن انقاذه من مراكزها المنهارة في العالم العربي » . (٣٠) وقد رافق قرارات اللجنة المركزية دراسة قصيرة وعامة عن تطورات الازمة في الشرق الاوسط . ومما يلفت النظر في المقررات والدراسة الاهمال الكامل الذي حظيت به حركة التحرر الوطني الفلسطينية على اختلاف تنظيماتها والمواقف السياسية المتنافسة داخلها علما بأنها تشكل العامل الاساسي الذي يعيق اية تسوية سياسية على غرار مبادرة روجرز ومشروعاته . أي بدلا من الاهتمام بحركة المقاومة امتدحت اللجنة المركزية جراة السياسة المصرية ونضجها لانها «مستعدة

(٢٩) « الانتخابات » ، نشرة صادرة عن « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » (ماتسبن) ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ .

(٣٠) رامي ليبنه ، «حول موقف راكاح من مشروع روجرز» مجلة ماتسبن اب ـ ايلول ١٩٧٠ ، عدد ٥٥ ، ص ٥ ، ١١ ، من زوت هاديرخ ، ٢ ايلول ١٩٧٠ .

للاعتراف بسيادة دولة اسرائيل في حدود الرابع من حزيران »(٣١) ولانها ارغمت حكومة اسرائيل على التراجع عن خطتها في القيام بمغامرة عسكرية اخرى بالتعاون مع اميركا . كما تعتبر اللجنة المركزية للحزب ان خروج كتلة « جاحال » من حكومة الائتلاف الوطني قد استقبل بفرح من قبل غالبية الشعب الاسرائيلي . وهذا تماما ما تثير حوله المنظمة علامات سؤال عديدة . كذلك يعتبر قرار اللجنة المركزية ان موافقة الحكومة الاسرائيلية على مشروع روجرز هو خطوة ايجابية بالرغم عن ان هذه الموافقة قد جاءت قسرا، وان محاولات التخريب في تطبيقها مثل الحملة الدعائية المفتعلة حول انتهاكات مصرية لوقف اطلاق النار ، ومعاملة اسرى الحرب في مصر ، واعتقال الجزائريين في مطار اللد ، كان هدفها تعزيز مواقع الاوساط المغامرة في الحكم . ثم يتطرق تقرير اللجنة المركزية الى مواقف الحزب من حرب الايام الستة ويجد في الوضع القائم « برهانا على عدالة سياسته وبعد نظره » . (٣٢) كما يتكلم وكأن تنفيذ قرار مجلس الامن، بما في ذلك الانسحاب الاسرائيلي ، قد اصبح واقعا تاريخيا ، وكأن حقوق الشعب العربي الفلسطيني المسلوبة قد استردت — لان « أمن اسرائيل لا يبنى على انقاض الشعب العربي الفلسطيني ، بل على سلام عادل » . (٣٣) وينتهي قرار اللجنة المركزية بالدعوة الى نضال موحد لتنفيذ مشروع روجرز ، والتطبيق الكامل لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

في معرض تعليقها على قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) تقول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ان الحزب يرى تحولا في الصحافة الاسرائيلية (التي تسير دوما في ركاب الحكومة) لمجرد انها غيرت

(٣١) المصدر نفسه .
(٣٢) المصدر نفسه .
(٣٣) المصدر نفسه .

شعاراتها من المعارضة التامة لقرار مجلس الامن ، الى النداء المتحفظ ، لقبوله ، ويتكلم عن « فرحة غالبية الشعب الاسرائيلي » لخروج كتلة جاحال من الحكومة ، اما ان يكون هذا الحزب على غير معرفة بما صنعته الصهيونية بابناء شعبه خلال الاعوام الخمسين الماضية ، ومنذ حرب حزيران ١٩٦٧ بصورة خاصة ، واما ان يكون في معرض الاستسلام للاوهام والتسليم بأشياء على انها امور واقعة في حين لا تزال ضمن اطار رغباته الذاتية التي لم تتحقق بعد . عندما يقول حزب راكاح ان « السلام هو المصلحة العليا لدولة اسرائيل ، والسلام هو الامن » ، يبدو وكأنه عاجز عن ان يميز بين مصلحة الشعب اليهودي والشعب العربي في اسرائيل وبين جهاز الدولة والمؤسسة الصهيونية ، مما يبرهن عن نقص في ادراكه لماهية الصهيونية التي قامت عليها دولة اسرائيل ، هذا اذا لم ينزلق في مزالق الانتهازية التي تريد دغدغة احاسيس الجمهور الاسرائيلي بكلمة « امن » لينتهي في الواقع الى موقف مؤيد لدولة اسرائيل الصهيونية .

تقول المنظمة أنه عندما يتغاضى راكاح في قراراته المتعلقة بمشروع روجرز تغاضيا كليا عن النضال السياسي والكفاح المسلح لحركة التحرير الفلسطينية ، يكون في موقع من لا يستطيع تمييز قوى اليمين عن قوى اليسار ، في مجموعة القوى الاجتماعية والسياسية والعمالية الفاعلة حاليا في الشرق الاوسط . الا اذا كان الحزب يتوقع ان تكون لمباراته قوة سحرية خاصة تعكس الواقع بحيث تتلاشى القوى التي يفضل على الا يأتي على ذكرها . يضاف الى ذلك ان الحزب قد قبل تعريف قرار مجلس الامن للقضية الفلسطينية على انها « مشكلة لاجئين » ليس الا .

قبل حرب حزيران كانت تتفاعل في منطقة الشرق الاوسط ، وفقا لتحليل المنظمة ، مجموعة تناقضات ثانوية ولكن هامة بحد ذاتها . تناقضات بين الحركة الصهيونية

والبورجوازية العربية ، بين البرجوازية العربية والامبريالية ، بين المصالح السوفياتية في المنطقة والانظمة المختلفة القائمة فيها . وتشابكت هذه التناقضات على الصعيد السياسي حول محور اساسي هو النزاع بين الدول العربية ودولة اسرائيل مثلما عرفناه حتى حرب حزيران ١٩٦٧ .

غير ان المنظمة ترى ان هذا الوضع قد تغير منذ الحرب الاخيرة لان الشعب الفلسطيني وجد نفسه واقفا وظهره الى الحائط وهو يواجه عنف الامبريالية والصهيونية مما خلق له الظروف المناسبة لتنظيم نفسه عسكريا وسياسيا . لذلك ترى المنظمة ان الطريق الوحيدة الباقية هي طريق النضال الشعبي والديمقراطي للتحرير الوطني والاجتماعي وان العودة العربية الى فلسطين غير ممكنة بدون تغييرات اجتماعية ثورية في المنطقة كلها تضع الرجعية العربية في معسكر العدو . ترى المنظمة كذلك ان مجموعة التناقضات الثانوية التي مر ذكرها قد فقدت اهميتها نتيجة للاوضاع التي افرزتها حرب حزيران ١٩٦٧ . لذلك نجد ان عددا من هذه التناقضات قد تمت تسويتها (بعد الحرب) بين الاطراف المعنية ، مثلا : التسوية بين مصالح بعض الحكومات العربية وبين مصالح السياسة الخارجية السوفياتية ، التسوية الشاملة بين السياسة الخارجية السوفياتية والاستعمار الاميركي والبورجوازية العربية الصغيرة والانظمة الرجعية العربية . ويفترض ان تنضم الى هذه التسوية المؤسسة الصهيونية الحاكمة في اسرائيل عما قريب عبر قرار مجلس الامن ومشاريع روجرز . واضح ان احتمالات التغيير الثوري في منطقة الشرق الاوسط تثير رعب الجميع بما في ذلك حزب راكاح الذي يتبع دائما السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي التي ما زالت تدعم « الاشتراكية العربية » بدلا من الكفاح لاجل حكم ديمقراطي شعبي ثوري في دول المنطقة.

يطالب الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) بالحل

السياسي للنزاع العربي ـ الاسرائيلي في المنطقة . ومع ما في هذه التسمية من اختلاط تبين المنظمة ان المقصود بالحل السياسي هنا هو تسوية النزاع على اساس توازن القوى القائم حاليا في الشرق الاوسط . بطبيعة الحال لو كان بالامكان الحصول على حل سياسي مرض (وبالمعنى الثوري للعبارة) بطرق غير عسكرية لما مانع في ذلك احد بما في ذلك المنظمة الاشتراكية نفسها . لكن الحل السياسي المقصود والمعني يترك السلطة الصهيونية في اسرائيل على حالها والدول العربية على حالها ايضا . لا تكمن المسألة اذن ، في نظر المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، في مجرد البحث عن وسائل للوصول الى حل للنزاع بل في نوع الحل المطلوب . وتشدد المنظمة على ان الحزب الشيوعي يؤيد حلا يقوم على اساس استمرار الاوضاع القائمة في الشرق الاوسط ، بما في ذلك النظام الصهيوني في اسرائيل . على هذا الاساس يصبح الفارق الحقيقي ليس بين الحل العسكري والحل السياسي بل بين الحل الثوري والحل غير الثوري للنزاع المعني . ويقف الحزب الشيوعي بوضوح مع الحل غير الثوري ، بينما تعلن المنظمة الاشتراكية وقوفها بحزم ضد هذه الحلول وامثالها لانها في راي المنظمة لن تحل اي شيء .

ذكرت فيما سلف انه بالرغم عن الهوة العميقة التي تفصل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) مع ذلك تجد المنظمة نفسها في نفس الموقع مع الحزب بالنسبة لبعض القضايا اليومية والتفصيلية وتتعاون معه فيها مثل موضوع الجرائم التي ترتكبها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية وفي قطاع غزة ضد المواطنين العرب ، والدخول مع الحزب في اللعبة البرلمانية داخل الارض المحتلة .

لا شك ان المنظمة لا تعلق كثيرا من الاهمية على اللعبة البرلمانية ، لكن عندما تجري انتخابات في اسرائيل عليها ان

تحدد مواقف معينة من بعض المرشحين . لذلك تؤيد المنظمة مرشحي الحزب الشيوعي ، وفي الانتخابات الاخيرة تعاونت معهم بكثرة . تقول مصادر المنظمة ان مشاركتها بصورة ما في الحملة الانتخابية الاخيرة الى جانب الحزب الشيوعي كانت مهمة بالنسبة للحزب نظرا الى صعوبة الوضع الذي وجد نفسه فيه حيث كان معظم مناضليه العرب قيد الاعتقال في تلك الفترة . وكانت المساعدة التي قدمتها المنظمة للحزب في الحملة الانتخابية كبيرة . كما ان الموقف الذي اعلنته المنظمة في وثيقتها الانتخابية شرح دوافعها في تأييد الحزب في الانتخابات بالرغم عن انها لا تلتقي معه في نظرتها الى قضايا الشرق الاوسط . وقد لاقت هذه الوثيقة تأييدا كبيرا في الأوساط العربية في الارض المحتلة . وكان اعضاء المنظمة يستقبلون استقبالا جيدا في القرى العربية حيث كانوا ينشطون ويوزعون المنشورات . ومع ان المنظمة دعت اهل القرى الى التصويت لمرشحي الحزب الشيوعي (راكاح طبعا) فقد شرحت نقدها المعروف لمواقف الحزب المعنية بقولها : « ان التصويت لراكاح ، في الاوضاع الحاضرة ، لا يعني بشكل من الاشكال الموافقة التامة على سياسة هذا الحزب وآرائه. انه تصويت احتجاج على السياسة القائمة . انه الطريقة الممكنة الوحيدة للتصويت ضد الاحتلال ، ولو لمجرد ان كافة الاحزاب الاخرى لا تذكر ، الاحتلال ، و (الاراضي المحتلة) ، فمثل هذه الكلمات والتعابير لا وجود لها في قاموسها . ففي نظر هذه الاحزاب كلها : (احتلال يوك) ! اما راكاح ، فليس ضد الاحتلال فحسب ، بل انه الوحيد من بين الاحزاب البرلمانية الذي ينتظم بين صفوفه يهود وعرب ، والوحيد من بينها الذي يناضل ضد الكبت في المناطق المحتلة . ان بيننا وبين راكاح خلافات حادة وواسعة بشأن القضايا المحلية والقضايا العالمية ، خلافات في القضايا الايديولوجية وفي المسائل اليومية . وراكاح نفسه يدعونا بين الفينة والاخرى (مغامرين)

و (ضد السوفيات) . وعلى سبيل المثال : يؤيد راكاح كل التأييد السياسة السوفياتية ويهلل لسياسة التعايش السلمي التي ينتهجها الاتحاد السوفياتي مع الاستعمار الاميركي . ونحن نرفض هذه السياسة باعتبارها سياسة غير ثورية . ويؤيد راكاح كل نظام له علاقات صداقة مع الاتحاد السوفياتي ونحن نقرر موقفنا من كل نظام بناء على طابعه الطبقي وقسطه في النضال العالمي ضد الاستعمار ، وليس بناء على علاقته بحكومة الاتحاد السوفياتي . ويعتقد راكاح ان بالامكان التوصل الى السلام على اساس الانظمة القائمة اليوم في المنطقة ، وانه بالامكان حل النزاع العربي الاسرائيلي على اساس بقاء النظام الصهيوني والانظمة البورجوازية الصغيرة والرجعية في العالم العربي . ونحن نعتقد ان هذا وهم خطر يعرقل نضال شعوب الشرق الاوسط كلها ضد الاستعمار » . (٣٤)

حركة افنيري واليسار الاسرائيلي الجديد « سياح »

ورد في مطلع الكتاب ذكر لعلاقة المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية بحركة افنيري وانفصال المنظمة عنه . وقد طورت المنظمة تحليلا معينا لظاهرة افنيري وحركته سألخصه في الصفحات التالية . ترى المنظمة ان قطاعا اجتماعيا معينا بين الاسرائيليين هو الذي يستجيب لدعوة افنيري . ويتألف هذا القطاع من البورجوازية الصغيرة التي ولدت في اسرائيل ونمت محليا بمقابل البورجوازية المستوردة . لذلك نجد ان افنيري يحدد موقفه بالنسبة للقضايا الاجتماعية في اسرائيل بالقول انه « لا يقف على اليمين ولا على اليسار بل يتجه الى الامام » . اما في اوروبا فانه ينعت نفسه باليساري . وفي اكثر من مناسبة قال عن نفسه في اجتماعات شبه علنية في اسرائيل بأنه انتهازي ، وهو لا يخفي ذلك بل يقول ان على

(٣٤) « الانتخابات » ، نشرة صادرة عن المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبين) ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ .

الانسان ان يسبح مع التيار كي يصل الى مكان ما . ولفهم ظاهرة افنيري بصورة ادق تقول المنظمة انه لا بد من التنبه الى نوع من الثنائية التي تطبع المجتمع الاسرائيلي . فمن ناحية نجد ان الشعب الاسرائيلي هو فرع من الجماعة اليهودية في العالم ومن انتاجها في نواح عديدة من وجوده . من هنا تكون الصهيونية هي الايديولوجية التي تطابق هذا الواقع . ولكن من ناحية اخرى لقد اصبح للشعب الاسرائيلي كيان قائم بذاته بحيث لا يشعر الكثيرون في اسرائيل بأية روابط حقيقية بالجماعات اليهودية في مختلف انحاء العالم . كما ان الذين ولدوا في فلسطين قبل ومن ثم بعد سقوطها (الجيل الثاني والثالث مثلا) فقد نمت في صفوفهم وطنية اسرائيلية محلية متميزة عن الصهيونية القديمة .

يمثل افنيري في معظم القضايا السياسية هذه النزعة الوطنية او القومية الاسرائيلية المحلية بمقابل الصهيونية الكلاسيكية ولكن بدون اي تعارض او مناوءة بينهما . طبعا لا تفكر هذه الجماعات (خاصة افنيري نفسه) بمواجهة الصهيونية ببعدها التاريخي بل يقولون ان الصهيونية اصبحت من متاع الماضي وانها بعد ان خلقت دولة اسرائيل قد انتهت او ماتت ولم تعد ذات شأن في الوقت الحاضر . أي يقول افنيري ان الدولة التي اوجدتها الصهيونية هي دولة الاسرائيليين . طبعا انه لا يدعو صراحة الى القومية الاسرائيلية ولا يقول انه قومي اسرائيلي ، كما انه لا يقاوم الصهيونية ولا يريد ان يقطع علاقاته معها كليا . مطلب أفنيري يتلخص بنوع من الاستقلال الذاتي لاسرائيل عن الفكرة الصهيونية والحركة الصهيونية العالمية . اذ يعلم افنيري ان اسرائيل تستمد في الوقت الحاضر فوائد مادية كبيرة من اليهود في العالم وهو لا يريد ايقاف هذا المد او عرقلته . لذلك يريد الابقاء على نوع من العلاقات الخاصة بين دولة اسرائيل والجماعات اليهودية في

العالم لكسب الدعم والفوائد المادية المعروفة . ولكنه من ناحية اخرى يعترض على « قانون العودة » الذي يعطي بعض مواطني دول اخرى حقا آليا في الجنسية الاسرائيلية ، لان هذا القانون لا يتساوق مع المشاعر القومية الاسرائيلية المحلية النامية . تقول المنظمة الاشتراكية ان ظاهرة افنيري يجب الا تهمل كليا ولكنها تقول ايضا أنه ينبغي الحذر من المبالغة في اهميتها . لقد لعب افنيري دورا ايجابيا نوعا ما في الستينات ولكن ، كما ورد معنا في السابق ، تعتبره المنظمة عنصرا لا يمكن الركون اليه لانه انتهازي الى اقصى الحدود . بالاضافة الى ذلك أيد افنيري حرب ١٩٦٧ وقال في وصفها في كتابه **اسرائيل بدون صهيونيين** انها حرب لم يكن يريدها أحد . لكن مع ذلك قال في خطاب له في الكنيست منذ فترة قريبة انها كانت « حربا دفاعية » . وبعد الحرب عندما ناقش الكنيست موضوع ضم القدس العربية الى اراضي اسرائيل صوت افنيري لصالح « توحيد » القدس اي ضمها . وبرر موقفه هذا في كتابه بقوله « ان القدس الموحدة سوف تصبح العاصمة القديرالية ، بالاضافةالى كونها عاصمة لكلا البلدين . ويعطينا هذا حلا ــ وهو الحل العملي الوحيد على ما اعتقد ــ لمعضلة مشحونة بالانفعالات الدينية والقومية مما يجعل التراجع بالنسبة لاي من الطرفين مستحيلا » . (٣٥) ان انتهازية افنيري واضحة تماما ولا حاجة للمزيد من التعليق عليها .

الى جانب ظاهرة افنيري برزت ظاهرة اخرى فياسرائيل بعد الحرب تشكل فئات صغيرة ذات طابع راديكالي وسطي ، بمعنى انها تريد ان تكون يسارية ولكن مع الابقاء على علاقة ما بالصهيونية . والتجمع الوحيد الذي اكتسب

(٣٥) Haim Hanegbi, «Who Is Uri Avneri», **Israc,** March 1970, quoted from **Haolam Hazeh,** Supplement, 3 December 1969.

شكلا محددا الى حد ما هو « سيـاح » الذي يكتسب اسمه من الاحرف الاولى لعبارة « اليسار الاسرائيلي الجديد » . يتألف هذا التجمع من اشخاص كانوا في الحزب الشيوعي الذي يقوده ميكونيس وسنيه (ماكي) وحزب المابام . يلعب هذا التجمع ، من الناحية الموضوعية ، الدور الذي كان يلعبه حزب المابام في الايام الماضية ، اي انه نوع من التجميل اليساري للصهيونية . طبعا ، يعني هذا انه يقوم بدور رجعي بمعنى انه يشكل عائقا امام تطور عناصر كثيرة في اسرائيل وخارجها بسبب نشره دعاية من النوع الذي يخلق وهما معينا يقول انه بامكان الصهيونية ان توصف باليسارية . من ناحية اخرى يقوم هذا التجمع بدور ايجابي بمعنى أنه يشكل مرحلة من مراحل النمو في حياة الكثيرين باتجاه الموقع اليساري الثوري ، اذ ان معظم الناس غير قادرين على القفز مرة واحدة من الصهيونية الى الموقف الثوري ، وعليهم الانتقال الى الموقع الثاني تدريجيا وعبر مراحل تتصاعد في راديكاليتها .

توجد كذلك بعض جماعات مشابهة اخرى ولكن ليس لها أية صفة تنظيمية ولا تطرح اي برنامج سياسي . جماعات من طلاب المدارس الثانوية مثلا الذين ينظمون اجتماعات فيما بينهم ويوزعون منشوراتهم (غير المرخصة رسميا) مما يعرضهم للملاحقة من قبل البوليس في بعض الاحيان .

الكيبوتز

الكيبوتز مستوطن زراعي جماعي ، ينضم اليه اعضاؤه طواعية وهم احرار في تركه متى ارادوا . لا يملك اعضاء الكيبوتز اشياء خاصة بهم باستثناء القليل من الملابس اذ أن الارض ملك للمنظمة الصهيونية وكذلك وسائل الانتاج الموضوعة تحت تصرف الكيبوتز ، ويتم انجاز العمل كله بصورة جماعية كما تتخذ كافة القرارات بصدد التنمية

والاستثمار ، وانتخاب الرئيس وامين السر وامين الصندوق الخ ... خلال اجتماع عام لجميع الاعضاء .

معروف ان هذه العناصر في حياة الكيبوتز قد استهوت عقول الكثيرين من المفكرين الراديكاليين والاشتراكيين في الغرب . وقد أمعن حزب المابام في الدعاية لها في جميع انحاء العالم . غير ان نظرة ادق ستكشف امورا هامة عن واقع الكيبوتز في اسرائيل كما تبين المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية.

أولا ، ينتمي الكيبوتز في العادة الى حزب واحد ، وقد تم طرد الذين صوتوا للشيوعيين من كيبوتزات هاشومير هتسعير ،وطرد الذين صوتوا للمابام من كيبوتزيم ماباي،الخ ... اي ان التسامح السياسي معدوم في الكيبوتز .

ثانيا ، تروج الدعاية « الاشتراكية » للكيبوتز على انه الاسلوب الاسرائيلي في الانتقال من « الكوميون الى الشيوعية» وتقول أنه اذا امتلأت البلاد بالكيبوتزيم (الكوميونات) سيطر هذا النمط من الحياة على سكان اسرائيل واقتصادها ويتم بذلك الانتقال السلمي الى الشيوعية . ولكن تبين المنظمة ان كافة الوقائع اثبتت ان هذه المزاعم ليست الا اوهاما ومغالطات اذ ان الكيبوتزيم جميعها ترزح تحت عبء الديون للحكومة وللشركات والبنوك خاصة ، وليس بامكانها الاستمرار في الحياة لولا الاعانات الدائمة التي تمنحها اياها المؤسسات الصهيونية . بالاضافة الى ان عليها شراء الوقود والاسمدة والماء والكهرباء والالات من مصادر خارج الكيبوتز ، وعلى منتوجاتها ان تتنافس في السوق مع بضائع ينتجها الاخرون . اي انها مرتبطة بصورة مصيرية بالسوق الراسمالية المحلية. لقد اثبت الكيبوتز ، الذي كانت ايديولوجية بوروشوف الحافز الاساسي على خلقه ، انه غير قادر على المنافسة في السوق الراسمالية الحرة وهو مدين في بقائه على قيد الحياة للاعانات الصهيونية كما ذكرنا .

ثالثا ، تحول الكيبوتز ، في محاولة لمواجهة هذا الواقع، الى النشاط الصناعي ، مبتدئا بتصنيع انتاجه الزراعي ومتحولا بالتدريج الى صناعات البلاستيك والفخار والاثاث وعشرات المنتجات الصناعية الخفيفة . بيد ان ضآلة عدد اعضاء الكيبوتز (بضع مئات) لا تسمح بتأمين قوة العمل اللازمة للزراعة والصناعة معا ، وبما ان التخلي الكلي عن النشاط الزراعي سيكون بمثابة التنكر لمبادىء « الاشتراكية» الصهيونية ، وجد الكيبوتز نفسه مجبرا على استخدام العمل المأجور من المدن المجاورة . أي اصبح مجتمع الكيبوتز الجماعي « الاشتراكي » مستغلا (بكسر الغين) جماعيا للعمل المأجور. في هذه الظروف يعمل اعضاء الكيبوتز عادة كرؤساء وشغيلة في معاملهم ، بينما يقوم الاجراء بالاعمال التي تتطلب درجة أدنى من الاختصاص ، وعندما تنتهي فترة العمل يعود الاجراء الى المدينة . أي اصبح الكيبوتز بالنسبة للعمال رب عمل مثله كمثل اي رأسمالي اخر ، سوى ان الرأسماليين لا يقدمون المواعظ الاشتراكية ولا يتلبسون لباسها بهذه الصفاقة . وعندما يحدث في الكيبوتز اضراب عمالي يستنجد المالكون بالبوليس دونما تردد .

تستخلص المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية مما ورد أن شعار « من الكوميون الى الشيوعية » قد برهن على انه ينطوي على تزييف مزدوج : فهو لم يحول المجتمع الاسرائيلي الى أي نوع من انواع الاشتراكية (هذا اذا وضعنا الشيوعية جانبا) من جهة ، كما انه تحولت الكوميونات ذاتها من تجمعات اشتراكية طوباوية الى هيئات استغلال جماعية تستثمر العمل المأجور وتستغله من جهة اخرى . اي ان تاريخ الكيبوتز (وفي الحقيقة كل تاريخ اليسار الصهيوني) ليس الا تاريخ الاشتراكية الديمقراطية التي افسدتها القومية الشوفينية ووقائع الاقتصاد الرأسمالي القاسية . في الواقع كان للكيبوتز اهمية خاصة في عملية الاستعمار الصهيوني لفلسطين . لقد

حافظت المؤسسات الصهيونية على الكيبوتزيم (سواء كانت تنتمي الى ماباي او مابام او حيروت أو الاحزاب الدينية) لانها تتصف بروح الريادة والعمل الجماعي المنظم وببنـاء اجتماعي يصلح خصيصا لاستيعاب المهاجرين ولانها قادرة على حماية نفسها وعلى القيام بمهمات اقتصادية غير مربحة عن طريق التضحيات الشخصية والفردية الكبيرة . ان كافة هذه الصفات والخصائص ضرورية وحيوية بالنسبة لتثبيت الوجود الصهيوني الاستعماري في منطقة معادية .

الهستدروت

من الافكار الشائعة حول اليسار الصهيوني انه ركز معظم نشاطاته حول الكيبوتز ، لكن المنظمة تبين ان هذه الفكرة خاطئة ولا تنطبق على الواقع اذ على الرغم من الدور الهام الذي لعبته الكيبوتزيم في تثبيت الاستعمار الصهيوني لم تتعد عضويتها في يوم من الايام مقدار الخمسة بالمائة من السكان اليهود في فلسطين . لقد خلق اليسار الصهيوني مؤسسة اخرى تفوق بكثير جميع الكيبوتزيم اهمية وقوة وثروة . هذه المؤسسة هي الهستدروت او المنظمة العامة للعمال اليهود في فلسطين . تأسست هذه المؤسسة عام ١٩٢٢ بواسطة اليسار الصهيوني باعتبارها اداة لخلق البروليتاريا اليهودية ، وهي اليوم تملك صناعات ضخمة ومصارف وشركات نقل بحري وجوي واكبر شركة بناء في اسرائيل ، كما تملك حصة أساسية في كل فرع من فروع الاقتصاد الاسرائيلي تقريبا ، هذا بالاضافة الى اوسع نظام للتأمين الصحي في البلد (لا يوجد تأمين صحي عام في اسرائيل). ان واحدا من كل ثلاثة اشخاص من سكان اسرائيل يدفع رسوم عضوية للهستدروت ومن لا يدفع يخسر تأميناته الصحية ، كما ان تسعين بالمائة من العمال اليهود هم اعضاء في نقابات عمالية يديرها الهستدروت .

تقول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية انه بالرغم من أن الهستدروت يسمي نفسه باللغات الاجنبية « الاتحاد العام للعمال في اسرائيل » كي يصور نفسه في الخارج على الصورة المألوفة لنقابات العمال ، الا أن واقع الهستدروت الفريد وخصائصه المميزة تجعله بعيدا كل البعد عن النقابات العمالية. ان خصائصه الصهيونية تفوق كثيرا ، بدون ادنى شك ، خصائصه النقابية والعمالية .

اكتشف الاشتراكيون الصهيونيون الاوائل عندما قدموا الى فلسطين في العقود الاولى من هذا القرن ان معظم المستوطنين اليهود الذين سبقوهم (خصوصا في المستعمرات التي انشأها روتشايلد قبل انشاء المنظمة الصهيونية) يستخدمون اليد العاملة العربية . وبما ان اليسار الصهيوني كان يريد تحويل اليهود الى فلاحين وبروليتاريين رفض ان يقوم ملاك الارض والرأسماليون اليهود باستخدام اليد العاملة العربية واطلقوا حركة الكيبوتزيم وبعدها بقليل اسسوا الهستدروت ، ثم باشروا بحملة شوفينية ضد كل اليهود الذين يستخدمون اليد العاملة العربية رافعين شعارا يقول انه على الصهيونيين ان يخلقوا طبقة عاملة يهودية في فلسطين لا ان يستخدموا العرب . وفي العشرينات والثلاثينات اصبح شعارهم الاساسي « العمل اليهودي فقط » ، وقاموا بارهاب صاحب العمل اليهودي والعامل العربي معا . وكان الهستدروت الاداة الرئيسية في هذه الحملة اذ انه لم يؤسس لتنظيم الطبقة العاملة اليهودية بل لخلقها . وبطبيعة الحال لم يكن الهستدروت ليقبل العمال العرب كاعضاء فيه باعتباره لليهود فقط كما يدل على ذلك بوضوح اسمه العبري . أي لم يكن هدف الهستدروت الدفاع عن المصالح الطبقية للعمال اليهود بل دعاهم الى التضحية لتأسيس الدولة البرجوازية الرأسمالية اليهودية وتقويتها . وعندما كان الرأسماليون اليهود يشكون من ان اليد العاملة اليهودية اكثر كلفة من العمال

العرب ، كان الهستدروت غالبا ما يتحمل الفارق في الثمن من اعتماداته .

قد يكون الهستدروت الاتحاد « النقابي » الوحيد في العالم الذي يحوي « دائرة للاتحادات النقابية » ، وذلك لان نشاطاته كمالك وصاحب عمل تفوق بكثير نشاطاته كاتحاد نقابات . في الواقع يملك الهستدروت النقابات تماما كما يملك التامين الصحي ، وفي كثير من الحالات يعين موظفو الهستدروت كامناء سر للنقابات ، وفي الاحوال التي يصل فيها امين السر الى منصبه عن طريق الانتخاب ينبغي الحصول على موافقة رسميي الهستدروت قبل ان يتمكن العمال من الاعتراف بالمنتخب كممثل عنهم . ولتدعيم سيطرة الهستدروت تجمع منظمته المركزية جميع رسوم العضوية مباشرة (التي تقارب سبعة بالمائة من دخل العضو) ، ثم تحصل الاتحادات المحلية على مخصصاتها من السلطات المركزية . عن هذا الطريق تحتفظ السلطات المركزية في الهستدروت بسيطرة حازمة على الطبقة العاملة الاسرائيلية بكاملها . وعندما تقع اضرابات «غير مرخصة» يجد المضربون انفسهم بدون اعتمادات مالية تمكنهم من الاستمرار بالاضراب كما يواجهون احتمالات فقدانهم لاعمالهم الى الابد (اذ كثيرا ما يكون الهستدروت نفسه هو صاحب العمل) ، بالاضافة الى مواجهة كل ما يستطيع الهستدروت تحريكه من قوى القمع كما حصل في اضراب البحارة عام ١٩٥١ . اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان الهستدروت هو اكبر موظف في اسرائيل وهو في الوقت ذاته « اتحاد لنقابات العمال » تبينت لنا طاقاته الهائلة . انه دولة داخل الدولة والعمود الفقري للمجتمع الاسرائيلي واقتصادياته ، كما انه الاب الشرعي لدولة اسرائيل (كما يدعي الاشتراكيون الصهيونيون) .

لا داعي للدهشة اذن اذا قالت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ان من يسيطر على الهستدروت يحكم اسرائيل .

لقد سيطر الماباي على الهستدروت قرابة ثلاثين عاما فحكم يهود فلسطين قبل عام ١٩٤٨ . وليس من قبيل الصدفة ان يكون بن جوريون ، أهم رئيس حكومة لاسرائيل ، أحد مؤسسي الهستدروت وفي وقت من الاوقات امينه العام ، كذلك فان لاشكول وغيره من القادة مثل لافون ونامير ماضيا مشابها . ولم يصل جناح الصهيونية « اليميني » يوما الى السلطة في اسرائيل أو الى الهيمنة على الحياة اليهودية قبل عام ١٩٤٨ لانه لم يكن يملك من القوة ما يؤهله للاطاحة « باليسار » عن طريق انشاء مؤسسات تابعة له في قوة الهستدروت . ان المناوىء الوحيد الذي يستطيع قهر الهستدروت هو الدولة ذاتها ، ولكن أي صراع بين الدولة والهستدروت يقتضي اماحصول انشقاق في الماباي او انتصار انتخابي لليمين المتطرف ، وهذا احتمال ضعيف جدا في المستقبل المنظور بسبب الضغوطات والاغراءات الاقتصادية التي تستخدم في الانتخابات وبسبب الامكانات المالية والاقتصادية والتنظيمية التي يستطيع الهستدروت تحريكها . ان امكانية فرض ديكتاتورية عسكرية على اسرائيل من جانب جنرالات الماباي (الذين شددوا قبضتهم على الجيش خلال حكم بن جوريون) تبقى أكثر ترجيحا من أي انتصار لليمين الصهيوني الاكثر تطرفا .

بعد هذا العرض لواقع الهستدروت وتركيبه تنتقل المنظمة الى مناقشة الموقف الثوري في اسرائيل من هذه المؤسسة . هل يمكن تحويل الهستدروت من داخله ليصبح اداة ثورية او على اقل تعديل ليصبح اتحاد عمال عاديا أم يجب الاطاحة به ، مثله في ذلك كمثل اية مؤسسة اخرى في دولة اسرائيل الصهيونية ؟

تعمل جميع الاحزاب « اليسارية » في اسرائيل بما فيها الحزب الشيوعي (راكاح) على أساس ان المشكلة هي تغيير قيادة الهستدروت ، في أسوأ الاحوال . لذلك على كل يساري

معارض للخط الحالي للهستدروت ان يناضل داخل المؤسسة لاجل انتخاب قيادة من نوع جديد . بطبيعة الحال ترفض المنظمة هذا المنطق وتعتبره رديفا للخط السياسي المرفوض والقائل بامكانية الوصول الى المجتمع الاشتراكي بالسبل البرلمانية .

في اوائل الستينات تفجرت في اسرائيل حركة واسعة من الاضرابات العمالية غير الرسمية (اي اضرابات لم توافق عليها قيادة النقابات العمالية) حيث قام العمال بصورة عفوية بتشكيل لجان عمل في مناطق متعددة من اسرائيل ، حتى أن ملامح الاتصال والتضامن بين هذه اللجان غير الرسمية بدات تظهر لتشكيل مؤسسة عمالية شاملة وغير رسمية منفصلة عن الهستدروت وبنيانه . تعتقد المنظمةالاشتراكية الاسرائيلية بصواب هذا الاتجاه وسلامته في النضال العمالي داخلاسرائيل وبضرورة دعم هذه الحركة ودفعها الى مستويات ارقى . اي يجب على العمال أن يشكلوا تنظيما جديدا تابعا لهم ، بغض النظر عن الهستدروت ، وبدلا عن محاولة السيطرة عليه من الداخل اذ ينبغي ، في التحليل الاخير ، تدميره من الخارج حين يحين الوقت لذلك . تقول المنظمة ان موقفها هذا خلال الاضرابات العمالية كان طرحا جديدا تماما في اسرائيل لمسالة الهستدروت . وقد نشرت المنظمة في العدد الاول من مجلتها **الماتسبن** برنامجا نقابيا مرحليا تضمن ١٢ نقطة اهمها ما يلي:

١ ــ العمال في اسرائيل بحاجة الىحركة نقابية مستقلة. ومثل هذه الحركة غير موجودة لان الهستدروت ليس حركة نقابية مستقلة بل هو جزء من المؤسسة الصهيونية .

٢ ــ ينبغي ان يكون لكل نقابة استقلالها الكامل في كل نشاط تقوم به مما يمس مصالح العمال المنظمين فيها . ويعارض هذا المطلب الوضع القائم في اسرائيل حيث تقوم القيادة البيروقراطية للهستدروت باملاء كافة الاجراءات من فوق .

٣ ــ ان يكون انتخاب الممثلين ديمقراطيا علما بأنه ليس كذلك في الوقت الحاضر اذ يتم تعيين الاعضاء العاملين في الهستدروت من قبل القيادة البيروقراطية .

٤ ــ الاكثار من عقد اجتماعات الفروع المحلية للنقابات المختلفة .

٥ ــ الاستقلال الكامل للمؤتمر العام للعمال في كل مكان عمل . على سبيل المثال اذا كان العمال يريدون اعلان الاضراب يجب ان يكون من حقهم ان يفعلوا ذلك ، وهذا يتعارض تماما مع الوضع القائم حاليا حيث ينبغي ان توافق القيادة البيروقراطية للهستدروت على مثل هذا الاجراء .

٦ ــ ينبغي ان يكون لكل فرع محلي نقابي صندوقه المالي لاجل حالات الاضراب . في حين تذهب في الوقت الحاضر جميع الاموال الاتية من اشتراكات الاعضاء الى الجهاز المركزي . لا النقابات ولا فروعها المحلية تملك اموالا مستقلة وهي تعتمد كليا على الجهاز المركزي .

٧ ــ يجب ان تدار المصالح الاقتصادية للهستدروت ، اي المشاريع التي يملكها ، من قبل العمال انفسهم وليس كما هو حاصل حاليا حيث تدار من قبل جماعات بيروقراطية هي جزء من الهستدروت .

٨ ــ في كل نزاع عمالي ينبغي على الهستدروت ان يؤيد العمال . في الواقع لا يفعل الهستدروت ذلك في كثير من الاحيان لان النزاع كثيرا ما يكون مع الهستدروت نفسه باعتباره صاحب العمل .

٩ ــ المساواة الكاملة في الحقوق للعمال العرب في الهستدروت والقضاء على كل تمييز يمارس ضد قبول عضوية العمال العرب في الهستدروت . (حتى فترة قصيرة كان الهستدروت مغلقا بالنسبة للعمال العرب .)

١٠ ـ في عام ١٩٦٢ كان الاسم الرسمي للهستدروت هو « التنظيم العام للعمال العبريين في فلسطين » طالبت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية بتغيره الى « الاتحاد العام للعمال في اسرائيل » .

في تلك الفترة ركزت المنظمة نشاطها الاساسي في الميدان العمالي وكان احد اعضائها يعمل في حركة لجان العمل .وتقول المنظمة انها بذلت كل الجهود الممكنة ، بالرغم عن صغر حجمها ، للدفع بهذا الاتجاه ونشر وجهة النظر هذه . ولفترة طويلة نسبيا ، استمرت المنظمة في العمل ضمن هذا الخط باعتباره قضية محورية بسبب افتقار اسرائيل الى اي نوع من انواع الحركة النقابية لان الهستدروت في الواقع ليس اتحادا عماليا بالمعنى المعروف للعبارة كما ورد معنا . وعندما ترى المنظمة ان العامل الاسرائيلي لا ينتمي الى اية نقابة عمالية على الاطلاق تجد في ذلك مجالا واسعا للعمل لان وجود النقابة العمالية ضروري في كل الاحوال في المجتمع الرأسمالي ولا يمكن للعمال ان يستمروا بدون تشكيل نوع من انواع المنظمات العمالية . تعتقد المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ان نجاح مثل هذه الحركة الهادفة الى ايجاد تنظيم منفصل عن الهستدروت يقوم بوظيفة النقابة العمالية سيكون له اهمية خاصة بما ان الهستدروت هو جزء من المؤسسة او من بنيان السلطة الصهيوني . أي ان ايجاد مثل هذا التنظيم يتعدى في اهميته مجرد تشكيل نقابة عمالية اذ انه سيوجه ضربة حقيقية في داخل بنيان السلطةوسيكون له اهمية ثورية تتخطى حدود ما كان سيحدث لو ان مثل هذا العمل قد تم في بلد اخر .

لا يزال هذا هو برنامج المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية بصورة عامة على صعيد العمل الداخلي ، غير ان المنظمة تأخذ بعين الاعتبار الوضع الجديد الذي طرأ على المنطقةكلها

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . قبل الحرب كانت القضيـــة الفلسطينية مجمدة الى حد ما وكان الصراع الطبقي الداخلي في اسرائيل على مستوى أعلى مما هو عليه الان . كان الصراع الطبقي أكثر وضوحا وصراحة لان القضايا الخارجية لـم تكن قد تأزمت بعد لتخفف من حدته . لذلك اعطت المنظمة في تلك الفترة اهمية اكبر لمسألة الصراع الطبقي مما تعطيه الان . ومن الواضح ان القضايا السياسية التي تعتبر الان اكثر الحاحا من أي شيء اخر تغطي الى حد ما هذا النوع من النضال الذي يقـوم بـه العمـال ضـد بيروقراطيـة الهستدروت . أي لم تعد هذه القضية هي المسألة الرئيسية في اسرائيل حاليا مع انها ما زالت مهمة في نظر المنظمة .

الفصل الخامس

نظرة المنظمة الى المقاومة الفلسطينية والحل الثوري للنزاع في المنطقة

تبين لنا انه ليس لدى المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية اية اوهام حول حقيقة الدور الذي تلعبه اسرائيل في المنطقة العربية في خدمة المصالح الامبريالية والنفوذ الاستعماري وهو دور متمم لنشأتها الاستعمارية اصلا وهي تنظر الى حرب حزيران واهدافها من خلال هذا المنظار الاساسي . تبين المنظمة ان اسرائيل كانت تعاني من ازمة اقتصادية قبل حرب حزيران ١٩٦٧ مما ادى الى حالة خطيرة من البطالة في صفوف العمال ، وضيق شعبي شديد على وجه العموم. الى جانب ذلك كانت « الجولة الثالثة » في الصراع العربي — الاسرائيلي جزءا لا يتجزأ من معركة عالمية اكبر واوسع وتمتد في اهميتها وخطورتها بعيدا خارج حدود الشرق الاوسط .

تعود المنظمة في تحليلها لحرب عام ١٩٦٧ الى خمسينات هذا القرن التي كانت مرحلة انتصارات للاشتراكية وللقوى التقدمية في العالم ولثورة المستعمرات . ففي الصين توطدت الثورة الاشتراكية ، وفي الهند الصينية نجحت القوى الاشتراكية في هزيمة الاستعمار الفرنسي ، وفي كوبا قامت ثورة اشتراكية . وفي عدد من اقطار اسيا وافريقيا توصلت الى الحكم قوى معادية للاستعمار مما جعل نطاق حكم

الدول الاستعمارية المباشر في هاتين القارتين ضيقا جدا . اي كانت القوى الاستعمارية في تقهقر . اما في الستينات فقد حصل تغير ملموس في ميزان القوى الدولي اذ وطدت الدول الغربية الاستعمارية مراكز جديدة لها في العالم الثالث تحت اشراف الاستعمار الاميركي الذي تحول الى « بوليس عالمي» لصالح السيطرة الامبريالية . وفي عدد كبير من الاقطار الافريقية الاسيوية وقعت انقلابات رجعية ــ بتدبير من وكالة الاستخبارات الاميركية ــ اسقطت حكومات معادية للاستعمار . ومن الخطوات البارزة في هذا الهجوم الاميركي العالمي : ١ ــ التدخل الاميركي في الكونغو ، ٢ ــ ازمة الصواريخ في كوبا التي تراجع فيها الاتحاد السوفياتي امام التهديد النووي الاميركي ، وفرضت الولايات المتحدة الاعتراف الواقعي « بحقها » بالتصرف كمسيطرة لوحدها على المحيط بحيث تفرض الحصار البحري ، وتقوم بتفتيش السفن عندما تشاء ، ٣ ــ التدخل الاميركي على نطاق وبشكل لم يسبق لهما مثيل في الفيتنام الجنوبية ، ٤ ــ الحرب الوحشية التي تشنها الولايات المتحدة على جمهورية فيتنام الديمقراطية الواقعة وحدها في المعركة . وتخلص المنظمة الى القول بأن حرب عام ١٩٦٧ وانتصار اسرائيل فيها لم تكن الا عملية استكمال للهجمة الامبريالية الواسعة ضد قوى الثورة والتحرر في العالم الثالث التي شهدتها ستينات هذا القرن .

وترجح المنظمة الراي القائل بان الرئيس عبد الناصر لم يكن يعتقد ان الازمة التي نشبت قبل الحرب ستتحول الى صدام عسكري واسع ، بل يمكن ابقاؤها ضمن الاطار السياسي وتحقيق مكاسب مهمة على هذا الاساس مثل محو اخر بقايا مكاسب اسرائيل في حملة سيناء عام ١٩٥٦ . كما ترى المنظمة ان الاتحاد السوفياتي ــ الذي اعتمد على الاتفاق الدولي الضمني بينه وبين الولايات المتحدة ــ قد عزز اعتقاد

مصر بان الولايات المتحدة لن تسمح لاسرائيل بشن حرب واسعة النطاق . غير ان الوقائع اثبتت ان هذه التقديرات كانت خاطئة الى اقصى الحدود . اذ اصبح واضحا ان الولايات المتحدة كانت تريد اضعاف زعامة عبد الناصر ، نظرا لتأثيره في العالم الثالث وضرب حركة التحرر العربي وقواها بصورة عامة . كذلك تشير المنظمة الى ان الاميركيين، على خلاف خصومهم السوفيات ، لا يقيمون وزنا كبيرا لقواعد لعبة التعايش السلمي ، ولا يخشون كل نزاع مسلح ولا يقعون فريسة الوهم بأن كل نزاع من هذا النوع سيؤدي مباشرة الى كارثة نووية . فضلا عن ذلك ، فان اسرائيل — على الرغم من اعتمادها شبه الكلي على تأييد الولايات المتحدة — ليست شريكا سلبيا يكتفي بتنفيذ الاوامر فحسب لان خدمة الولايات المتحدة في نظر حكام اسرائيل ليست هدفا بذاتها بل هي وسيلة لخدمة الاهداف والمطامع الصهيونية الاصيلة . بعبارة اخرى ، حققت نتائج حرب حزيران١٩٦٧، من حيث اهميتها العالمية ، نجاحا يضاف الى قائمة النجاحات التي حققها الهجوم الامبريالي العالمي الذي يشرف على تنفيذه الاستعمار الاميركي على نطاق عالمي .

بالاضافة الى النواحي العالمية للنزاع توجد ايضا النواحي المحلية التي كان لها دور هام في تقرير مجرى الاحداث . اي ان الصراع بين الاستعمار والقوى المضادة له لم يكن يتم في فراغ بل تجلى بشكل محدد : مرحلة اخرى في النزاع التاريخي بين الصهيونية والحركة القومية العربية. لذلك لا بد للمنظمة من ان تبدي رأيا في قيادة حركة التحرر العربي المتجسدة في النظام الناصري في مصر .

ترى المنظمة ان تطور مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو قد تم بقيادة البورجوازية الصغيرة وهي طبقة تقول المنظمة ان من صفاتها التذبذب والتأرجح وانعدام القدرة على الحسم النهائي للصراع لصالح القوى الثورية والشعبية . في البداية

فضلت هذه القيادة تعزيز البورجوازية الصناعية الوطنية ، مقابل بقية الطبقات . وكانت القيادة تتوقع ان يتم استثمار التعويضات التي دفعت الى ملاك الاراضي ،في اعقاب الاصلاح الزراعي ، في المجال الصناعي مما سيخدم تصنيع البلد . غير ان اصحاب الاراضي السابقين استثمروا راسمالهم الجديد في التجارة والعقارات بسبب التقاليد وقلة التجربة وعدم ثقتهم في امكانية جني ارباح كبيرة في المجال الصناعي. وبعد ان فشل النظام في جذب الراسمال الخاص للصناعة شرع في استخدام أموال الدولة لهذا الغرض فأقام بذلك نوعا من الاشراف والبرمجة من جانب الدولة .

تقول المنظمة ان المبادرة الفردية لم تقدم شيئا لتطوير الاقتصاد الوطني المصري ، كما ان الاصلاحات الجديدة سهلت اثراء قسم من البورجوازية المصرية وبدات الاموال تتجمع في ايدي عدد محدود من الشرائح الاجتماعية العليا بين السكان . فقد ارتفع نصيب الراسماليين من الدخل القومي من ٦٨ بالمائة قبل البدء في التصنيع الى ٧٢ بالمائة في عام ١٩٦١ . ولكن ، كما جاء ذكره آنفا ، لم يستثمر هؤلاء اموالهم في الصناعة ،بل توجهوا الى التجارة وملحقاتها، لان الارباح في هذا المجال مضمونة وكبيرة وسريعة . كما ان اصحاب الاراضي استخدموا كافة الوسائل للتحايل على قانون الاصلاح الزراعي .

تعتقد المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية انه من العوامل الرئيسية التي قررت الى حد بعيد نتائج المعركة في عام ١٩٦٧ هو هذا الطابع للنظام القائم في مصر وتطوره. ففي رايها ان الثورة في مصر على رغم كونها ظاهرة تقدمية في حينها ، قد توقفت في منتصف الطريق ولم تتخذ طابعا اشتراكيا ، هذا بالرغم عن سلسلة الاصلاحات الاقتصادية والسياسية الهامة التي قام بها النظام الذي بقي في التحليل الاخير ذا طابع برجوازي صغير ، وفشل في تنظيم جماهير الشعب

واشراكها في الحياة السياسية . حتى الجهود التي بذلت لاقامة حزب جماهيري (الاتحاد الاشتراكي) كقاعده للنظام قد اخفقت ولم تتعد كونها محاولات بيروقراطية . كما ان الطبقات الحاكمة القديمة لم تحطم بل بقيت قائمة في الجيش وجهاز الدولة ، بالاضافة الى استمرار الثغرة الاجتماعية الواسعة بين الطبقات ذات الحقوق والامتيازات، وجماهير الشعب على حالها . ان هذا الوضع يشكل عاملا هاما في تقوية الجناح اليميني للنظام الحاكم في مصر(٣٦) .

ولا يمكن ، في رأي المنظمة ، تفسير انهيار الجيش المصري السريع في المعركة بدون الاخذ بعين الاعتبار ان الطيارين مثلا وقسما كبيرا من الضباط ينتمون الى الفئات الاجتماعية المعادية للثورة . كما ان التناقضات الاجتماعية التي ادت الى تعفن الجيش في ايام النظام القديم بقيت قائمة الى حد كبير حتى يوم المعركة . وتخلص المنظمة الى ان توقف الثورة في مصر في منتصف الطريق وعدم تحقيقها لتغيرات اجتماعية ثورية عميقة كان له بلا شك اثره في خطوات عبد الناصر السياسية قبل الحرب (٣٧) .

وفي صدد تحليلها لطبيعة المعركة مع اسرائيل تقول ماتسبن :

ان الرئيس عبد الناصر قد اكد مرارا انه قبل الاصطدام العسكري الناجح باسرائيل ينبغي على القوى التحررية العربية تحقيق تغيرات داخلية في العالم العربي ، مثل اسقاط الانظمة الملكية الاقطاعية والرجعية القائمة في عدد من الاقطار العربية ، وتحقيق وحدة قائمة على اساس تقدمي . وقد ندد عبد الناصر عن حق بالملك حسين باعتباره خادما للاستعمار

(٣٦) المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، **ثلاث بيانات** ، ص ٣٠ .
(٣٧) المرجع السابق ، ص ٣٠ – ٣١ .

وعدوا للامة العربية واداة قمع ضد عرب فلسطين . ولكن لما ازفت ساعة الامتحان ووضعت ثورية النظام في مصر على المحك اندفع عبد الناصر – بسبب نقاط الضعف المذكورة في نظام حكمه ودولته – الى استبدال حلف القوى المعادية للاستعمار بالحلف غير المقدس مع الملك حسين قبل الحرب مباشرة (وذلك على الرغم من استياء الحكومة السورية) . ففي رأي المنظمة ان حسين حتى تلك اللحظة كان عدوا لقوى التحرر العربية ولكن لما بدا ان عرشه على وشك الانهيار، منحه عبد الناصر «قبلة الحياة»، وطهره من كل دنس باسم الوحدة والقومية العربية . وللاسف اختار عبد الناصر شاهدا وكفيلا لهذا الحلف احمد الشقيري، الزعيم الفلسطيني، الذي تنعته المنظمة بانه رجعي ومتقلب وكان في احدى تقلباته ممثلا للملك السعودي في هيئة الامم المتحدة .

وقد ظهر هذا التحول بشكل خاص في الدعاية التي صدرت عن القاهرة ، اذ غرقت الشعارات المعادية للاستعمار والدعوة الى الدفاع عن سوريا ضد العدوان في تيار من التهديدات بالقضاء على اسرائيل . اضرت هذه الدعاية بالدول العربية التقدمية طبعا اذ انها شدت من ازر الاوساط المتطرفة في اسرائيل ودفعت قسما كبيرا من الرأي العام العالمي الى موقف عدائي من مصر والعرب عامة ، كما ان اسرائيل لم تظهر على حقيقتها كمعتدية وخادمة للاستعمار بل ظهرت بمظهر المناضلة عن كيانها وعن حياة سكانها .

لقد برهنت التجارب أن امكانية الوصول الى حلول وسط حقيقية وثابتة بين المصالح الاساسية للاستعمار وبين مصالح الجماهير في الدول المتخلفة ليست الا سرابا . الاستعمار الجديد كان يفضل ، كما هو معروف ، استغلال ثروات هذه الدول باستخدامه زعيما قوميا شعبيا من وسط البرجوازية المحلية بدلا من استخدام الدمى من امثال سوهارتو او كاوكي . غير أن الاستعمار الجديد بدأ يدرك

ان هذه اللعبة خطرة للغاية لانه توجد احتمالات كثيرة لتطور النضال الوطني ، حتى تحت زعامة البورجوازية الصغيرة ، باتجاهات اكثر راديكالية تعني المزيد من التهديد بالنسبة الى المصالح الامبريالية . واكثر من ذلك فان تطور النظام الناصري بالاتجاه المعادي للاستعمار قد قطع شوطا كبيرا لم تعد تحتمله القوى الامبريالية وخاصة بما يتعلق بالمصالح النفطية ، مما دفع الامبريالية للتكشير عن أنيابها في اخر المطاف . هذا هو الدرس الاساسي الذي فشل النظام الناصري من استخلاصه والعمل على أساسه مما ادى به الى الهزيمة والى المأزق الخانق الذي يواجهه .

انتقل الان الى عرض الاراء التي عبرت عنها المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية حول حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة . تقول المنظمة انه على اثر حرب حزيران ١٩٦٧ ظهر عنصر جديد على المسرح السياسي في الشرق الاوسط : الفلسطينيون . ومع انهم باشروا بالعمل قبل حرب حزيران بسنوات قليلة ، لكن كفاحهم لم يأخذ اندفاعه الفعلي وتاثيره الكبير الا بعد الحرب . والعامل الايجابي في هذا التطور هو نجاح العمل الفلسطيني في تحويل الصراع الذي كان قائما بين حكومات الى صراع جماهيري . الا انه من الضروري الاشارة الى اتجاه سلبي وخطر ، في رأي المنظمة ، داخل العمل الفلسطيني . لقد تبنت بعض فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية وجهة النظر القائلة انه بامكان الجماهير الفلسطينية وحدها ان تحل النزاع في المنطقة (تحرير فلسطين) بمعزل عن النضال الثوري العربي بشكل عام . هذا بالاضافة الى نزعة « عسكرية » واضحة في العمل الفلسطيني لا تقيم وزنا الا للبندقية . تؤكد المنظمة انالكفاح المسلح ضرورة حيوية واداة مشروعة في مواجهة الاحتلال ومتابعة النضال ، ولكن هذا لا يعني ان نجعل من القتال « فيتيشا » وكأنه الاسلوب الوحيد للنضال والكفاح . أن

نضال القوى الثورية الفلسطينية سوف يشمل بالضرورة الكفاح المسلح ، وتقول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية انها واعية تماما لهذه الحقيقة ، وانها ادركتها قبل انتشار حركة المقاومة على نطاق واسع . لكن السؤال الذي تطرحه المنظمة هو اذا كان الكفاح الفلسطيني المسلح وحده يكفي للوصول الى النتائج المطلوبة ؟ وتجيب المنظمة على هذا السؤال بالنفي ، لان توازن القوى الداخلة في الصراع قائم بشكل سيدفع الكفاح المسلح الفلسطيني بالضرورة نحو التحول الى مجرد مقاومة ضد الاحتلال . اي ما لم يصبح الكفاح المسلح الفلسطيني جزءا من حركة اوسع هي الثورة العربية فانه لن يحقق اكثر مما جاء ذكره اعلاه . لذلك عندما تعرض بعض فصائل المقاومة القضية على انها مسالة فلسطينية بحت وبالامكان حلها ضمن اطار فلسطيني بحت فانها تبين عدم ادراكها للخطر الذي يواجه العمل الفلسطيني، اي استبدال النظرة الفلسطينية السلبية السابقة التي كانت تنتظر الخلاص على ايدي الاخرين ، بنظرة اقليمية ضيقة بحيث يكون المطلب الوحيد الموجه الى الجماهير العربية هو مجرد مساعدة الجبهة الفلسطينية فقط . ترى المنظمة ان هذا الموقف يتغافل عن الارتباط العضوي القائم بين النضال الفلسطيني والنضال في العالم العربي ككل ،كما يعبر عن ذلك شعار « عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية » . وتشجع الحكومات العربية هذا الموقف اذ ان تعبئة الجماهير العربية ، وان كانت في سبيل القضية الفلسطينية فقط ، كفيلة بتهديد الاوضاع السياسية العربية القائمة . لذلك لا ترى هذه الحكومات اي ضرر في عزل النضال الفلسطيني وتركه للفلسطينيين فقط .

ومعروف ان الانظمة العربية ــ الرجعية منها والتقدمية ــ تكسب الاستقرار لنفسها عن طريق فدية هي تقديم المساعدات للمنظمات الفلسطينية . بالاضافة الى ذلك ، لا

شك ان هذه الحكومات تريد استعمال المساعدات المالية لتوجيه النضال الفلسطيني ضمن نطاق الخطوط السياسية الملائمة لها وللتلاعب به واستعماله كمجرد وسيلة للمساومة على حل سياسي مقبول لديها ، لان هم الانظمة الاساسي هو استرجاع المناطق التي فقدتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، بينما لا تعتبر القضية الفلسطينية الا كشيء ثانوي . وهذا ما يعنيه شعار « ازالة اثار العدوان » . كما تؤكد المنظمة انه لو تمكنت الانظمة العربية من احراز هدفها هذا بصورة من الصور (عن طريق الدول الاربع الكبرى مثلا) ستكون مستعدة للتخلي عن النضال الفلسطيني وحتى لان تشارك في التصفية السياسية والجسدية لحركة المقاومة الفلسطينية. وليس من المستبعد ان تصر الدول الاربع على تصفية المقاومة كشرط لتحقيق التسوية السياسية(٣٨) . واستطرادا لهذا التحليل نشرت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية بيانا في عدد حزيران ــ تموز ١٩٧٠ من مجلة **ماتسبن** قالت فيه ما يلي معلقة على المواجهة الساخنة التي تمت بين المقاومة والنظام الملكي في شهر حزيران : لقد هزت الحوادث التي وقعت مؤخرا في الاردن ميزان القوى «المحبب» لدى الدول الكبرى، فقد احتل المقاتلون الفلسطينيون عمان لمدة عدة ايام ، وفرضوا صلاحياتهم على الشارع واثبتوا بوضوح للنظام الاردني « الشرعي » وللعالم كله ، انهم على استعداد للتصدي بقوة السلاح للاضطهاد ومحاولات الافناء . وقد اعلنت اسرائيل ، التي تعهدت دائما حماية العرش الاردني ومعها

(٣٨) A. Said and M. Machover, «The Struggle in Palesine Must Lead to Arab Revolution», **The Black Dwarf**, 14 June 1969, p.5.

جدير بالاشارة هنا الى ان المنظمة قالت هذا الكلام قبل سنة من الضربة العنيفة التي وجهها النظام الحاكم في الاردن لحركة المقاومة والشعب الفلسطيني في ايلول ١٩٧٠ .

الاستعمار الاميركي حامي الرجعية في العالم كله ، انها على استعداد للعمل اذا ما اتضح ان الوضع يتطلب التدخل .

غير أن هذا التدخل لم يكن مطلوبا . فقد قامت بذلك قوى اخرى من بين العرب ، ونجح التحالف القائم بين مصر والاردن « في اعادة الامور الى نصابها » مع محاولات لشق حركة المقاومة عن طريق الهجوم على «المتطرفين من الجانبين» (أي الجانب الفلسطيني والجانب الملكي) . غير ان الهدف كان عزل التنظيمات اليسارية الفلسطينية المنادية بردود فعل جماهيرية والمطالبة بربط النضال للتحرر القومي بالتغييرات السياسية في الشرق الاوسط كله (٣٩) .

كذلك نشرت مجلة **ماتسبن** في عدد اب ــ ايلول ١٩٧٠ مقالا حول المجزرة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في الاردن قالت فيه : ان الشعب العربي الفلسطيني الذي طرد من ارضه ، والذي سلب وطنه ، والذي طلب منه خلال سبعين عاما ان يدفع ثمن الاستيطان الصهيوني ، وثمن السيطرة الاستعمارية في المنطقة ، وثمن التحالف القائم بين السيطرة الاستعمارية وبين الرجعية العربية ، يدفع الان ايضا ثمن « الحل » الذي سيفرض عليه . ومع ان الاستعماريين الاميركيين وحلفائهم الاسرائيليين ، والبيروقراطيين السوفيات وحلفائهم في المنطقة ، على خلاف حول قضايا كثيرة ، لكنهم على اتفاق حول نقطة واحدة هي انهاء القضية الفلسطينية باسم « الواقعية » ، وهذا يعني انهاء الفلسطينيين انفسهم . اننا نشاهد عملية افناء شعب بأم اعيننا . تؤكد المنظمة أن المجزرة ــ والحل الذي سيفرض في اعقابها ــ لا تنطوي على اي عنصر من عناصر السلام الحقيقي ، بل ستؤدي في أحسن الاحوال الى فترة « هدوء»

(٣٩) **ماتسبن** ، عدد ٥٤ ، حزيران ــ تموز ١٩٧٠ ، ص ١٠ و ١٢ .

يعقبها اندلاع الصراع المسلح من جديد (٤٠) .

وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة الى الموقف الذي اتخذته المنظمة من مشروع روجرز الشهير . رفضت المنظمة وثيقة روجرز معتبرة اياها نصا مشتركا توصلت اليه الدول الكبرى لفرض التسوية السياسية على المنطقة وذلك لان المشروع يرمي الى تجميد الوضع القائم في الشرق العربي لوقف تطور الحركة الثورية الجماهيرية الرامية الى القضاء على أنظمة الحكم الرجعية والى انتزاع النفط والثروات الطبيعية الاخرى من أيدي الاحتكاريين الاستعماريين والى تحطيم تحكم الطبقات الاقطاعية والرأسمالية في العالم العربي. كما رفضته لانه مضاد للحقوق القومية والسياسية والانسانية للشعب العربي الفلسطيني . ولانه لا يتعدى كونه التفسير الاميركي لقرار مجلس الامن الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ والرامي الى الحفاظ على استقرار نظام الحكم الصهيوني وانظمة الحكم الرجعية في العالم العربي خوفا عليها من الحركة الوطنية الفلسطينية وكفاحها المسلح الذي اخذ يهز استقرار المنطقة كلها(٤١) .

ترى المنظمة في الازمة المستديمة في الاردن ولبنان بين المقاومة الفلسطينية والنظامين الحاكمين كشفا عن التناقض بين حركة التحرير الفلسطينية والانظمة الرجعية المرتبطة بالاستعمار الاميركي . فالبرجوازية اللبنانية ــ مثل الاسرة المسيطرة في الاردن ــ لا تستطيع ان تمتنع عن كبت حركة ثورية تتحدى بشكل موضوعي شرعية هذه الانظمة وتهز كيانها .

---

(٤٠) **ماتسبن** ، عدد ٥٥ ، اب ــ ايلول ١٩٧٠ ، ص ٢ .

(٤١) « ضد المؤامرة » ، بيان للمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، ١٧ ، اب ، ١٩٧٠ .

ومن جانب اخر ، تشكل حركة المقاومة عاملا مناقضا ايضا للانظمة العربية « المعادية للاستعمار » ، اي انظمة البورجوازية الصغيرة بسبب احباطها للمحاولات التي تقوم بها هذه الانظمة للوصول الى تسوية للنزاع على مراحل وبسبب رفضها عودة المناطق العربية المحتلة عام ١٩٦٧ على حساب الحقوق القومية للشعب الفلسطيني ، وتأكيدها على طريق الكفاح الشعبي كبديل وحيد امام العالم العربي للتحرر والانعتاق . اي ستعمل حركة الكفاح الفلسطينية على منع اي « تعايش » بين الانظمة العربية المتقدمة واسرائيل . وطالما بقيت حقوق شعب فلسطين القومية مهدورة فان كفاحه سيكشف باستمرار عجز الانظمة البورجوازية الصغيرة عن التصدي للعدوان والاحتلال .

وتخلص المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في تحليلها الى القول أن توازن القوى في المنطقة من ناحية والتحليلات النظرية من ناحية اخرى تبين استحالة حل المسألة الفلسطينية ضمن اطار فلسطيني منفصل . لننظر الى توازن القوى المذكور : يشن الشعب الفلسطيني كفاحا مسلحا يواجه فيه الصهيونية تؤيدها الامبريالية ، بينما هو معرض في نفس الوقت للخطر ــ من الخلف ــ بسبب الرجعية العربية التي تؤيدها الامبريالية ايضا . وطالما أن للامبريالية مصالح حقيقية في الشرق الاوسط ، لا يمكن أن تكف عن تأييد الصهيونية ، حليفتها الطبيعية ، وان تقبل بالقضاء عليها . اي ستدافع عنها حتى اخر قطرة من النفط العربي .

من ناحية ثانية ليس بامكان الكفاح الفلسطيني المسلح ضرب المصالح الامبريالية وسيطرتها في المنطقة بدون القضاء على شركاء الامبريالية الصغار في الاستغلال ، اي الطبقات الرجعية الحاكمة في العالم العربي . والاستنتاج الذي تصل اليه المنظمة لا يدعو الفلسطيني للانتظار بهدوء حتى يتم القضاء على السيطرة الامبريالية في المنطقة بأسرها ؛ بل

يدعوهم للالتفاف حول النضال الاوسع في سبيل التحرير السياسي والاجتماعي للشرق الاوسط بأسره .

في التحليل الاخير ، لا تنم الصيغة التي تقصر نفسها على فلسطين وحدها ، رغم مظهرها الثوري ، الا عن ذهنية اصلاحية تهدف الى حلول جزئية ضمن اطار الاوضاع القائمة الان في المنطقة . في الواقع لا يمكن تطبيق الحلول الجزئية أو الاقليمية او الانعزالية الا بمساومة الامبريالية والصهيونية موضوعيا (٤٢) .

الى جانب ذلك ،تقول المنظمة ،ان التحرك الفلسطيني، حتى لو تمت تعبئته الى اقصى ما يمكن ، لن يتمكن من ضرب الصهيونية حتى ضمن حدود اسرائيل كما كانت قبل حزيران ١٩٦٧ . أما اسباب ذلك فيمكن تلخيصها بالقول : اولا ، ان الحجم الذي يمكن ان تصل اليه الحركة الفلسطينية حتى في احسن ظروف التعبئة يبقى صغيرا نسبيا . ثانيا ، ان تجارب حروب العصابات قد برهنت ان من ضرورات نجاحها كسب تأييد السكان حيث يعمل مقاتلو العصابات . هذا الشرط متحقق من حيث المبدأ في الضفة الغربية وقطاع غزة فيما يتعلق بحركة المقاومة (بمعنى ان التأييد للمقاومة كامن في الضفة الغربية وقطاع غزة مع انه لم يتحول كليا الى حيز الفعل) . أما في اسرائيل فتطرح قضية حرب العصابات نفسها على صعيد اخر تماما باعتبار ان السكان هناك ليسوا عربا او فلسطينيين . فاذا حصرنا انفسنا ضمن حدود حركة الكفاح الفلسطيني المسلح وحده لا بد وان يكون النشاط الذي يمكن ان تقوم به مثل هذه الحركة في تل ابيب مثلا محصورا ضمن الاعمال « الارهابية » . والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية لا تستعمل عبارة « ارهابية » في هذا

(٤٢) A. Said and M. Machover, **The Black Dwarf, op. cit.**

المقام (على حد قولها) بأي معنى اخلاقي او قدحي وانما بالمعنى التقني فقط . كما ان المنظمة لا تقول بان الارهاب غير مشروع في كل الحالات . ولكنها تتساءل عن النتائج التي يمكن ان يحققها هذا النوع من الارهاب في مثل الظروف المذكورة وبالنسبة لحركة تحرير هدفها شن حرب عصابات ناجحة ، اذ لا يمكن اسقاط الصهيونية في تل ابيب وحيفا (اي في اسرائيل كما كانت قبل حرب ١٩٦٧) عن طريق الاعمال الارهابية بالمعنى الذي حددناه أعلاه . بعبارة اخرى، تقول المنظمة ان استخدام الكفاح المسلح هو جزء من الكفاح العام لاسقاط الانظمة القمعية بما فيها النظام الصهيوني في اسرائيل واسقاط الامبريالية في الشرق الاوسط . ولكن لا يمكن تحقيق أي من هذه الاهداف اذا بقي الكفاح ضمن الاطار الفلسطيني المحض .

أما بالنسبة للافكار والشعارات المطروحة حول الحل الثوري للنزاع العربي الاسرائيلي فتوجه المنظمة نقدا للشعار الداعي الى « دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية المستقلة التي يتمتع كافة سكانها من مسلمين ويهود ومسيحيين بحقوق متساوية ، بغض النظر عن ديانتهم » باعتباره يعني خلق دولة جديدة مؤلفة من تجمعات دينية لا تمايز قومي فيها . لكن القائلين بهذا الشعار انفسهم واعون استحالة فصل الفلسطينيين عن الامة العربية ، لذلك يعودون ليضيفوا ان « فلسطين هي جزء من الوطن العربي » . تعتبر المنظمة ان العجز الاساسي في هذا الشعار يكمن في قفزه الكلي عن المسألة القومية بشكل عام والواقع الاسرائيلي بشكل خاص . لا شك ان اليهود المقيمين في اسرائيل جاءوا للاستيطان تحت تاثير الصهيونية وبقيادتها ، وانهم اضطهدوا الشعب الفلسطيني وما زالوا يضطهدونه . الا انه من المستحيل حذف حقيقة تاريخية اخرى وهي ان هذه المجموعة اصبحت الى حد كبير تشكل كيانا قوميا (مختلفا عن بقية

يهود العالم من جهة ، وعن الفلسطينيين العرب من جهة اخرى) له لغته الخاصة وحياته الاقتصادية والثقافية المميزة . أي ان الشعب الذي يتكلم العبرية في المنطقة ليس مجرد جماعة دينية وانه لمن السذاجة الاعتقاد بان مثل هذه القضايا المعقدة تنحل بمجرد اعتبار الاسرائيليين جماعة تعتنق دينا معينا ليس الا . تؤكد المنظمة ان اي حل واقعي وتاريخي للنزاع لا يريد ان يغرق في الاوهام عليه ان يأخذ بعين الجد حقيقة معينة وهي ان الشعب الاسرائيلي يتصف بالخصائص المشتركة للقومية وروابطها . أو بعبارة أدق يشكل الاسرائيليون قومية في طور التكوين ، كما ان العرب يشكلون ايضا قومية في طور التكوين ، ولم تكتمل العملية لديهم بعد ايضا . ومما لا شك فيه انه مع استمرار الكفاح والصراع في الشرق الاوسط سوف تنضج عمليات التكوين هذه اكثر فاكثر .

مرة اخرى تؤكد المنظمة انه لا يمكن حل القضية ضمن الاطار الفلسطيني الضيق . فلو قامت دولة ديمقراطية بسيطة في فلسطين (على الطريقة الغربية : لكل مواطن صوت واحد) ستضم هذه الدولة اكثرية يهودية ولن يمنعها شيء من ان تكون مثل اسرائيل الحالية ، ولكن ممتدة على مساحة اوسع ومحتوية على اقلية عربية اكبر . ولو قامت دولة ثنائية القومية بالمعنى المعروف ستكون مخلوقا « مصطنعا » يفصل عرب فلسطين عن العالم العربي ككل وعن العملية الثورية الجارية فيه . كما انه لا توجد اية ضمانات داخلية في بنية الدولة ثنائية القومية تمنع احدى القوميتين من السيطرة على الاخرى . بعبارة اخرى ، تستنتج المنظمة من كل ذلك ان هذه الحلول المقترحة تبقى حبيسة الواقع الراهن للشرق الاوسط ، ولا تشترط ثورة اجتماعية شاملة لتحقيقها مما ينزع عنها صفة الثورية بالمعنى الاعمق والادق للعبارة . لان النظرة الثورية الجذرية تتطلع الى

الوضع الذي سيكون قائما في المنطقة بعد احراز القوى الاجتماعية الثورية في العالم العربي انتصارات هامة وبعد انهزام الصهيونية والامبريالية في المنطقة وعندئذ لن تكون هناك قضية فلسطينية منعزلة ، بل مسألة وجود اقليات قومية كثيرة في العالم العربي (اكراد ، يهود اسرائيليون ، سودانيون جنوبيون) وهي مسألة تتطلب حلا ثوريا على اساس مبدأ اعطاء حق تقرير المصير للاقليات القومية وضمان حقوقها الوطنية الاساسية .

لا بد من الاشارة السريعة هنا الى رفض المنظمة التام للاقتراحات القائلة بانشاء دولة عربية فلسطينية مؤلفة من الضفة الغربية وقطاع غزة تكون تحت حماية اسرائيل لان ذلك يعني في الواقع ضم هذه الاقاليم لاسرائيل دون ان يكون لسكانها حتى حقوق المواطن في اسرائيل . ترى المنظمة ان « محمية » فلسطينية من هذا النوع ستكون شبيهة « بالبانتوستان » التي تريد حكومة جنوبي افريقيا اقامتها للشعب الافريقي هناك . وواضح ان عرب فلسطين لن يرضخوا لمثل هذا المصير السياسي . كذلك تشير المنظمة الى نسخة اخرى من هذا المشروع خدعت بعض اوساط يمكن اعتبارها بوجه عام تقدمية . يقول هذا الاقتراح بمنح « حق تقرير المصير » لعرب فلسطين ليقيموا دولة « مستقلة » في الضفة الغربية وقطاع غزة . وتحذر المنظمة من هذا المشروع لان مفاهيم « تقرير المصير » و « حرية الاختيار » ليست الا خداعا وزيفا في الظروف القائمة في الشرق الاوسط وضمن اطار توازن القوى الراهن .

دعت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية منذ عام ١٩٦٦ الى منح الشعب الفلسطيني حق تقرير مصيره بنفسه وعملت على هذا الاساس . في الواقع كانت هذه القضية من العوامل الهامة التي ادت الى انفصال المنظمة عن افنيري ومجموعته . بالاضافة الى ذلك تعتبر المنظمة ان التنفيذ الصحيح لمضمون

الشعار لا يعني خلق دولة فلسطينية منفصلة او دمج الشعب الفلسطيني في المجتمع العربي على اساس الوضع الراهن وتوازن قواه ، بل يعني قيام دولة اتحادية اشتراكية في الشرق الاوسط . في الواقع هذا هو الاطار الذي تنظر من خلاله المنظمة الى مستقبل الشعب الاسرائيلي نفسه . بعبارة اخرى ، تؤيد المنظمة حق تقرير المصير لعرب فلسطين ولا تحفظ لديها حول هذا الموضوع على الاطلاق .

اما بالنسبة لما تعنيه المنظمة بحق تقرير المصير «للشعب الاسرائيلي» فان نقطة البدء في تفكيرها هي انها لا ترى أي حل تاريخي ممكن للقضية الفلسطينية الا من خلال قيام جمهورية اشتراكية في الشرق الاوسط تضم بالضرورة تقسيمات داخلية وفرعية ، لاسباب عديدة منها وجود اقليات قومية غير عربية في الشرق الاوسط . وتقول المنظمة انه حتى لو لم تكن هذه الاقليات موجودة ستضم الدولة المذكورة بالضرورة تقسيمات داخلية تتناسب مع السمات الخاصة لاجزاء الامة العربية وتأخذ تنوعها بعين الاعتبار . ولا شك ان الفلسطينيين هم مجموعة معينة داخل الامة العربية . لكن بالاضافة الى ذلك توجد القوميات غير العربية التي تعتقد المنظمة بانه يجب ان تكون جزءا من هذه الجمهورية الاشتراكية التي ستكون عربية بمعنى ان الاكثرية الساحقة من سكانها هم من العرب . ان الفكرة التي حملتها المنظمة ولا تزال تحملها تتلخص بالقول ان الحل الصحيح للقضية الفلسطينية هو الاقرار بوجود عنصر يتكلم العبرية داخل هذه الجمهورية الاشتراكية الموحدة في الشرق الاوسط . ويفترض هذا الحل منذ البداية اسقاط الصهيونية على النحو الذي تم شرحه فيما سلف . لذلك تؤكد المنظمة ان الكلام عن حق تقرير المصير لليهود الاسرائيليين لا يشكل مطلبا آنيا ولا معنى له في الوقت الحاضر وفي ظل الظروف القائمة . مع ذلك ينبغي اثارة الموضوع على المدى البعيد

وكجزء من تخطيط عمل المنظمة السياسي للمستقبل لان اثارة قضية حق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي هي وسيلة اخرى لطرح السؤال التالي والحصول على جواب واضح له : هل المراد هو الوصول الى وضع يصبح فيه الشعب الاسرائيلي مضطهدا بدلا من ان يكون مضطهدا بعد سقوط الصهيونية وانتصار العرب عليها ؟ اي ان نطرح قضية حق تقرير المصير هنا هي وسيلة لاستخلاص الجواب الثوري السليم على هذا السؤال . في الواقع يمكن طرح المسألة بصيغة لا تأتي على ذكر حق تقرير المصير ابدا وذلك على النحو التالي : اولا ، هل نعترف بان الشعب الاسرائيلي يتمتع بكيان قومي بدلا من النظر اليه كجماعة دينية ؟ ثانيا ، اذا اقررنا ايجابا بمضمون السؤال الاول هل المراد هو تحويل الشعب الاسرائيلي في المستقبل الى قومية مضطهدة؟ اذا قلنا باننا سوف نمنع عن هذه القومية حقها في تقرير المصير في المستقبل نكون كمن يقول باننا سنجعل منها قومية مضطهدة . ولا تخفي المنظمة ان « اليسار » الصهيوني يستخدم فكرة حق تقرير المصير كي يبرر وجود دولةاسرائيل على حالها . يقول هؤلاء ان الموافقة على مبدأ حق تقرير المصير يعني الموافقة على دولة اسرائيل كما كانت قبل حرب ١٩٦٧ لان الشعب الاسرائيلي اختار دولته ومصيره على هذا الاساس وعلى تلك الصورة . وتؤكد المنظمة انها بعيدة كل البعد عن هذه المواقف لما فيها من تشويه واضح لمبدأ حق تقرير المصير . لذلك تؤكد المنظمة انه لا معنى لمبدأ تقرير المصيربالنسبة للشعب الاسرائيلي قبل نشوء وضع ثوري في المنطقة كلها قادر على اسقاط الصهيونية ومن ثم حل القضية الفلسطينية على أساس الاعتراف بان الاسرائيليين يشكلون مجموعة قومية وليس مجرد جماعة دينية .

معروفان مبدأ حق تقرير المصير كما عرفته الماركسية اللينينية يعني حق الانفصال لذلك وجدت المنظمة نفسها

امام مناسبة لايضاح موقفها من هذه المسالة المهمة بعد ايضاحها لما تعنيه تماما بمطلب « حق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي » . تقول المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية انها لا تفهم حق تقرير المصير على اساس الدعوة الى فكرة الوجود المنفصل او الدولة المنفصلة للشعب الاسرائيلي .

كما انها لا تؤيد ايا من هذه الاتجاهات الانفصالية بل على العكس من ذلك ، تعتقد المنظمة انه ينبغي على الاسرائيليين الاندماج في جمهورية اشتراكية كبيرة في الشرق الاوسط . وقد توصلت المنظمة الى هذا الاستنتاج عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ وقبل اندلاع الحرب الاخيرة . وتضيف المنظمة الى ذلك ان تحقيق هذا الحل لا يمكن ان ياتي عن طريق فرضه بالقوة او بالقسر على الشعب الاسرائيلي ، بل ياتي عن طريق دعوته للمشاركة فيه طوعيا وللمشاركة في بناء الاشتراكية في المنطقة مع الطبقات العربية صاحبة المصلحة الجذرية في بناء الاشتراكية . ان الوسيلة السليمة لتحقيق هذه الاهداف ليست فرضها بالقوة على الشعب الاسرائيلي . ومع ان المنظمة تعتقد ان اسقاط الصهيونية هو واجب ضروري على القوى الثورية في المنطقة وهذا يعني استخدام العنف ضدها بطبيعة الحال ، ولكنها لا تعتقد ان دمج الشعب الاسرائيلي في الجمهورية الاشتراكية للشرق الاوسط يجب ان يتم عن طريق فرضه بعنف مماثل . لو كانت الظروف الثورية افضل في المنطقة لما اضطرت المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية لمناقشة هذا الموضوع بل لاكتفت بنشر الدعاية والتثقيف في صفوف الجماهير الاسرائيلية لصالح الاندماج في العالم العربي على النحو المذكور اعلاه . ولكن العامل الذي يضطرها ، على حد قولها ، لفتح هذا الموضوع ومناقشته هو ان قطاعات واسعة جدا من حركة الثورة العربية غير واعية لهذه المسالة وابعادها ، بالاضافة الى ان جزءا هاما من الحركة الفلسطينية نفسها يشعر انه لا يوجد ثمة شيء

اسمه الكيان القومي العبراني مثلا او ان الاسرائيليين لا يشكلون أي تجمع قومي على الاطلاق بل هم مجرد تجمع ديني . وتعتقد المنظمة ان هذا التقدير خاطىء تماما وكل ثوري يعمل على اساس مثل هذه التقديرات الخاطئة سيصدمه الواقع وحقائقه في يوم من الايام . ان قضية الشعب الاسرائيلي هي مسألة قومية ايضا . وبما ان الوعي لهذه الحقيقة مفقود أو ضعيف جدا في الاوساط الثورية العربية تجد المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية نفسها مضطرة للتشديد عليها في مخاطبتها للرفاق الثوريين في العالم العربي ولفت انتباههم الى وجود مشكلة عليهم أن يفكروا بها . أي ان يطرحوا على انفسهم التساؤل انه لو افترضنا ان الصهيونية قد سقطت ماذا سيحدث للشعب الاسرائيلي؟ الجواب الثوري الصحيح في راي المنظمة هو ان يكون الشعب الاسرائيلي جزءا من العالم العربي على النحو المذكور وان يقبل الشعب العربي بهذا الاندماج ويطالب به بدون ممارسة اي ارغام أو قسر على الاسرائيليين . أي تصل الى هذا الوضع عن طريق الكفاح المشترك في سبيل الثورة الاشتراكية في المنطقة كلها .

بما ان حق تقرير المصير يعني ، من ضمن ما يعنيه ، حق الانفصال وليس الاندماج فقط تقول المنظمة بان استخدام العنف كوسيلة لاسقاط الصهيونية مشروع ومبرر تماما ولكن استخدامه لفرض اي حل ، حتى لو كان الحل الصحيح ، على الشعب الاسرائيلي ، بعد اسقاط الصهيونية هو غير مبرر بالتاكيد . ويضرب المسؤولون في المنظمة المثال التالي لايضاح موقفهم : لو افترضنا الان ان تبدلا جذريا طرأ على ميزان القوى في الشرق الاوسط واصيبت اسرائيل بهزيمة عسكرية وبازمة داخلية طاحنة جاءت بحكام جدد قاموا بتنفيذ ما يلي : الغاء الطابع الصهيوني للدولة ، الغاء كافة القوانين الصهيونية بما فيها قانون

العودة ، التوقف عن كل دعاية او عمل من شانه ان يشجع على هجرة اليهود ، رفع كل اضطهاد لاحق بالعرب ، اعادة كافة اللاجئين الذين يريدون العودة والتعويض على الذين لا يريدون العودة ، التنازل عن كافة الاراضي التي يشكل العرب فيها اكثرية السكان اذا اختاروا الانفصال وتنفيذ سياسة معادية للامبريالية بالتحالف مع القوى التقدمية في العالم العربي . كل ذلك ولكن مع الاصرار على المحافظة على سيادة منفصلة لدولة اسرائيل . هل تعتبر المنظمة هذا الوضع حلا مرضيا ؟ جواب المنظمة هو بالنفي . انها ضد مثل هذا الحل وستشترك في كل نضال سياسي لكسب الجماهير الاسرائيلية لصالح فكرة التنازل الطوعي عن السيادة المنفصلة . ولكنها ستكافح بقوة ايضا ضد اية محاولة لفرض ذلك على الجماهير الاسرائيلية بالقوة والقسر الخارجي . تفسر المنظمة وجهة نظرها بقولها ان كتابات لينين حول المسألة القومية تقر بوجود خط مختلف للدعاية الثورية في صفوف الاقلية وخط اخر للعمل في صفوف الاكثرية . عندما يقوم الانسان بالعمل السياسي ضمن صفوف الاكثرية عليه أن يشدد على الناحية الطوعية في الاندماج ، اي على الاعتراف بحق الاقلية في الاختيار . عندما يعمل داخل صفوف الاقلية عليه ان يشدد ، في كثير من الحالات وان لم يكن في مجموعها ، على قضية الاندماج. طبعا لا يوجد اي تناقض بين هذين الخطين . انه بكل بساطة الفارق في اسلوب الدعاية بين الجماهير الاسرائيلية والجماهير العربية . اسرائيليا ينبغي على الثوري ان يشدد في عمله وتثقيفه على مسألة الدمج الذي يفترض انه سيأتي طوعا وليس قسرا وارغاما . عربيا يكون التشديد على فكرة منح حرية الاختيار للاقلية القومية المعنية . لذلك تعتقد المنظمة أن الاساس الوحيد للاندماج هو التاكيد على امكانية الاختيار الحر من حيث المبدأ ، علما بان مبدأ حق تقرير المصير لا يعني دوما وبالضرورة الانفصال لان نتائجه على

ارض الواقع وفي المستقبل تعتمد الى حد كبير على طبيعة العمل السياسي الذي تقوم به منذ الان . اي ان وظيفة المنظمة في العمل بين الجماهير الاسرائيلية لا تتطلب منها التشديد على مسألة حق تقرير المصير . ان دورها الاساسي هو التشديد على الرغبة في الاندماج في العالم العربي على النحو المذكور . هنا تضرب المنظمه الاشتراكية الاسرائيلية مثلا اخر بالموقف الذي حدده الحكم الوطني الجديد في السودان من قضية جنوب السودان ونزعته الانفصالية . واضح ان النظام الوطني لا يريد انفصال الجنوب ويبدو انه يدرك ايضا ان الوسيلة السليمة الوحيدة لمنع ذلك من الحدوث هي دعوة سكان الجنوب الى الانضمام طوعيا الى بقية البلاد وعلى اساس الاختيار الحر . اي قال النظام السوداني للجنوبيين نحن نعترف بكيانكم الخاص وندعوكم للاشتراك في الكفاح معنا . (٤٢) تعتقد المنظمة ان هذا هو الموقف السليم تجاه قضية الاقلية القومية الاسرائيلية وهذا ما تعنيه بكلامها عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي . أي ينبغي ان تتم عملية الدمج عن طريق دعوة عربية توجه للشعب الاسرائيلي للمشاركة في دولة اشتراكية واسعة وليس عن طريق الارغام .ويبدو للمنظمة أنالانموذج السوداني يشكل ، من حيث المبدا ، مثلا يحتذى من حيث بناء سياسة معينة على اساس هذه الدعوة الحرة الموجهة لسكان الجنوب والعمل على انجاحها .

مع انتهائي من ايضاح وجهة نظر المنظمة حول قضية تقرير المصير للاقليات القومية في المجتمع الاشتراكي اعتقد انني استكملت عرض مواقف المنظمة من القضايا الرئيسية المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي او من تلك القضايا التي

(٤٢) يقول قطب في ماتسبن ان مدى جدية النظام السوداني في تحويل هذا الكلام الى سياسة عملية هو موضوع اخر لا نخوض فيه هنا .

اعلنت المنظمة رايا او تحليلا أو موقفا بصددها . ويبدو لي ان الاوساط الثورية العربية عامة والفلسطينية بالتخصيص ستجد امورا تتفق فيها مع ما تقوله المنظمة وتطرحه مما جاء ذكره معنا . كذلك لا شك انه سيكون لاكثر من مفكر اشتراكي ثوري عربي ولاكثر من فصيل داخل القوة الاشتراكية الثورية العربية تحفظات وملاحظات وانتقادات على ما تطرحه المنظمة وتنادي به . ولكن لا بد من مناقشة جدية لكافة هذه القضايا ومن انجاز حد معقول من الوضوح المسبق قبل تحديد موقف نظري وسياسة عملية سليمة (من وجهة نظر ثورية طبعا) ازاء ظواهر معينة داخل المجتمع الاسرائيلي مثل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية وما قد يظهر من قوى وتنظيمات مشابهة في اسرائيل . اخيرا اذكر من جديد بان ما عرضته في هذا الكتاب لا يتعدى المعلومات التي تمكنت من الحصول عليها عن المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ومن مصادر المنظمة نفسها في اغلبية الاحيان . وليس باستطاعتي ضمن الحدود المفروضة ولاسباب متعددة ان اقدم رايا مدروسا حول مدى فاعلية المنظمة في تنفيذ مواقفها ووجهات نظرها وحول مدى نجاحها العملي في تحويل المبادىء التي تنادي بها الى حيز التطبيق الفعلي . مع ذلك تبقى المنظمة ظاهرة جديرة بالدراسة والاهتمام .

ملاحق

يجد القارىء فيما يلي وثائق تتعلق ببعض التطورات التي طرأت على المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية مؤخرا من الناحية التنظيمية :

١ ـ البيان الذي اصدره « الاتحاد الشيوعي الثوري » في نشرته « نضال » ليوضح اسباب انفصاله عن المنظمة .

٢ ـ البرنامج السياسي الذي طرحه « الاتحاد الشيوعي الثوري » مع عملية الانفصال .

٣ ـ مقالة كتبها أحد اعضاء « الاتحاد الشيوعي الثوري » قبل وقوع الانفصال بفترة قصيرة وعنوانها « الجراة على النضال » *

٤ ـ رد المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية على الاتحاد الشيوعي الثوري تحت عنوان « حوار مع المنشقين » بقلم عوديد فلبسكي .

٥ ـ مقال بعنوان « حول الديمقراطية المركزية » بقلم موشيه ماخوفر ، وهو من الاعضاء القياديين والمؤسسين للمنظمة ، يرد فيه بصورة غير مباشرة على النقد الموجه للاوضاع التنظيمية في المنظمة .

٦ ـ رد المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية على اللامبارتيين المنشقين عنها .

---

* نقلت نص المواد الثلاث الاولى المذكورة اعلاه ، اي البيان والبرنامج والمقالة ، حرفيا دون اجراء اي تعديل (المؤلفة) .

العدد الاول من نشرة « نضال » التي يصدرها

الاتحاد الشيوعي الثوري في اسرائيل

« نضال » هي نشرة « الاتحاد الشيوعي الثوري » الذي يضم مجموعة من الثوريين اليهود والعرب في اسرائيل. لقد اخذت هذه المجموعة على عاتقها مهمة نشر قضية النضال بين سكان بلاد اسرائيل — فلسطين ضد الاستعمار ومن اجل الثورة الاشتراكية في الشرق العربي .

لقد اسست « الاتحاد الشيوعي الثوري » جماعة من الاعضاء السابقين في « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » (ماتسبن) الذين تركوا صفوف المنظمة وانضم اليهم عدد من الثوريين الذين لم يكونوا منظمين حتى الانفصال .

ان هذه النشرة هي الاولى من « نضال » وهي تلقي الضوء على خلفية الانفصال وتعرض البرنامج السياسي ليكون قاعدة لعملنا .

من اجل آفاق جديدة

منذ حرب حزيران ١٩٦٧ والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) اكثر المنظمات نضالا ضد الاحتلال بشكل خاص وضد الصهيونية بشكل عام . حتى قبل الحرب كانت المنظمة الاشتراكية القوة السياسية الوحيدة التي اخذت على عاتقها القيام بتحليل جذري للحركة الصهيونية ، والاشارة على ان الوحدة الاشتراكية للشرق العربي هي البديل الوحيد لجماهير المنطقة ، ومن ضمنها

الجماهير اليهودية . لقد كانت ماتسبن هي التي اشارت الى الدور الذي تقوم به نقابةالعمالفياسرائيل(الهستدروت) كأداة في خدمة الصهيونية ، وهي التي نادت بتاسيس تنظيم عمالي منفصل عن الهستدروت . ان ماتسبن هي الصحيفة الوحيدة في اسرائيل التي نشرت من على صفحاتها مواقف الثوريين الفلسطينيين وناقشتها ، كذلك فان المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية احد العناصر الفعالة في مجال النضال الديمقراطي ضد انظمة الطوارىء لعام ١٩٤٥ ، وضد الاعتقالات الادارية في مجالات نضال اخرى .

بالرغم من ذلك ، وبوعي واضح المسؤولية الثقيلة التي تقع علينا من جراء هذه الخطوة ، فقد قررنا — نحن مجموعة صغيرة من الرفاق — ان ننسحب من صفوف المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية .

ان ثمة سببين رئيسيين لاتخاذنا هذا القرار :

١ — انعدام برنامج سياسي .

٢ — انعدام تخطيط استراتيجية سياسية وعدم وجود اطار تنظيمي يناسب استراتيجية كهذه .

لقد غدت « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » ، بكونها المعارضة الفعالة الوحيدة للصهيونية (باستثناء الحزب الشيوعي — راكاح — الذي لاعتبارات سياسية ايديولوجية لا يشكل نقطة جاذبية) فندقا يحتوي تآلفا من الاشخاص ذوي الهويات السياسية المتنوعة ، والقاسم المشترك لهم هي معارضتهم للنظام . كذلك كانت المنظمة مكان لقاء للماركسيين — اللينيين من مختلف الاتجاهات ،للماركسيين من معارضي اللينينية ، ولمناوئي الراسمالية والاستعمار الذين يتطلعون على الماركسيةكنظرية قديمةولمسالمين وجدوا في المنظمة تعبيرا سياسيا لمعارضتهم للحرب وللشباب الراديكالي من مناوئي النظام الذين رأوا في المنظمة الاشتراكية

وسيلة للتعبير عن تجاوبهم مع موجة « اليسار الجديد » الغربية .

لقد كان بالامكان القيام بعمل سياسي مشترك ، الى حد معين ، باشتراك عناصر سياسية متنوعة بهذا الشكل، من جراء الظروف السياسية في اسرائيل فقط ــ ونعني بهذه الظروف تفشي الفاشية في خطى حثيثة في المجال الداخلي ، وتشديد غير منقطع في اضطهاد المواطنين العرب داخل اسرائيل والعرب في المناطق المحتلة . ولكن عدم توفر هوية سياسية محددة كان احد العوامل الاساسية التي ادت الى انعدام خط سياسي متبلور وموحد ــ خط هو بمفرده يمكن ان يشكل قاعدة للعمل الثوري ذي معنى . وحقا ، ففي الوقت الذي تتعالى اصداء نشاط « ماتسبن » خلال السنة الاخيرة في ارجاء اوروبا ،في اميركا وبين الحركة الفلسطينية فان الشلل الداخلي في « ماتسبن » في البلاد في الحقيقة ، يزداد خلال الاشهر الاخيرة .

ان امتناع « ماتسبن » عن اتخاذ خط سياسي موحد يعود أيضا الى الحرص على المحافظة على اطار التنظيم الواسع وعلى التجمع الداخلي . وقد اعتمد هذا الحرص على الرغبة في المحافظة ــ في جميع مراحل النضال ــ على مستوى من النشاط لا يقل عن مستوى المرحلة السابقة ، وعلى التصور بان فعالية منقطعة ــ ايا كانت والمحافظة على « الشهرة » العالمية هي افضل الوسائل الى التوصل الى الهدف ــ محاربة الصهيونية . ذلك أدى ب « ماتسبن » الى اتخاذ وجهة ذرائعية في عملها . ومع انعدام عمل متواصل بين الطبقة العاملة (البروليتارية)اليهوديةوالعربية على السواء (وهو تلكؤ طبيعي نتيجة لعدم توفر استراتيجية سياسية بعيدة المدى ، وانعدام برنامج عمل ، وعدم الرغبة في التوجه الى القيام بعمل هادىء وجذري تجنى ثماره بعد أمد طويل) ، بادرت « ماتسبن » باتخاذ المبادرة بالتزام تام

فقط ، للاحداث السياسية اليومية . حينما تولدت نتيجة للظروف الموضوعية النضالات العمالية في اسرائيل في عام ٦٨ ــ ١٩٦٩ ، توجهت « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » الى القيام بالدعاية بين العمال اليهود ، وحينما بدأت تظهر بوادر « تمرد الشباب » بعد عامين ونصف بعد حرب حزيران ١٩٦٧ (والحق يقال ان تلك البوادر قد ظهرت نتيجة للتوجيه السياسي التي قامت به « ماتسبن ») ركزت المنظمة جميع نشاطها بين فئات الشبيبة والطلاب . ولكنها عندما اخمد نضال العمال « وخف » تمرد الشبيبة ــ سكتت « ماتسبن » كذلك .

ان انعدام تحديد الخط السياسي والفروق الاساسية حول ماهية التنظيم الحزبي ، بين اعضاء المنظمة ، اثرت بشكل سلبي على اسلوب عمل المنظمة . فالحالة النفسية ، او النشاط الفجائي والتكاسل هي الامور التي حددت مقاييس العمل اكثر من اي شيء اخر . ومن جراء انعدام الإنضباط التنظيمي المطلق ، أدى عدم الانضباط التنظيمي الى هبوط حاد في نجاعة عمل المنظمة ، الذي بالرغم من دستورها المركزي الديمقراطي ، كان قائما على العفوية وعلى « الحرية » في عدم التمشي وفق قرارات الاغلبية ، اكثر من قيامه على مركزية ــ ديمقراطية إيا كانت . في الوقت ذاته اخذ ثقل المواقف ــ في نفس الوقت داخل المنظمة ــ التي (المواقف) تتنكر لدور الحزب الثوري كقائد وموجه لنضال الجماهير ، والتي ترفض ديكتاتورية البروليتارية كاداة في صراع الطبقات بعد إنتصار الثورة ، والمواقف المتجاهلة لدور « الدولة الاشتراكية » كمنطقة محررة وكقاعدة للنضال الثوري ، حتى الاطاحة بالاستعمار والرأسمالية ، والتي تبالغ في تقدير اهمية التمرد ضد التنكر (هنا في قلب الشرق العربي « المتخلف ») كقوة فعالة ، ومواقف تعلق أهمية زائدة المناهض للنظام .

باستثناء وثائق نظرية معدودة فان دعاية « ماتسبن » مصابة ــ وبشكل اساسي في البلاد ــ بضباب جذري للنزاع العربي الاسرائيلي . وبالرغم من شعارات شجاعة وصحيحة والتي تتعلق « بالشوفينية الصهيونية » « وبالشوفينية العربية » فان ماتسبن يميل للتقليل من الصيغة الكولونيالية الواضحة في هذا النزاع والتشديد على النواحي القومية . ولهذا السبب فانه (ماتسبن) لا يحارب من اجل كسر الاحتكار الصهيوني للارض ويتمسك بموقف ثنائي المعنى بالنسبة لحقوق اليهود القومية في بلاد اسرائيل ــ فلسطين وبالنسبة لمعنى مبدأ تقرير المصير . هذا هو السبب لرؤياه أن دولة اسرائيل هي جهاز اضطهاد رأسمالي فقط، والذي تقضي عليه الثورة كما هي الحال في بقية الدول وليس كاداة اضطهاد كولونيالية (بالاضافة الى صفته الرأسمالية) والتي تكون لهذا السبب ، العدو التكتيكي الاساسي في نضال الثوريين في اسرائيل .

ولذلك ففي « ماتسبن » تنبت اوهام ديمقراطية حول القضاء والصحافة الصهيونية ، وحيث يتوجه اليها احيانا عندما يتنكر النظام الصهيوني « لمبادئه الديمقراطية ». اننا نود ان نؤكد ان لسنا مستهترين في عمل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) في الداخل والخارج والتي كان لها دور في كشف ماهية النظام والحركة الصهيونية وفي جذب الشبيبة اليهودية في اوروبا واميركا الى اليسار وفي زعزعة مكانة الصهيونية السياسية والاخلاقية في انحاء العالم بتشجيع « تمرد الشبيبة » داخل اسرائيل والمساهمة في الحوار الثوري في المنطقة .

ولكن ، وبما اننا لا نرى اي احتمال لنجاح مواصلة النضال داخل المنظمة في تبني « ماتسبن » نظرة تنظيمية صحيحة من اجل رسم استراتيجية سياسية على اساس برنامج مشترك محدد وواحد يقبل به معظم اعضاء المنظمة،

وبما اننا نرى بان المبادىء الايديولوجيـة والتنظيمية فـي « ماتسبن » سوف تشله نهائيا كأداة في الحرب الطبقية في المنطقة قررنا ـ على اساس البرنامج السياسي التالي ـ ان ننسحب من بين صفوف المنظمة الاشتراكية ، وان ننظـم تحت الاسم : « الاتحاد الشيوعي الثوري » لكي نحقـق اهدافنا السياسية .

١٩٧٠/٩/٢٩

الاتحاد الشيوعي الثوري

برنامج سياسي

١ ــ ان موقفنا الاساسي يرتكز على الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية . هذا التوجه ليس قضية خلقية ووعي ثوريين فقط ، بل هو شرط لانتصار الثورة الاشتراكية ، حتى لو كانت في نطاق قومي او منطقي ضيق ايا كان . هذا التوجه مبني على :

٢ ــ اعتبار ثورة اكتوبر كنقطة انطلاق للثورة الاشتراكية العالمية .

٣ ــ اعتبار الثورة الصينية كاستمرار مباشر لثورة اكتوبر وكخطوة مهمة في طريق الثورة العالمية .

٤ ــ التماثل * مع الشعب الفيتنامي ، الشعب الكوري والشعب الفلسطيني ومع كل الشعوب التي مقاومتها البطلة للاستعمار لن تؤدي بها الى الطريق الثوري والى المشاركة في صراع الطبقات العالمي فحسب بل هي في حد ذاتها تشكل منبعا ثمينا للتجارب والدروس ، لكل الثوريين في كل مكان .

٥ ــ التضامن مع الجماهير المضطهدة في كل مكان ضد كل اسيادهم ، سواء كان هؤلاء اقطاعيين او بورجوازيين او بيروقراطيين ، وطنيين أو غرباء ، وسواء كانت سلطتهم

---

* اي التعاطف (المؤلفة) .

تعمل باسم الاله ، الامة ، الحرية او اي نوع خاص من الاشتراكية . التضامن مع جماهير الشغيلة المستغلين في كل مكان في نضالهم ضد الراسمالية .

٦ ــ ان التماثل الفعال مع الثوار في كل مكان معناه توحيد القوى على اساس ديمقراطي لجميع العناصر التي تناضل حاليا في سبيل نفس الاهداف ، هذا يعني : وحدة القوى على مستوى المنطقة في اطار استراتيجية عامة ،هدفها عزل الاستعمار وبلورة جبهة ثورية عالمية .

٧ ــ مساندة البروليتارية والشباب الثوري في البلاد الراسمالية في نضالهم ضد الراسمالية ، العنصرية والامبريالية وايضا ضد القوى التنقيحية الاصلاحية والمتعاونين مع العدو الطبقي .

٨ ــ الاشتراك في الجدال الثوري العالمي كمساهمة في النضال من اجل ديمقراطية اشتراكية عالمية .

٩ ــ نحن الثوريين اليهود والعرب ، سكان دولة اسرائيل المزودين بهذا التوجه الاممي نرى في السلطة الصهيونية ــ التي تؤمن استمرار النظام الاجتماعي القائم حاليا في المجال السياسي الذي نعمل فيه ــ عدونا التكتيكي الاساسي .

١٠ ــ بما أن المشروع الصهيوني هو جهاز القسم الاكبر من جذوره مفروز خارج هذه المنطقة ، لذلك يقع جزء من النضال ضده على عاتق الثوريين الموجودين في تلك البلاد التي توجد للصهيونية جذور بها .

١١ ــ ان دولة اسرائيل ــ الموجودة في طور من النمو والتوسع ، بكل مؤسساتها السياسية والعسكرية ومنظماتها المهنية ــ ما هي الا تعبير أو تجسيد لتحقيق الصهيونية .

١٢ ــ ان دولة اسرائيل هي نتاج عملية استيطانية

نفذت بمؤازرة ومساعدة الاستعمار العالمي وعلى حساب الشعب العربي . هذه العملية ـ التي استندت على قوانين عنصرية لمصادرة الاراضي ، وعلى الهجرة اليهودية بموجب «قانون العودة» والاستيطان على حساب السكان الفلسطينيين ـ هي التي تقرر الطابع الكولونيالي لجوهر كيان الدولة الصهيونية ، من هذا تتحتم ضرورة الاعتراف بحقيقة عدم كون اسرائيل مجتمعا تشكل به التناقضات الطبقية الداخلية ارضية لثورة اشتراكية اسرائيلية مستقلة ، معزولة عن المجرى الثوري الشامل في المنطقة .

١٣ ـ ان المجتمع الاسرائيلي ، بالرغم من طابعه الاستيطاني واقتصاده الاصطناعي الفاشل الذي يعيش على الدعم الخارجي ، هو مجتمع طبقي مندمج في السوق الراسمالي العالمي ، حيث تقاسي اوساطا واسعة من الشغيلة ، مثل أي مجتمع رأسمالي اخر ، من استغلال اقتصادي واجتماعي . هذا التناقض الاجتماعي هو الذي يشكل الارضية ذات الطاقة الكافية لعزل هذه الطبقات عن المشروع الصهيوني الموالي للاستعمار .

١٤ ـ ان العائق او العقبة الاساسية التي تحول دون هذا العزل هي قوة الايديولوجية الصهيونية التي تعرض نفسها امام الجماهير اليهودية في البلاد والخارج كبديل وحيد للكارثة والملاحقات الابدية . يجب ان نذكر بان الايديولوجية الصهيونية كما هي الان هي التي ستزيد اليأس السياسي للبرجوازية اليهودية الصغيرة الآخذة في الفقر والملاحقة بواسطة الرجعية اللاسامية ، وهكذا تحولت هذه الطبقة الى قوة كولونيالية تخدم الاستعمار الغربي بشكل موضوعي .

١٥ ـ لن تتمكن التناقضات الاجتماعية من ان تلعب دورها التاريخي ، اذا لم يعزل قسم من السكان اليهود عن

الايديولوجية الصهيونية ، وبالتالي سيبقى المستوطنون اليهود قوة مجمعة تشكل جيشا عظيما يقف ضد حركة التحرر العربي وضد الثورة الاشتراكية .

١٦ ــ يصبح هذا العزل ممكنا فقط اذا تحققت الاطوار او المجريات الثلاثة التالية المرتبطة الواحدة بالاخرى :

(أ) تفتيت تدريجي للتفوق العسكري الاسرائيلي .

(ب) تفاقم حدة الازمة الاقتصادية الداخليةفياسرائيل.

(ج) تبلور بديل اممي في اوساط حركة التحرير الفلسطينية وحركة الثورة العربية الى جانب تعميق الوعي المعادي للاستعمار في اوساط الجماهير العمالية اليهودية في اسرائيل .

١٧ ــ في سبيل تحقيق هذا الهدف ، من المهم جدا النضال ضد الاتجاهات والخطوط السياسية الشوفينية الموجودة حتى الان في اوساط حركة التحرر العربي ، وهذه الخطوط السياسية التي تتجاهل وجود شخصية يهودية قومية في ارض اسرائيل ــ فلسطين ومن القضية السياسية النابعة من وجود اقلية قومية وحقوقها . ان الاعتراف الصريح بالحقوق السياسية فقط يؤدي الى خلق القاعدة الموضوعية والذاتية لانضمام جماهير المستغلين في اسرائيل للنضال الثوري المشترك .

١٨ ــ لقد كان الشعب العربي الفلسطيني خلال عشرات السنين الضحية الاساسية لتحالف موضوعي بين الصهيونية والرجعية العربية . ان بعثه المستقل في اعقاب حرب ١٩٦٧ يشكل احدى الظواهر الهامةوالصحية جدا في سبيل التغيير الثوري والقضاء على النظام الاجتماعي السائد في المنطقة .

١٩ ــ ان الحركة الفلسطينية نظرا لوضعها التاريخي

ذاته موجودة في واجهة النضال ليس فقط ضد الصهيونية والرجعية العربية الموالية للاستعمار ، بل ضد القوة والايديولوجية البرجوازية الصغيرة التي تعتبر الاصلاحات القومية التي تقوم بها نوعا من الاشتراكية .

٢٠ ــ ان القضية الفلسطينية يمكن حلها فقط في اطار الثورة الاشتراكية التي لا يمكن ان تحدث بدون وحدة ــ على اساس اممي ــ كل القوى الثورية في المنطقة .

٢١ ــ ان فلسطين وحدة اقليمية ذات طابع ثنائي القومية ، وما التركيز الاقليمي الحالي للسكان اليهود الا نتيجة لحقائق فرضت بالقوة ، فخلقت حقيقة طرد السكان العرب من اراضيهم . ان الفصل اقليميا بين الشعبين على اساس الحقائق التي فرضتها الصهيونية بالقوة ، تتناقض مع كل مبدا ديمقراطي ، بموجبه يحق لكل مواطن ، دون اي تمييز قومي ان يسكن ويعمل في اي مكان يختار .

٢٢ ــ هذه الحقائق تملي استنتاجا ذا معنى واحد :ان البديل الوحيد للحرب القومية بمعنى الحرب بين الشعوب، هو النضال الثوري المشترك للعرب واليهود .

٢٣ ــ ليست الصهيونية والقضية الاسرائيليةالدافعان الوحيدان للثورة في العالم العربي ، بالعكس ، ان القضية الفلسطينية وايضا الصهيونية ، هما من ظواهر السيطرة الاستعمارية على منطقة ذات اهمية اقتصادية واستراتيجية من درجة اولى . هذه المنطقة خاضعة حتى الان لاطارات ايديولوجية وسياسية رجعية ، تشكل الضمان لاستمرار السيطرة الاستعمارية . ولقد برهنت البرجوازية المحلية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالاستعمار وايضا البورجوازية الصغيرة التقدمية ، على عدم قدرتها قيادة حركة التحرر للشعوب العربية . ان فشل الثورة القومية الديمقراطية في الشرق الاوسط يكون الارضية الموضوعية لتحول ثوري

راديكالي في حركة التحرر العربي ، هذا وفي نفس الوقت فان تحول وتطور الحركة العمالية في البلاد العربية يخلق القطاع الذي يقع عليه عبء قيادة هذه العملية .

٢٤ ــ اننا نؤمن على اساس هذا التحليل ــ انه من الممكن بل ويجب تاسيس حكم شعبي ثوري في الشرق العربي وذلك بتحالف العمال والفلاحين والمثقفين بقيادة (الطبقة العاملة) البروليتارية .

٢٥ ــ أن الشرق العربي لا يكون وحدة جغرافية سياسية تامة ومحددة بشكل مطلق . **فالمنطقة مربوطة تاريخيا بالمغرب** ومربوطة ايضا بالعمليات (والتيارات) الاجتماعية المعتمرة في اجزاء غير عربية باسيا الغربية . وهكذا فان الوحدة الاشتراكية في الشرق العربي ، بضمن الاقليات الحرة الموجودة فيه ، لا يمكن ان تقوم الا على اساس كيان الشرق المحرر (من النفوذ الاجنبي) .

٢٦ ــ اننا نعي التناقض القائم بين الحاجة الى تنظيم النضال الثوري على اساس المركزية الصلبة ، وبين التطلع الديمقراطي للامركزية وادارة المواطنين الذاتية لشؤون المجتمع في كل مكان ، غير ان هذا التناقض انما هو ديالكتيكيا وليس تناقضا تناحريا .

٢٧ ــ ان انتصار الاشتراكية مرهون بتأسيس حزب ثوري شامل يقوم على ارشاد الجماهير في كل المنطقة للاستيلاء على السلطة .

٢٨ ــ ان هذا الهدف المرحلي ــ اي اقامة الحزب الثوري المشترك على اساس النضال والتنظيم الثوري ــ هو الذي يوجه شكل هذا التنظيم في هذه المرحلة . اننا ما زلنا معزولين عن الجماهير التي بدونها لا يمكن ان تقوم حركة سياسية ذات معنى تاريخيا .

٢٩ ــ وعليه فاننا نرى الحاجة الماسة **لاقامة جبهة ثورية في اسرائيل** ، جبهة مفتوحة امام كل من يوافق على مبادئها واهدافها الواردة هنا ، والذي يتخذ على نفسه الانضباط لها بحسب مبدا المركزية الديمقراطية .

٣٠ ــ ان هدف الجبهة على المدى البعيد هو **تحضير وتنظيم وادارة الصراع ضد الحكم الصهيوني** على ضوء الاممية البروليتارية ــ بجميع الطرق التي ترتئيها بحيث يكون الهدف النهائي من النضال هو **تاسيس حكم شعبي ثوري في الشرق العربي** كمنطقة محررة وكمعقل من معاقل الثورة الاشتراكية العالمية .

٣١ ــ واما هدف الجبهة في هذه المرحلة فهو **تنسيق** الطاقات الثورية القائمة ضمن صفوفنا حتى تتبلور الشروط لقلب الجبهة الى حزب ــ واهم هذه الشروط هي :

(أ) **وضع برنامج سياسي** يضم تحليلا نظريا للتحركات الدينامية الاجتماعية في الشرق الاوسط .. ومقبولا على اغلب اعضاء الجبهة .

(ب) **وضع استراتيجية سياسية** متعلقة بالصراع الموضوعي للطبقات المستغلة (بالفتحة) بحيث تكون فيها للجبهة المشاركة الفعالة .

الجراة على النضال

كتب هذه المقالة ، احد اعضاء « الاتحاد الشيوعي الثوري » قبل حوالي ثلاثة اسابيع لتركه «المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » ، وها نحن نعرضه هنا بكامله لانه يعكس بصورة واضحة التيارات السياسية التي كونت الاساس لانشقاقنا.

اولا ، وقبل كل شيء ، علينا ان نرى الاشياء على صحتها : منذ بضعة اشهر ونحن مشلولو الفعالية بصورة مطلقة تقريبا ، دون ان يلفت ذلك انتباهنا لحدة الحملات التي شنتها الصحافة ضدنا ولا تزال ، حول موضوع فعاليتنا خارج البلاد . غير انه في الواقع بقي « ماتسبن » منظمة عملية بالكاد .

وفي الحقيقة فان وجودنا لا يتعدى كونه اسطورة ، تؤدي دورنا على المستوى الاجتماعي « كمعارضة » فقط .

ان ذلك لا يعني اننا لا نعمل شيئا ، لكننا نعمل ما يسمح لنا عمله ، وذلك القليل الكافي لبقائنا اسطورة ، كاصدار الجريدة على فترات متقطعة ، وتنظيم بعض الندوات وتوزيع بعض المناشير .

مما لا شك فيه ان الحالة الموضوعية التي نواجهها صعبة للغاية : فتقدم المد الثوري في العالم العربي يزيد من حدة الصبغة العسكرية الطاغية لدولة اسرائيل ، ويحافظ على التكتيل القومي الداخلي الذي يدعم الاستعمار . ومن الناحية الاخرى فان اي انتصار جزئي للثورة المضادة لا يستطيع اعادة الامور الى مجراها الطبيعي ولا يستطيع ايقافه

الحرب ، حيث ان العملية اعمق بكثير ، وبصورة مختصرة فان استمرار الاحتلال يعني في المدى القصير تأصل الفاشية في اسرائيل كتلك التي في جنوب افريقيا . ثم ان التخلي عن المناطق المحتلة نتيجة لبرنامج « روجرز » مثلا لا يؤدي الى الحد من العنصرية في اسرائيل ، حيث ان مجرد التخلي عن تلك المناطق لا يؤدي الى السلام ، او الى امكانية النضال الثوري داخل اسرائيل . ان من المحتمل التوصل الى فترة من الهدوء النسبي ، غير ان من المتوقع حتما ردود فعل عنصرية احد بكثير نتيجة للمشاكل الاقتصادية ولخيبة الامل .

ان « ماتسبن » بالاحرى لم يتخذ شعاراته بصورة جدية .

لقد استعرضنا اسباب حرب حزيران ١٩٦٧ ، ولم نقم باية مساومة مع الشوفينية ، ونحن على حق حين نقول انه من المستحيل انهاء الحرب دون ايجاد حل عادل لقضية الشعب الفلسطيني ، وها نحن نرى جيدا نتائج تلك الحرب وذلك الاحتلال ، انها تفضح بصورة سافرة الصبغة الاستعمارية التوسعية لدولة اسرائيل .

ولكن ، هل ادى ذلك التحليل الى تغيير في سلوكنا الشخصي او في فعاليتنا ؟

لا ! ان باستطاعتنا ان نسخر من المنظمات الشيوعية التي ترقب الكارثة عن كثب ولا تستعد لمواجهتها (كاليونان واندونيسيا مثلا) ، ثم ، اي النتائج استخلصنا نحن الذين نعيش الواقع ذاته ؟

لا شيء ! لاننا نعيش الاوهام ذاتها . ثم ، كيف كان رد فعلنا عندما تطور واحتد الهجوم الصحفي ضدنا واتخذ صيغة « ماتسبن ــ فتح ــ خائن » ؟ لقد انتفضنا في البداية، وفي كل مرة ننتفض من جديد . وعندئذ كديمقراطيين

صالحين توجهنا « لديمقراطيين » اخرين !

لقد حاولنا في مطلع هذا العام ان نقاوم عزلتنا ، وان نعمل على خلق جبهة موحدة لمحاربة قوانين الطوارىء وسياسة العقوبات الجماعية والى غير ذلك ، ومع مرور الوقت لم نجد من يتعاون معنا باستثناء القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » ، فقد قمنا فقط بعمليتين ذات اهمية ، كانت احداها التظاهر امام مبنى الكنيست احتجاجا على اعمال العقوبة الجماعية ، والاخرى مظاهرة في تل ــ ابيب .

لقد كان ذلك كل ما قمنا به ، غير ان ذلك لم يستطع الزام اليسار الصهيوني كمنظمة «اليسار الاسرائيلي الجديد» « سياح » أو الديماغوغيين امثال افنيري مشاركتنا النضال من اجل الديمقراطية ، لان ذلك ليس من مصلحتهم . ثم اننا بايهام انفسنا ان ذلك من مصلحتهم حقا ، فاننا نفترض وجودهم كاحزاب معارضة . ان باستطاعتهم الدفاع عن « حرية الكلمة » فقط ، غير ان ذلك دفاع مضر في الواقع . وفي الحقيقة فاننا نخدمهم بصورة مضاعفة ، لاننا بالنسبة لهم جماعة من « الخونة » يهاجمونها لكونهم مواطنين صالحين ويدافعون عنها بصورة سطحية فقط ــ كديمقراطيين صالحين .

ان الحملة التي تشنها الصحافة ضدنا امر لا مفر منه ، وكذلك عزلتنا . ظن البعض ، ولا يزالون (كما كنت بنفسي شريكا لذلك الوهم) ان من الممكن الدفاع عن انفسنا بالتوجه لمحاكم الدولة . ان التوجه لمحكمة صهيونية ورجاءها التفريق بين ثائر وخائن ، كالتوجه الى ذئب ورجائه منع رفاقه أكل ابنك بشراهة ، وكما لو كنا نعيش في جو من الديمقراطية البرجوازية كتلك التي في انكلترا والسويد .

وبمفهوم معين فاننا نقوم بنضال سياسي ضد عصابة من ذوي العضلات ، لذلك فمن واجبنا ان نذكر اننا

موجودون خارج الاطر ، وتلك نتيجة حتمية لموقفنا الاممي.

لقد (عرضنا) ما ليس باستطاعتنا عمله ، ويجدر السؤال هنا ماذا يجب علينا عمله ؟

اولا : تنسيق برنامج سياسي يتضمن تفاصيل متناقضات المجتمع الاسرائيلي ، ان عرضا كهذا لن يكون مجردا ولا يمكن ان نجده في أي من الكتب الموجودة .

فمن الواضح ان البروليتارية الاسرائيلية هي بشكل قاطع تقريبا شريكة للايديولوجية الصهيونية ، ثم ان من الواضح ايضا ان استمرار الحرب يزيد من حدة الاستغلال الاقتصادي ، وانه في الاشهر القليلة القادمة يتوقع نضال عمالي احد" بكثير .

من الطبيعي انه ليس بامكاننا تجريد البروليتارية اليهودية عن الايديولوجية الصهيونية دون احداث تغيير في الشرق الاوسط ، من دون تحول حركة التحرر العربية المناوئة للاستعمار الى حركة اشتراكية شعبية تقوم في الوقت ذاته بنضال ضد الصهيونية والاستعمار .

غير ان نضالنا ضد الصهيونية يفرض علينا بادىء ذي بدء التوجه الى البروليتارية ، حيث انها الطبقة الوحيدة التي لا مصلحة لها في استمرار الحرب .

لذلك فان لتوجيه النضال بالدرجة الاولى الى صفوف الطبقة العاملة الاسبقية الاولى ، وان اولئك الذين يشكون في امكانية نجاح مثل هذا النضال لا يستطيعون تبرير ذلك بصورة مقنعة ، لان احدا حتى الان لم يقم بنضال كهذا بصورة جدية .

ان من المستحيل اعطاء جواب ملم ونهائي دون الدخول في التجربة ، وان من السذاجة ان نفكر بالقيام بذلك النضال كنضال حتى عن طريق توزيع بعض مناشير اضافية . يجب

علينا ان نعرض مناشيرنا بلغة بسيطة واسلوب واضح ذي فهم ، وان نعالج المشاكل الواقعية ، اي ان نعرفها اولا عن طريق بحثها . ومن الناحية الاخرى يجب اتخاذ قرار يضع اولئك الذين لا يعملون ولا يدرسون من اعضاء المنظمة تحت تصرفها بحيث تضمن فعاليتهم في المصانع .

اننا لا نقصد عرض الحلول الخيالية او المستحيلات ، علينا ان نبدا طريقا طويلا وشاقا يتطلب جهدا وارادة وانضباطا دون التقيد بالمثل المألوفة .

كما ونفترض انه علينا العمل بصورة منسقة منتظمة داخل القطاع العربي وباللغة العربية . وان نغير بصورة جذرية اسلوب منشوراتنا المليئة بالمثالية والتي لا تعالج المشاكل الخاصة لذلك القطاع . واذكر هنا بعض رفاقنا الذين يوضحون في القرى العربية « انه من الواضح استحالة حل القضية الفلسطينية دون ثورة اشتراكية » . ان موقفا كهذا ، على الرغم من صحة ماهيته لا يمكن فهمه على الاطلاق بصورة صحيحة ، وينظر اليه كخيال بعيد عن الواقع .

ليس من شك في ان هذا التحول الجذري يفترض ايجاد خطة سياسية وبرنامج عمل ، والاهم من ذلك كله هو ان نعرف ان من الممكن احداث ذلك التغيير الجذري عن طريق ادخال مواقف جديدة تجاه المثل المألوفة لدينا ، وذلك عن **طريق الانضباط الثوري** . ان ما يجب علينا فهمه هو ان لا مناص من استقصاء النتيجة الحتمية وهي ان على «ماتسبن» الانفصال عن اصله البرجوازي الصغير والبوهيمي . وان لم نفعل ذلك فمعناه الجود باسخى عطاء للحكم الصهيوني ، اي بان نترف في الحفاظ على منظمة ثورية شرعية وعاقر في نفس الوقت . ان وجودنا الاسمي دون فعالية معناه خدمة السلطة ، وبالتالي ان نكون موضوعيا ثوريين واقفين في حلق الثورة !

حوار مع المنشقين *

بقلم : عوديد فلبسكي

من أجل فهم النقد الموجه من قبل « الاتحاد الشيوعي الثوري » للمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبن » نرى انه من المستحسن اقتباس بعض الجمل الواردة في البرنامج السياسي للاتحاد .

تتحدث الفقرة الرابعة من البرنامج السياسي عن «التعاطف مع الشعب الفيتنامي، والشعب الكوري ، والشعب الفلسطيني ، ومع كل الشعوب التي مقاومتها البطلة للاستعمار لن تؤدي بها الى الطريق الثوري والى المشاركة في صراع الطبقات العالمي فحسب بل هي في حد ذاتها ... » والسؤال هو ما معنى الموازاة بين النضال الفلسطيني وبين النضال الفيتنامي ؟ كل انسان يدرك ان هنالك معنى واضحا للنضال في كل من كوبا وفيتنام ـ الاشتراكية ضد الامبريالية ـ وأن رجال الاتحاد الشيوعي ليسوا بحاجة الى مصادرنا الاعلامية لكي يدركوا أن النضال الفلسطيني هو نضال قومي محض (يستحق التأييد كنضال لشعب محتل ومضطهد) ضد الكولونيالية الصهيونية والرجعية العربية ، غير انه بعيد جدا من كونه نضالا اشتراكيا . والعكس هو ان العناصر

---

* عن **ماتسبن** ، عدد ٥٦ ، تشرين الثاني ١٩٧٠ ، ص ٥ ـ ٦ . ترجمها عن العبرية عبد الحفيظ محارب ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .

الحاسمة في المنطقة هي العناصر القومية الرجعية ، والاشتراكية الشوفينية .

ما معنى خلط الامور ببعضها على هذا النحو اذا لم يكن محاولة لتغطية ، لسد الهوة بين القومية — حتى لشعب مضطهد — وبين الاشتراكية التي تتخطى القومية بجوهرها! ان الذي يدعي هذه الاشياء هو كمن جاء ليقول للحركات الفلسطينية : انتم على ما يرام من وجهة النظر الاشتراكية ، ولا يوجد اي فارق بينكم وبين النضال الاشتراكي لشعبي فيتنام وكوبا ، اذ بمعنى آخر : بامكانكم البقاء في اطار القومية وبالنسبة لنا انتم اشتراكيون تماما . اية ثورية غريبة هذه ؟ وكل ذلك باسم مصلحة الاشتراكية في الشرق العربي .

ولننتقل الى الفقرتين ١٦ و ١٧ في البرنامج السياسي: « يصبح هذا العزل ممكنا فقط اذا تحققت الاطوار أو المجريات الثلاثة التالية المرتبطة الواحدة بالاخرى : (ا) تفتيت تدريجي للتفوق العسكري الاسرائيلي ، (ب) تفاقم حدة الازمة الاقتصادية الداخلية في اسرائيل ، (ج) تبلور بديل اممي في اوساط حركة التحرير الفلسطينية وحركة الثورة العربية الى جانب تحقيق الوعي المعادي للاستعمار في اوساط الجماهير العمالية اليهودية في اسرائيل » .

من الواضح ، حسب الجملة الواردة في الفقرة «ج» من الاستشهاد المذكور انه حتى في رأي اصحاب البرنامج السياسي انفسهم لم يتبلور بديل اممي بين صفوف الحركة الفلسطينية ، وهذا يعني انها لا تزال ليست اشتراكية . اذن ، كيف وضع اصحاب البرنامج السياسي النضال الفلسطيني في صف واحد مع فيتنام وكوريا بالتخصيص ، وليس ، مثلاً ، مع نضال انجولا وروديسيا وما شابه ؟

ان وضع مسألة انحلال التفوق العسكري لجيش

الدفاع الاسرائيلي كشرط ضروري لعزل العمال اليهود عن الحركة الصهيونية يعني انه طالما بقي الجيش الاسرائيلي يتمتع بتفوق على الجيوش العربية لا يوجد هنالك امل امام النشاط الثوري للطبقات المستغلة (بفتح الغين) في اسرائيل . ومن هنا يتضح ايضا ان العامل الذي سيؤدي الى الغاء التفوق العسكري الاسرائيلي سيكون قوى من خارج اسرائيل واذا كان المقصود بذلك المعسكر العربي ، فانه من الواضح ، حسب اعتقادي ، ان تغييرا ثوريا جذريا في المجتمع العربي او في قسم منه هو الاحتمال الذي سيولد قوة عسكرية شعبية ثورية تستطيع مواجهة التفوق العسكري الاسرائيلي ، كما هو الامر في فيتنام . ولكن من اجل تحقيق ذلك ، يحتاج المجتمع العربي الى ثورة ، وهذا هو اهم شرط لخلق قوة يكون بوسعها مواجهة القوة الاسرائيلية والقوة الاستعمارية .

واذا ما نجحت ثورة كهذه في العالم العربي ، او في جزء منه ، فانه من المحتمل ان لا تضطر لمواجهة تلك الجبهة الموحدة القومية الكولونيالية الشوفينية التي تشكلها اسرائيل. فمن المحتمل ان تطرح الثورة العربية ، بسبب طبيعتها الثورية الاممية ، حلا للجماهير اليهودية المستغلة (بفتح الغين) في العيش المشترك للكيان القومي اليهودي الاسرائيلي بجانب او بداخل المجتمع العربي (على اساس مبدأ حق تقرير المصير ، ووضع سد امام احتمالات الاضطهاد القومي) . ومن المحتمل ان يخلق حل كهذا تأييداً شعبيا لصالح الثورة ، او على الاقل قوة رادعة ضد النوايا الكولونيالية الشوفينية العسكرية ضد مصالح الثورة من قبل الحكم في اسرائيل . ومن المحتمل في احسن حال ان ينضم قسم كامل من الشعب الاسرائيلي الى جانب الثورة .

ازاء هذا الموضوع الانف الذكر ، يبدي رجال الاتحاد الشيوعي الثوري بلبلة ما بعدها بلبلة . وقد كنت على

استعداد للموافقة على انهم مخطئون بنية بريئة ، غير ان بعض الجمل الواردة في بيانهم تظهر التزييف والتسويف والكذب التي لا يمكن المرور عليها مرور الكرام .

يدعي رجال الاتحاد الشيوعي الثوري ان المنظمة الاشتراكيه الاسرائيلية تتعثر في مجال الاعلام ، وخاصة في داخل البلاد ، وبالذات في بعض النشرات النظرية ، في ضباب جذور النزاع الاسرائيلي العربي وذلك في معرض تعليلهم للانفصال عن منظمتنا . ان هذا القول من قبلهم هو الذي يتعثر في ضباب سميك فضلا عن كونه كذبة مبسطة .. اعتقد انه لم تخل اية نشرة للمنظمة او اجتماع عام لها من التأكيد على الطبيعة الكولونيالية الاستيطانية للحركة الصهيونية التي طردت الشعب الفلسطيني وتستمر في النظر اليه باحتقار حتى يومنا هذا . كل ذلك لا يمنع اصحاب البيان من الاستمرار في الاساءة .

يقولون ان « ماتسبن يميل للتقليل من الصبغة الكولونيالية الواضحة في هذا النزاع والتشديد على النواحي القومية » . ولكنهم لا يكتفون ببث الاكاذيب ، بل يضيفون خطيئة اخرى الى جريمتهم عند اتهامهم لنا باننا لا نحارب من اجل كسر الاحتكار الصهيوني للارض ونتمسك بموقف ثنائي المعنى بالنسبة لحقوق اليهود القومية في بلاد اسرائيل ـ فلسطين وبالنسبة لمعنى مبدأ تقرير المصير . ما هذا التلون ! المجموعة التي تبرىء النضال الفلسطيني من الغموض الذي يحيط به بتشبيهه بنضال فيتنام وكوريا ، المجموعة التي تتلعثم في موضوع تقرير المصير وتمتنع كليا من استخدام هذا الاصطلاح وتتحدث بدلا عنه عن الحقوق السياسية للكيان القومي اليهودي في ارض اسرائيل ـ فلسطين (اية حقوق سياسية ؟) ،هذه المجموعة نفسها تاتي الان وتحاول باصرار اضفاء صفة الغموض على موقفنا تجاه

هذا الموضوع وكأننا لا نقف ضد « الكيرن كيميت » * ، وكأننا لا نطرح الثورة الاجتماعية كاطار يمكن بداخله فقط حل الصراع العربي الاسرائيلي (كما هو مفهوم على اساس حق تقرير المصير الذي يعني اعادة كافة الحقوق للمسلوبين دون الحاجة الى سلب السالبين سابقا وخلق اضطهاد قومي جديد) وكأنهم بذلك لم يكتفوا بالاصطياد في المياه العكرة ، بل يضيفون ايضا « تلميحات » حول أوهامنا بالنسبة للمحاكم وحول كيف ان ماتسبن تعمل « بايحاء الجهاز السياسي » الخ . وكأنهم يريدون القول ان ماتسبن ما هي الا جمعية برجوازية صغيرة لاناس مثقفين ذوي نوايا طيبة ، تشكل في مجمل الامر جزءا من المؤسسة ، بينما الاتحاد الشيوعي هو الذي يرفع راية الثورة الحقيقية .

ان المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) قد عملت منذ تأسيسها ، من خلال الرغبة والمثابرة الحرة لاعضائها وليس من خلال ايحاء أي شخص ، كما وان الاعتبارات التي كانت وما تزال قائمة اليوم والمتعلقة بالتوجه لمؤسسات الدولة كانت دائما اعتبارات تقاس على ضوء المبادىء التي نناضل من اجلها . ولم يسبق لي ان قابلت ثوريا واحدا في العالم عارض استخدام منصة المحكمة او عارض رخصة لاصدار جريدة من اجل اهدافه (لم تستخدم ماتسبن حتى الان المحاكم ، والكلام حول اوهامنا بالنسبة للمحاكم موضوعه الحوار الذي دار في حينه في المنظمة : هل نستخدم المحاكم كمنصة للدعاية أم لا ؟ غير أن أي واحد من المشتركين في ذلك الحوار لم يطرح أية فكرة يمكن ان يستشم منها بأن المحكمة هي بمثابة اداة للكشف عن الحقيقة) .

لقد ترك اعضاء الاتحاد الشيوعي ماتسبن وهم

* اسم صندوق جباية صهيوني في الولايات المتحدة الاميركية (المؤلفة) .

يحاولون اثبات وجود غموض عندنا حول جذور النزاع الاسرائيلي العربي وطرق حله . وقد اثبتوا فقط مدى البلبلة والغموض اللذين يحيطان بتفكيرهم .

انهم يوهمون انفسهم بانهم يقفون الى اليسار من ماتسبن غير ان الحقيقة هي انهم يتجهون نحو اليمين ، ويتخلون عن المواقف الاممية التي تميز ماتسبن . نعم انهم يتجهون نحو اليمين ولكن باتجاه قومية الشعب المضطهد (بفتح الهاء) وليس باتجاه قومية الشعب المضطهد (بكسر الهاء) .

اما فيما يتعلق بالمبادىء التنظيمية ، فان كاتب هذه السطور راض عن المبادىء المتبعة اليوم في التنظيم مع انه لا يعتقد بان مستوى النشاط مرض . ولكن ليس سرا اذا قلنا أن اعضاء اخرين في التنظيم يوجهون نقدا ولكن يفضلون الانضباط الصارم ضمن المبادىء ، ويشترطون المستوى العالي من النشاط للبقاء في التنظيم . هذه ليست مسألة عديمة الاهمية . والحقيقة ان الافكار لا تزال تتصارع في داخل تنظيمنا حتى اليوم . لذلك ليس هنالك جدوى من اجراء حوار حول ذلك مع الاتحاد الشيوعي بالذات .

ومجمل القول ان طريقة عمل الاتحاد الشيوعي ، كما ورد في نشراته الاولى ، تضر بوحدة الثوار الاشتراكيين العرب واليهود الذين تعدوا المرحلة القومية ، بطرحه قومية يسارية اشتراكية اممية . ومع ذلك فانني اعتقد انه ينبغي على منظمتنا ان تكون منفتحة امام احتمال عودة الاعضاء الشرفاء من هذه المجموعة ــ هؤلاء الاعضاء الذين ستؤدي بهم تجربتهم الينا .

حول الديمقراطية المركزية *

بقلم : موشيه ماخوفر

في العدد ٥٥ من **ماتسبن** طرح الرفيق ف . عوديد على بساط البحث مسألة الشكل التنظيمي للحزب الثوري (« تأملات في معنى الديمقراطية المركزية ») . وبما انني اوافق على الاستنتاجات الاساسية التي خرج بها عوديد ، ارى ان الحاجة تدعو الى الرد بشكل نقدي على جوانب معينة من اقواله ، التي تفتح المجال امام اخطاء خطرة ومضرة ، بالرغم من انه لم يقصد ذلك بالتأكيد .

ساتحدث اولا عن الامور التي اوافق عليها . فمثل عوديد اعتقد انا ايضا انه « لا يمكن الاكتفاء بوضع كلمتين (أي : الديمقراطية المركزية) امامنا ومن ثم التحرك الى الامام » . كان عوديد على حق عندما قرر انه من الخطأ التفكير باننا نستطيع حل المسألة التنظيمية بواسطة الموافقة على صيغة « الديمقراطية المركزية » بدل ان نجهد انفسنا في تفصيل الشكل التنظيمي الذي نسعى اليه وشرحه . والسبب الذي يقدمه عوديد يتلخص في انه خلال اعوام كثيرة استخدمت هذه الصيغة كذريعة وكغطاء لسيطرة اشكال تنظيمية بيروقراطية لا ديمقراطية . وليس من الممكن التغاضي عن ان صيغة « الديمقراطية المركزية » قد فقدت معناها

---

* عن **ماتسبن** ، عدد ٥٦ ، تشرين الثاني ١٩٧٠ ، ص ١١ . ترجمها عن العبرية عبد الحفيظ محارب ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .

الاصلي بين صفوف الكثيرين – ليس فقط خارج الحركة الاشتراكية ، بل ايضا في داخلها – واخذت مفهوما مزورا ومضرا . لذلك ينبغي عدم الاكتفاء بالكلام الغامض باننا نقف الى جانب هذا الشعار ، بل ينبغي علينا ان نوضح باسهاب الامور التي نقصدها .

بودي ان اضيف سببا اخر الى التفسير الذي اعطاه عوديد . ان الديمقراطية المركزية لا تشمل المفهوم التنظيمي الذي اعطاه لينين للحركة الاشتراكية الثورية في روسيا ،بل تشكل جزءا من هذا المفهوم فقط . ولكن مع مرور الزمن ، ازيلت معالم الحدود واعتاد كثيرون (وبينهم ايضا اولئك الذين يميزون جيدا بين الديمقراطية المركزية وبين المعنى المعيب الذي الصق بها) عدم تمييز الديمقراطية المركزية عن مبادىء تنظيمية اخرى ظهرت عند لينين واضيفت اليها بدون ان تكون نابعة منها بالضرورة . ويشكل مجمل هذه المبادىء مفهوم « الحزب من طراز جديد » عند لينين . وبذلك اعتاد كثيرون على عدم تمييز مفهوم الديمقراطية المركزية عن مفهوم الحزب من طراز جديد . وبناء على ذلك ،فاننا اذا اكتفينا بالاعراب عن موافقتنا على الديمقراطية المركزية ، فاننا نخلق بذلك الانطباع المغلوط بالتزامنا بسلسلة كاملة من المبادىء الاخرى التي اضيفت اليها بدون ان تكون نابعة منها ، علما بانه يوجد بين هذه المبادىء الاخرى ما هو تابع الى واقع زماني ومكاني معين ويفتقر الى اي اساس في واقعنا نحن .

وعلى سبيل المثال ، يعرف كل من قرا المقالات التي كتبها لينين في بداية هذا القرن ، انه كان يعتقد بان الحزب الثوري ينبغي أن يكون هيئة محصورة نسبيا مكونة باكثريتها من الثوريين المحترفين الذين لا يشتغلون في المصنع وما شابه ذلك بل يعتبرون طاقة يتكفل بها التنظيم . كان هذا المفهوم على جانب كبير من الصحة بالنسبة لروسيا

القيصرية . فالعمل السياسي الثوري كان يجري بالسرية التامة ، وكان على مناضلي الحزب ان يتنقلوا من مكان لاخر . وعلاوة على ذلك فقد كانت الاكثرية الساحقة من الطبقة العامله غارقة في الجهل ، ليس فقط الجهل السياسي بل ايضا الجهل العادي ، جهل الالف باء . كما ان ساعات العمل كانت طويلة وشاقة اكثر بكثير مما هو متبع في ايامنا . لنتخيل عاملا روسيا شابا يبدي اهتماما بالحزب وعطفا على اعماله . كان على الحزب ان يقوم بعمل كبير من اجل تثقيفه ابتداء من القراءه والكتابة وحتى غرس النظرية الماركسية في ذهنه . ومن الواضح انه تكاد لا تكون هنالك امكانية للقيام بهذا العمل ما دام العامل يقوم باعمال شاقة طيلة عشر ساعات (او اكثر) في اليوم ، وحتى لو افترضنا مع ذلك ان هذا العامل مهيأ لكي يدير بنفسه عملا سياسيا في مستوى جيد ، فكيف يقوم بذلك طالما انه مرتبط معظم ساعات اليوم بمكان واحد ، في حين ان وقت فراغه بالكاد يكفي لتناول طعامه وشرابه ؟

من الواضح انه في مثل هذه الظروف ، يتوجب على الحزب ان يبذل كل ما في وسعه من اجل اخراج العضو الجديد من مكان عمله وان يحتفظ به على نفقته . ولكن من ناحية اخرى واضح ايضا ان كل هذا لا يسري على واقع بلاد رأسمالية في وقتنا الحاضر حيث لا يجري العمل السياسي الاشتراكي بالسرية التامة كما ان اكثرية العمال تعرف القراءة والكتابة ويوجد لديهم اوقات فراغ لممارسة النشاط السياسي .

وبناء على ذلك ، ينبغي على الذين يرفعون شعار الديمقراطية المركزية ان يأخذوا بعين الاعتبار ان الشعار كما يتبلور في اذهان سامعيهم مرتبط بمصلحة « الحزب من طراز جديد » علما بان مصلحة الحزب تشمل ايضا مبادىء تنظيمية لا تتناسب مع حاجاتنا القائمة .

النقطة المفقودة

لقد احسن عوديد صنعا في محاولته لتفصيل المبادىء التنظيمية التي ينبغي علينا ان نؤسس عملنا عليها وتوضيحها. فيما يلي المبدآن اللذان ذكرهما في مقاله :

اولا : « تتخذ القرارات في منظمتنا في اجتماعات الاعضاء بالاكثرية ... وفي الامور التنفيذية تلتزم الاقلية بالقرارات التي اتخذت باكثرية الاصوات » .

ثانيا : « الحرية التامة لكل عضو في المنظمة ، في داخلها او في خارجها ، وهذا يعني انه بالنسبة الى اي قرار يتخذ في اجتماع او لجنة ، لا يجوز ان يرغم العضو بالافصاح عن افكار لا يعتقدها ، او منعه من الافصاح عن الرأي الذي يعتنقه » .

انني اوافق على هذين المبدأين ، وارى فيهما اساسا للديمقراطية . ومن اجل توضيح اكبر ساحاول القيام بما لم يفعله عوديد : تفسير المبدأين ولو باختصار .

بالنسبة لمبدأ الاكثرية ، ان اي تدقيق بسيط يظهر (وكما نعرف نحن ايضا من تجاربنا) انه اذا ما امتنعت اقلية من الاعضاء باستمرار عن تنفيذ القرارات التي اتخذتها الاكثرية ، فان هذه الاقلية ستكون قادرة على تحييد القرارات ، والحيلولة دون تنفيذها ، وتخلق بذلك ديكتاتورية الاقلية بالفعل . وبالضبط هذه هي المصيدة الخطرة التي تقع فيها المنظمات التي تحاول « تحسين » الديمقراطية بواسطة فرض مبدأ : « الرجل المستقيم يعمل كما يرتأي » . وكما هو مفهوم ، ينبغي ان نضيف الى هذا المبدأ التحفظ التالي : في حالات معينة تستطيع الاكثرية تحرير الاقلية من الاشتراك في تنفيذ عمل لا توافق عليه شريطة ان يكون اشتراك الاقلية غير مؤثر بالضرورة على النجاح التام لهذا العمل .

وفيما يتعلق بمبدأ حرية التعبير عن الراي فمن الواضح انه ينبغي على التنظيم الثوري ان يحدد بانه لا مكان في داخله لاصحاب وجهات النظر المتناقضة لمبادئه . ولكن بالنسبة لوجهات النظر التي لا تؤدي الى اخراج صاحبها من التنظيم فينبغي ان تعطى الحرية التامة في ان يفصح عنها جهارا . كما ان الانحراف عن هذا المبدا يعتبر بمثابة سم زعاف للديمقراطية لانه يجعل من الممكن تخليد الاكثرية .

ان تحديد حرية الراي في الحوار الداخلي ليست عملية وليست مستحبة (لانها تتسبب في خلق سيكولوجية التخوف من الرقابة والاستسلام لها) واسوا من ذلك تؤدي الى محاولة ارغام الاشخاص على التعبير « تجاه الخارج » عن افكار لا يوافقون عليها . ويمكن تلخيص هذا المبدأ كالاتي : ان العضو الذي تختلف آراؤه عن اراء الاكثرية ينبغي الا يطلب منه تمثيل المنظمة في الخارج كما انه عندما يعبر هذا العضو عن آرائه خارج التنظيم عليه ان يوضح ان ذلك لا يمثل راي التنظيم .

اعتقد انه من المستحسن ان نوضح بان المركزية تعني ان الولاء للتنظيم يقف فوق الولاء لجزء منه او لفرع من فروعه او لجنة من لجانه أو كتلة من كتله .

بالنسبة للشؤون التنفيذية المحلية تتخذ اكثرية التنظيم القرارات وليس اكثرية هذا الفرع او ذاك .. وينبع هذا المبدأ من كون البلد كله وبكافة اجزائه الميدان الفعلي لنضالنا ، لذلك على الهيكل التنظيمي ان يكون منسجما مع المتطلبات الفعلية القائمة . ولكن هنا يوجد تحفظ بالنسبة لهذا المبدأ : ينبغي على التنظيم أن يبقي بايدي فروعه ولجانه مقدارا من الاستقلال الذاتي لادارة الشؤون الداخلية وتنفيذ الاعمال ذات الطابع المحلي المحض .

شيء حول لينين

من المؤسف أن عوديد أدخل ، بدون مبرر ، على تفسير استنتاجاته (الصحيحة) وصفا للصراع بين لينين وتروتسكي من جهة وبين المعارضة العمالية داخل الحزب البلشفي من جهة اخرى ، مما قد يؤدي الى اختلاط في اذهان غير المطلعين ، ورسم صورة غريبة في مخيلتهم .

واكتفي بالقول هنا ان هذه المسالة غير متعلقة بشكل مباشر بموضوعنا . يضاف الى ذلك انه عندما نأخذ بعين الاعتبار الحملة الشديدة التي تشن على اللينينية من جانب تيار معين في الحركة الاشتراكية يصبح من المهم لنا كاشتراكيين شرق اوسطيين ان نبين ان الحملة تعتمد على غياب اي فهم لجملة المشاكل الخاصة بالثورة في الدول النامية وعلى عدم المبالاة والانتباه الى كل ما يجري خارج العالم الصناعي . وبما انه من المحتمل ان تفتح اقوال عوديد (ولو عن غير قصد) مجالا لهذا الخطر الذي يعتبر بالنسبة لنا على جانب كبير من الاهمية ، فانني ارى أنه من الضروري التطرق الى هذا الموضوع .

قد يؤدي الوصف الذي قدمه عوديد الى خلق انطباع بانه كان داخل الحزب البلشفي مفهومان مختلفان حول المجتمع الاشتراكي : مفهوم رجال المعارضة العمالية الذين اعتقدوا انه ينبغي ان تدار المصانع والفروع الاقتصادية الاخرى بواسطة مجالس عمالية ، ومفهوم الاكثرية (التي عبر عنها لينين وتروتسكي) التي يبدو بموجبها ــ كما لو ــ انه ينبغي ادارة الاقتصاد الاشتراكي من فوق بواسطة اشخاص معينين من قبل الدولة .

غير أن العودة الى المادة التي نشرت في تلك الفترة تثبت بوضوح ان النقاش دار حول قاعدة اخرى مختلفة

تماما . فعند بحث المجتمع الاشتراكي وافق الطرفان على الاخذ بوجهة نظر لينين ، التي عبر عنها في مقالة « الدولة والثورة » والتي شرح فيها مفهوم ماركس عن الاشتراكية وخاصة عن ديكتاتورية البروليتارية «كسلطة ذاتية للانتاج» .

وفيما يتعلق بروسيا ، لم يطرح على بساط البحث اقامة مجتمع اشتراكي في بلد متأخر ومنعزل ومحاصر . وكانت الفرضية المقبولة لدى كافة البلاشفة هي ان الاشتراكية في روسيا لا يمكن تحقيقها الا مع اندلاع الثورة في عدد من البلدان الرأسمالية المتطورة . وكانوا يأملون ان ثورة كهذه ستحدث بسرعة . ولكن بعد نجاح الثورة في بلد متأخر مثل روسيا رفع لينين شعار « حكم عمالي واقتصاد رأسمالي حكومي » أي ان البروليتاريين سيحكمون في الميدان السياسي بينما يستمر الاقتصاد في طريق رأسمالية ، حيث ستحل الدولة محل الرأسمال الخاص . اذن لم ينبع رأي لينين حول الشكل الذي ينبغي ان تدار عليه الصناعة الروسية ، من وجهة نظره في الاشتراكية ، بل من مرحلة وسطى هي رأسمالية الدولة في بلد يعتبر دولة عمالية . لم يكن هذا الامر مرغوبا فيه عند لينين بل مجرد اجراء املته الضرورة .

ومن المحتمل ان نخرج باستنتاج من هذا النقاش وهو ان لينين اخطأ ، وكان معارضوه من البلاشفة على حق (شليانكوف ، كولونتاي واخرون) ولكن حتى في هذه الحال يكون خطأ لينين نابعا من سوء تقييم الوضع وليس من الرغبة في اقامة نوع من اشتراكية الدولة . وبما ان عوديد لم يشر الى ذلك يكون قد ابقى مجالا لتسرب الاخطاء .

الرد على اللامبارتيين *

في العدد ٥٦ (نوفمبر ١٩٧٠) من « ماتسبن » اجرينا حوارا مع مجموعة باسم « الاتحاد الشيوعي الثوري » التي كانت انشقت مؤخرا عن تنظيمنا . وفي الوقت الذي انشق فيه رجال « الاتحاد » انشقت عن ماتسبن مجموعة ثانية هي المجموعة اللامبارتية .

ويعود السبب الاساسي والفوري لانشقاق المجموعة الثانية الى عدم موافقتها على وجهة نظرنا تجاه الطابع الخاص للمجتمع الاسرائيلي والاستنتاجات النابعة منه بالنسبة لاستراتيجية النضال في اسرائيل .

ان وجهة نظر الاكثرية في ماتسبن (التي انعكست في مقال حول الشكل الطبقي للمجتمع الاسرائيلي ، بقلم ع. اور ، وم. ماخوفر ،عدد ٥٥ ، اغسطس / سبتمبر ١٩٧٠) تقرر انه ليس هنالك ثمة احتمال جدي ، في الظروف الراهنة ، بان يأخذ النضال الطبقي لطبقة العمال في اسرائيل، طابعا ثوريا . وطالما أن السيطرة السياسية للصهيونية لم تهتز ، وطالما ان الظروف المحلية والعالمية تمكنها من جعل اسرائيل مجتمعا ممتازا (بشكل نسبي) ، يستخدم كحارس للاستعمار في الشرق العربي ، وطالما بقيت الصهيونية تبني كيانها الاقتصادي على المعونة المباشرة وغير المباشرة من قبل الاستعمار ، اي طالما ظلت هذه الظروف سائدة دون ان تهتز بشكل بارز وواضح ، فليس هنالك ثمة اساس للاعتقاد بان

(*) من ماتسبن عدد ٥٧ ، كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ١٤ ــ ١٥ .
ترجمها من العبرية عبد الحفيظ محارب .

الطبقة العاملة في اسرائيل ستحاول راغبة في ايجاد تغييرات اجتماعية ثورية .

من هنا خرجت ماتسبن باستنتاج انه في الظروف الراهنة وفي المدى القريب ، ليس من الصواب في شيء تركيز معظم العمل الثوري حول النضال المهني والطبقي لعمال اسرائيل ، وتوجيه معظم الاعلام الثوري الى العمال بشكل خاص . في المكان الاول ينبغي وضع النضال السياسي ضد الصهيونية ، حتى ولو كان من غير الممكن ربطه في كل حالة بشكل مباشر مع النضال الذي تقوم به الطبقة العاملة في اسرائيل ، في الموضع الاول .

ان افراد المجموعة المنشقة لا يقبلون هذا التحليل والاستنتاجات النابعة منه ، ويعتقدون انه لا يوجد هنالك فرق حاسم بين أسرائيل والبلدان الرأسمالية العادية ، ولذلك فانهم لا يقبلون اتباع استراتيجية ثورية خاصة ، تختلف بشكل ملموس عن الاستراتيجية الثورية المتبعة في البلدان الرأسمالية العادية .

وبما ان هذا الموضوع ، ووجهة نظر ماتسبن فيه ، قد بحثا باسهاب في المقال الانف الذكر ، وفي العدد ٥٥ من صحيفتنا ، فلن نعود عليه هنا ، وسنكتفي بردود قصيرة حول بقية النقاط المطروحة في بيان المجموعة المنشقة .

ومن اجل ذلك ، ينبغي علينا قبل كل شيء طرح ملاحظة ، يكون من الصعب بدونها فهم الخلفية الفكرية للبيان واسلوب التفكير الذي يميزه . ان زعماء المجموعة المنشقة الذين يقررون « نغمتها » يعملون من قبل هيئة عالمية تدعى « اللجنة من اجل الاممية الرابعة » التي تمثل بشكل خاص مجموعة هيلي (Socialist Labour League) في انجلترا ومجموعة لامبارت في فرنسا . من هنا ، بالمناسبة لقب « لامبارتيون » . ان « اللجنة من اجل الاممية الرابعة »

(على خلاف « السكرتارية العالمية للاممية الرابعة » وهي هيئة ذات اسم مشابه غير انها تختلف اختلافا ليسا من ناحية الجوهر) هي هيئه ذات ايديولوجية تروتسكية (الاصح : تروتسكية لاول وهلة) واسلوب عمل وتفكير يشبهان الى حد كبير اسلوب عمل وتفكير الستالينيين في احلك فترة للستالينية . ان الخطوط المميزة والبارزة للامبارتية هي : التعنت والمحافظة والدوغماتيكية المتطرفة في المجال الفكري ، معايير منافية للديمقراطية ، وتحريف بيروقراطي للمركزية الديمقراطية في المجال التنظيمي الداخلي ، وضيق افق في المجال السياسي . انهم ينتهجون دائما اسلوب الاوصياء على الحقيقة ، ويوجد في جعبتهم لونان فقط ، اسود وابيض : فكل من لا يوافق معهم حول اي موضوع ، يعتبر — في احسن الحالات — راديكاليا برجوازيا صغيرا ، وبشكل موضوعي خادما للرجعية . وبهذا الخصوص لا يميزون بين الالوان فبالنسبة لهم لا يوجد فرق جوهري بين تشي غيفارا وجمال عبد الناصر . وفي حوارهم مع التيارات اليسارية الاخرى — هوايتهم المستحبة — ينتهجون اسلوبا ساما ، ولا يتعبون من ايجاد التحريفات وانصاف الحقائق والاكاذيب ، ويمتنعون دائما عن القيام باي تعاون مع التيارات الاخرى .

ان التحزب المنهجي للامبارتيين وجد له تعبيرا بارزا في ليلة المتاريس المشهورة في الحي اللاتيني في باريس في شهر مايو ١٩٦٨ ، عندما قدم اليهم مندوبو بقية التيارات اليسارية الثورية وطلبوا منهم الغاء اجتماع كانوا قد حددوه في تلك الليلة ، والانضمام لحماية المتاريس من قبل الشرطة الفاشستيه . وقد رفض اللامبارتيون ذلك بغطرسة مدعين بانهم لا يرون جدوى من التضحية بصفوة طلائعيي البروليتاريا في عملية برجوازية صغيرة ، عديمة الجدوى.

ان كافة الخطوط المميزة الانفة الذكر للامبارتيين تظهر بشكل أو باخر في اسلوب عملهم ونشاطهم في اسرائيل .

روح القدس

ننتقل الان لمعالجة عدد من النقـاط الاساسية التـي يطرحها اللامبارتيون في بيانهم .

١ ــ انهم يتهموننا « برفض اعداد برنامج » . ان هذا تحريف مقصود . فهم يعرفون جيدا اننا منهمكون منـذ اعوام في اعداد برنامج سياسي . صحيح اننا لم نختار طريق اعداد برنامج كامل ، على الفور ، بل فضلنا تطويره بشكل عضوي ، ليساير التطور السياسي والفكري للتنظيم .

وقد نشرت خلال الاعوام السابقة برامج وثائقية غير قليلة ، تعبر عن وجهات النظر المبلورة التي توصلنا اليهـا مع الوقت .

وعندما يتهموننا « برفض اعـداد برنامج » فانهـم يقصدون بذلك اننا رفضنا قبول البرنامج (الرديء) الذي اقترحوه مؤخرا . وقد جاء في برنامجهم على سبيل المثـال الجملة التالية « ان حرب يونيو ١٩٦٧ تحمل طابع حـرب بين البرجوازية الاسرائيلية وبين البرجوازية المصريةوقيادتي الاردن وسوريا » .

يكشـف اللامبارتيون طريقة تفكيرهم الدوغماتيكيـة باتهامهم لنا «باننا نقيمتنظيمائوريا بدون برنامج واضح » ، وينبغي حسب اقوالهم ، قبل كلشيء صياغة برنامج واضح، وبعد ذلك فقط ، يقام التنظيم الثوري . ومن ايـن يأتـي البرنامج ؟ عن طريق الرؤيا النبوية ؟ بايحاء روحالقدس ؟من المفهوم بالنسبة للدوغماتي الـلامبارتي الا يكـون السـؤال مطروحا البتة . فهو يعتقد ان البرنامج (بأل التعريف) قائم وينبغي فقط ترجمته الى العبرية .ولكننارفض هذا الفهم . حيث انه لم تكن امامنا طريق اخرى الا اقامة تنظيم بدون برنامج واضح ومبلور من البداية . في عام ١٩٦٢عندما قامت

ماتسبن ، لم نفكر بتباهي بانه عندنا الجواب القاطع والنهائي لكل سؤال ، كذلك لا نتباهى اليوم حول ذلك . ان البرنامج السياسي بالنسبة لنا هو نتيجة تدريجية لتطور منسجم مع النضال الثوري ، وليس عملا يكتشف مرة واحد .

٢ ــ ان ادعاء اللامبارتيين بان ماتسبن لا تعترف بضرورة الاممية التي تضم بين كنفيها القوى الثورية في جميع ارجاء العالم هو ادعاء عار عن الصحة . فنحن نعتقد بضرورة العمل على اقامة اممية كهذه . وقد تقام هذه الاممية على اساس احدى التنظيمات القائمة الان والتي تضم في داخلها اجزاء من الحركة الثورية العالمية . ومن ناحية اخرى ، فمن المحتمل ان تقام بطريقة اخرى . غير ان شيئا واحدا يبقى واضحا ، وهو ان اللجنة « من اجل الاممية الرابعة » التي ينتمي اليها اللامبارتيون الاسرائيليون لا تشكل الا عقبة في طريق اقامة اممية حقيقية .

٣ ــ يدعي اللامبارتيون ان ماتسبن لا تعترف بدور الطبقة العاملة في قيادة الثورة الاشتراكية العالمية . وكبرهان على ذلك ، يشيرون الى العطف الذي نبديه تجاه كفاح المنظمات غير البروليتارية مثل نضال رجال العصابات في امريكا اللاتينية ، ونضال الطلبة .

وبذلك يكشف اللامبارتيون ضيق مفهومهم الدوغماتي ، الذي لا يعدو كونه بمثابة « كاريكاتور » للماركسية .

ليس هنالك شك بان الاشتراكية هي الانجاز التاريخي لطبقة العمال الاممية . وبدون قيادة هذه الطبقة فان الاشتراكية لا تدخل ضمن اطار الممكن . غير ان انكار الادوار الهامة للنضالات الاخرى ــ غير البروليتارية المحضة ــ يعتبر عملا منكرا وخيانة للمبدأ الاول لكل اشتراكي حقيقي: « لا توجد قضية انسانية غريبة علي » . ان الذي ينكر بغطرسة النضالات البطولية لمجرد أنها تفتقر الى الطابع

البروليتاري الواضح ، لا يعتبر ماركسيا او اشتراكيا بل ثرثارا . ان الاستنتاج المنطقي من مفهوم كهذا هو بمثابة مسلك حقير يصل الى حدود الخيانة مثل مسلك اللامبارتيين في « ليلة المتاريس » في مايو ١٩٦٨ .

يكون من الاصح والاوضح ان ندرك اننا تابعون ليس الى المناطق البرجوازية المتطورة حيث تشكل البروليتاريا الطبقة الشعبية الرئيسية ، بل الى بلدان «العالم الثالث». حيث تشكل البروليتاريا اقلية صغيرة . وهذا احد الاسباب الذي جعلنا نفاخر بالعطف الذي تبديه ماتسبن نحو نضال تشي غيفارا . اننا لسنا ملزمين بقبول وجهات نظر تشي غيفارا بدون نقد حتى نبدي العطف على نضاله . ان الذي يستطيع ان يعيب عطفنا نحو غيفارا بحجة أن تعاليم الرجل الثوري الكبير واستراتيجيته لم تكن بالمستوى المطلوب للبروليتاريا ، هو مجرد نظري دوغماتي ومتحجر الى حد « اللامبارتية »، ويلون العالم كله باللونين الاسود والابيض.

٤ ــ يتهمنا اللامبارتيون « بالميل للانجرار وراء قيادات قومية في البلدان غير المتطورة » ومن الواضح من خلال ربط الامور ببعضها ان المقصود هنا هو « الناصرية » . أن هذا افتراء اذ بوسع القارىء المهتم بمعرفة تقييمنا للحركة الناصرية ان يجد ذلك في مقال مفصل حول هذا الموضوع نشر في عام ١٩٦٧ ثم عدنا ونشرنا مقالا اخر في العدد ٥٦ من صحيفة « ماتسبن » . وبوسع القارىء أيضا مراجعة المقال الافتتاحي ، «بعد وفاة عبد الناصر» الذي نشر في نفس العدد. وسيتضح للقارىء بسهولة ان ادعاء اللامبارتيين هو كذب وبهتان .

٥ ــ ان الادعاء باننا رفضنا الدخول في حوار مع « الجبهة الديمقراطية » هو محض افتراء وكذب . انظر على سبيل المثال عدد ٥٣ (مايو ١٩٧٠) من مجلة « ماتسبن »

حيث يوجد لنا مقالان اجرينا فيهما حوارا جوهريا ومعتدلا مع « الجبهة » .

وثمة افتراء اخر للامبارتيين يتمثل في قولهم اننا نعتقد « انه لا يحق لابناء الشعب المحتل (اي الذي يمارس الاحتلال) انتقاد منظمات الشعب المحتل والمضطهد » . ان هذا تحريف مقصود لان اللامبارتيين يعرفون جيدا موقفنا الذي كررناه مرات كثيرة : ففي الوقت الذي رفضنا فيه الانجرار وراء دعاية مناصرة للمنظمات الفلسطينية بخصوص وسائل النضال ، تمسكنا دائما بحقنا وواجبنا في نقد البرامج السياسية للتنظيمات الفلسطينية مع نقد هذه البرامج . فقد تم تكريس مقال « النضال الفلسطيني والثورة في الشرق الاوسط » (الذي نشر في « ماتسبن» عدد ٥٠ ، وتبنته منظمتنا كوثيقة رسمية) ، لنقد الاتجاهات السلبية في الحركة الفلسطينية . ويدحض هذا المقال ايضا نزعة لامبارتية تزعم « ان ماتسبن امتنعت عن طرح موقف من المنظمات الفلسطينية باستثناء موقفها تجاه قضية واحدة ووحيدة هي : حق تقرير المصير لليهود في الشرق الاوسط » . الحقيقة ان مسالة تقرير المصير ظهرت في المقال الانف الذكر باختصار شديد ، وان معظم المقال كان مكرسا لنقد اتجاهات عزل النضال الفلسطيني عن النضال العربي ، وضد الاتجاه الذي يفصل بين التحرر الوطني والتحرر الاشتراكي .

٦ ــ ان اللامبارتيين يحرفون موقفنا تحريفا شديدا وعن عمد ، بقولهم اننا نفهم ازالة الصبغة الصهيونية عن دولة اسرائيل «كمرحلة منفصلة » عن الثورة الاشتراكية .

يؤكد البيان السياسي الذي نشرناه حول قضية «ارض اسرائيل » والنزاع الاسرائيلي العربي (مايو ١٩٦٧ عدد ٣٦) انه « ينبغي على دولة اسرائيل أن تجتاز تغييرا جذريا

عميقا يحولها من دولة صهيونية (اي دولة يهود العالم) الى دولة اشتراكية تمثل جماهير الشعب فيها ، الى دولة اشتراكية تمثل مصالح جماهير الشعب الموجودة فيها». ان المقصود هنا هو الثورة الاشتراكية ، وليس نزع الصبغة الصهيونية التي من الممكن ان تقام بعدها دولة ليست صهيونية وليست ايضا اشتراكية .

كذلك يكرر بياننا « الجولة الثالثة » الذي كتب في اعقاب حرب يونيو ٦٧ (نشر في العدد ٣٦ من « ماتسبن ») نفس الصيغة : «ان المبدأ الذي نهتدي به ، يدعو الى ثورة عميقة داخل اسرائيل بهدف تغيير طابعها من اساسه — من دولة صهيونية الى دولة اشتراكية تستطيع وتستعد للاندماج في المنطقة » .

ويتكرر هذا الموقف في كل بيان لنا . ولم يسبق لنا ان تحدثنا في اي بيان عن عزل الصهيونية كمرحلة منفصلة . ان الفقرة الوحيدة التي يمكن ان تفسر بهذه الروح تظهر في مسودة طرحها احد اعضاء التنظيم للبحث قبل سنوات معدودة ، والتي لم يصادق عليها التنظيم مطلقا .

حول « الفارق الصغير »

تشتمل القائمة الانفة الذكر على بعض اكاذيب اللامبارتيين وافتراءاتهم فقط ، وبودنا الان التطرق الى احد الادعاءات المبدأية الغريبة التي تظهر في بيانهم :

« ان كون الدولة تدار بواسطة ممثل الاشتراكية الديمقراطية الاسرائيلية لا يناقض كون البرجوازية تشكل الطبقة الحاكمة ، مثلما هو الحال في السويد التي تشكل الطبقة البرجوازية طبقتها الحاكمة مع ان الاشتراكية الديمقراطية في السويد هي المتربعة على كرسي الحكم منذ اربعين عاما .. اننا نرفض استبدال هذا التحديد الواضح،

وتناقضات المصالح بين البرجوازية والبروليتاريا، باعتبارات تخرج من الادراك الحالي للبروليتاريا الاسرائيلية . »

ذكرنا سابقا ان هذا الموضوع بحث باسهاب في مقال خاص نشر في العدد رقم ٥٥ من « ماتسبن » . وبدون ان نعود الى فحوى المقال المذكور . بودنا ان نشير الى « الفارق الصغير » بين اسرائيل والسويد .

ان الطبقة المسيطرة في مجتمع معين . حسب النظرة الماركسية . هي نفس الطبقة المسيطرة على القيمة الفائضة. وتنقسم القيمة الفائضة في المجتمع الصناعي الحديث الى ثلاثة اقسام رئيسية : القسم الاول ، يمتص بواسطة المتطلبات الشخصية للطبقات الطفيلية ؛ والقسم الثاني يغطي تكاليف استخدام الجهاز الحكومي . والقسم الثالث يتراكم كاستثمارات لتوسيع حجم الانتاج . ان القسم الثاني ــ من الزاوية التي ندرسها هنا ــ اهم بكثير من القسم الاول ، والقسم الثالث اهم من القسمين معا . وفي التحليل الاخير ، ان السيطرة على فائض القيمة تحدد السيطرة على المجتمع كله .

وفي السويد ، كبقية البلدان الراسمالية العادية ، تسيطر البرجوازية على فائض القيمة المتراكم ، وبفضل ذلك تكون الطبقة الحاكمة . اما البيروقراطية الاشتراكية الديمقراطية فانها تسيطر على جهاز الحكومة ، وبذلك تقوم بمراقبة القسم الثاني من فائض القيمة . ولكن هذا الواقع لا يحولها الى طبقة حاكمة ، وفي التحليل الاخير ، يمكن القول ان الاشتراكية الديمقراطية ما هي الا بمثابة خادم للبرجوازية .

ما هو الوضع في اسرائيل ؟ حتى لو تغاضينا عن كون القطاع الخاص يشكل حوالي النصف من مجمل الاقتصاد فقط ، تبقى واقعة واحدة ذات اهمية عظيمة : التراكم

الداخلي للاقتصاد الاسرائيلي هو صفر . وهذا لا يعني ان مستوى الاستثمارات (اي سرعة توسع الاقتصاد) بطيء . بالعكس ، فهذا المستوى يعتبر من اعلى المستويات في العالم الغربي ، الا ان هذه الاستثمارات تمول كلها بواسطة مصادر خارجية .

والمعلومات التالية ماخوذةمن كتاب«التطور الاقتصادي لاسرائيل » من اصدار « بنك اسرائيل » .

تقدم القائمة رقم ٣٢ من الكتاب المذكور معطيات حول النسبة المئوية للاستثمارات من مجمل المصادر التي بحوزة الاقتصاد في ٣٢ بلدا مختلفا من عام ١٩٥٩ وحتى عام ١٩٦١. ويتضح انه خلال هذه الاعوام استثمر في اسرائيل ٢١٠٧ بالمئة من مجمل المصادر التي كانت بحوزه الاقتصاد وبذلك ارتفعت اسرائيل عن الولايات المتحدة ١٦٠٤ بالمئة وعن بريطانيا ١٦٠١ المئه وعن فرنسا ١٧٠٩ بالمئة وحتى عن السويد ٢١٠٩ لمئة ، ولكنها تخلفت وراء المانيا الغربية٢٤٠٨ بالمئة ووراء اليابان ٣١٠١ بالمئة .

ومما ينبغي ذكره هو ان مفهوم « مجمل المصادر التي بحوزة الاقتصاد » يشمل ايضا العجز في ميزان المدفوعات ، اي — في حالة اسرائيل — المعونة التي تتلقاها اسرائيل من الخارج .

وتقدم القائمة رقم ٣٢ معطيات حول الاستثمارات في الاقتصاد الاسرائيلي في الاعوام من ١٩٥٠ وحتى ١٩٦٥. ويتضح ان الاستثمارات من قبل مصادر داخلية ، تبقىعلى مستوى الصفر . فخلال خمسة من الستة عشر عاما كان الادخار ايجابيا ، وفي بقية الاعوام كان الادخار سلبيا اي ان المجتمع انتج اقل مما احتاج .

وتثبت نفس القائمة ان الاستثمارات في الاقتصاد الاسرائيلي كانت مساوية تقريبا للمعونات التي تلقتها الدولة

من الخارج او في معظم الاعوام كانت الاستثمارات اقل من المعونات الخارجية .

ويتضح ايضا من خلال معطيات اخرى في الكتاب في مكان اخر ، انه في عام ١٩٦٥ ، على سبيل المثال ، زادت المعونة الخارجية التي تلقتها اسرائيل على الفي مليون ليرة اسرائيلية بينما بلغت الاستثمارات اقل من ١٩٠٠ مليون ليرة اسرائيلية .

والاستنتاج الذي نصل اليه من كل ذلك هو ان الاقتصاد الاسرائيلي ، لا يستثمر من مصادره الداخلية ، بل ان كل الاستثمارات تأتي من قبل مصادر خارجية ، من الدعم المباشر وغير المباشر الذي تتلقاه اسرائيل من جانب الاستعمار . ان هذا لا يحدث في السويد .

ومن المعروف جيدا ان الانابيب التي تتدفق بواسطتها معظم هذه المعونات هي تحت سيطرة واشراف الثالوث البيروقراطي (الحكومة والوكالة والهستدروت) الذي يمنح قسما منها الى البرجوازية (والقسم المتبقى يستثمر في القطاع الحكومي والهستدروتي) ويستنتج من ذلك ان البيروقراطية تقوم بتمويل البرجوازية ، وليس العكس . وهذا ايضا ، لا يحدث في السويد .

بالاضافة الى ذلك ــ وبالضبط مثل السويد ــ تسيطر البيروقراطية « العمالية » على المبالغ المخصصة لتمويل الجهاز الحكومي : اي على ميزانية الدولة والنتيجة العامة هي ان البرجوازية في اسرائيل لا تشكل طبقة مسيطرة لوحدها ، بل شريكة للبيروقراطية . اي تسيطر في اسرائيل « شراكة » بين البيروقراطية « العمالية » والبرجوازية .

ان السبب الوحيد الذي وسعنا من اجله الحديث بهذا الخصوص ، يتمثل في مقصدنا الرامي الى تبيان الواقع

الهام بان اسرائيل والسويد « ليستا نفس الشيء تماما » ـ هذا الواقع الذي يميل اللامبارتيون الى الاستخفاف به .

ويعتبر ما قدمنا بمثابة مثل بسيط من مجمل قضايا هامة : فالاستنتاجات النظرية ذات المفعول في السويد ، ليست بالضرورة ذات مفعول في اسرائيل ، وهذه القاعدة تسري ايضا على تقييم الامكانات الثورية للطبقة العمالية في اسرائيل في الظروف الراهنة .

* * *

وفي النهاية ـ هنالك ملاحظة اخرى . ليس كل افراد المجموعة المنشقة لامبارتيين دوغماتيين . بل يوجد بينهم بعض الاشخاص المستقيمين الذين بسبب عدم معرفة كافية لظروف البلاد أو بسبب الارهاق من مشاق النضال الطويل ضد الصهيونية خدعوا باللامبارتية وببريق وحدتها الفكرية الخادعة .

وسيتضح لهؤلاء الرفاق بسرعة الى جانب من يجب ان يقفوا وستكون طريق العودة الى تنظيمنا مفتوحة . اننا لن نغلقها .

مصادر البحث

باللغتين العربية والعبرية

١ ــ **عال هاميشمار** ، ٢٩ ــ ٨ ــ ١٩٦٩ .

٢ ــ « الانتخابات » ، بيان للمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية . تشرين الاول ١٩٦٩ .

٣ ــ بار ــ يوسف ، أشعيا ، **يديعوت احرونوت** ، ١٢ ــ ١ ــ ١٩٦٨ .

٤ ــ **دافار** ، ٢ ــ ٥ ــ ١٩٥٦ .

٥ ــ **زوت هديرخ** ، ٢ ــ ٩ ــ ١٩٧٠ .

٦ ــ « ضد المؤامرة » ، بيان للمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، ١٧ ــ ٨ ــ ١٩٧٠ .

٧ ــ العظم ، صادق جلال ، **دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية** ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٨ ــ ليبنه ، رامي ، « حول موقف راكاح من مشروع روجرز » ، **ماتسبن** ، عدد ٥٥ ، اب ــ ايلول ١٩٧٠ .

٩ ــ **ماتسبن** ، عدد ٥٤ ، حزيران ــ تموز ١٩٧٠ ، وعدد ٥٥ ، اب ــ ايلول ١٩٧٠ ، وعدد ٥٦ ، تشرين الثاني ١٩٧٠ .

١٠ ــ المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، **ثلاثة بيانات** ، تموز ١٩٦٧ .

١١ ــ **هاعولام هازيه** ، ملحق ، ٣ ــ ١٢ ــ ١٩٦٩ .

باللغة الانكليزية

(12) Halevi, N. and Klinov-Malul, R., **The Economic Development of Israel,** published by the Bank of Israel and F.A. Praeger, 1968.

(13) Hanegbi, Haim, « Who Is Uri Avneri ? », **Israc,** March 1970.

(14) Herzl, T., **Selected Works,** Newman ed., Tel-Aviv.

(15) The Israeli Socialist Organization, **The Other Israel,** July 1968.

(16) **Journal of Economic Literature,** December 1969.

(17) Machover, M. and Orr, A., **On the Nature of Israeli Society,** 12 August 1970 (unpublished paper).

(18) Orr, A. and Machover, M. « Against the Zionist Left », **Israc,** March 1970.

(19) Said, A. and Machover, M. « The Struggle in Palestine Must Lead to Arab Revolution », **The Black Dwarf,** 14 June 1970.